# مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة في كتابي "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية": دراسة في الأصول الصوفية من خلال فكر الإمام السنوسي (ت. ٨٩٥هـ)

إعداد

زين العابدين بن عبد الحليم

الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

٢٠٢٥م

# مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة في كتابي "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية": دراسة في الأصول الصوفية من خلال فكر الإمام السنوسي (ت. ٨٩٥هـ)

إعداد

زين العابدين بن عبد الحليم

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم أصول الدين والأديان والفلسفة المقارنة
كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

مايو ٢٠٢٥م

# ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى حلّ بعض قضايا تدور حول مشكلة أساسية ورئيسية؛ وهي وَهْم تضادّ علمي التصوف والعقيدة. وقد ظهرت هذه المشكلة في صورٍ عدة؛ مثل ما صدر عن بعض المنتسبين إلى التصوف من أقوالٍ لم تقرّها الشريعة ولا يقبلها العقل، ومثل تهمة أن التصوف دخيل في الإسلام، ووجود الصراع بين بعض أهل الكلام وأهل التصوف في بعض المباحث التي تتعلق بكلا العلمين. فهذه المشكلة يعاني منها المجتمع المعاصر وتقتضي من الباحث تحليلها وتسليط الضوء على إمكانية التوفيق بين التصوف والعقيدة وواقعيته، مستعينا في تحقيق ذلك بإظهار وجوه التكامل المعرفي بين هاتين الوحدتين في فكر الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، وبيان الأسباب التي أدت إلى تكوّن المنهج التوفيقي لديه، وكذلك بيان النصوص التي تحمل بين طياتها أفكارا مزج فيها الإمام السنوسي بين التصوف والعقيدة، ثم استخراج مجموعة من أصول تصوفه التي يمكن أن تساهم في تحليل مشكلات القضايا الصوفية النظرية والعلمية، وقد أردف الباحث ذلك كله بدراسة مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي من خلال الكتابين المهمين؛ هما "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية" ليقف القراء على حقيقة مهمة وهي أن التكامل والتوفيق بين هذين العلمين ليس موجودا في الإطار النظري وفي العالم الخيالي فقط، بل له وجود متحقق في أرض الواقع. اتبع الباحث مجموعة من المنهجيات العلمية التي تناول بها موضوعه، فمن خلال المنهج الوصفي قام الباحث بوصف الأحوال السياسية والاجتماعية والبيئة العلمية التي عاش بها الإمام السنوسي، ثم قام بربط هذه الأحوال وتركيبها على صورة جديدة تبين مدى تأثير هذه الأحوال في إنشاء المنهج التوفيقي في نفس الإمام السنوس، وكذلك استعان الباحث بالمنهج الاستقرائي لأجل استخراج جميع أسس تصوف الإمام السنوسي وجميع مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة من خلال الكتابين السابق ذكرهما، كما استخدم المنهج التحليلي والاستدلالي في إعطاء تفسيرات منطقية لمناسبة تلك الأصول والمظاهر لموضوع بحثه وفي البرهنة على قدرة تلك الأسس على تحليل مشكلات تصوفية معاصرة والبرهنة على حاجة الناس في استيعاب مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي والتوسل بهذه المظاهر في تجديد الدرس العقدي الأشعري. ثم من خلال المنهج المقارن عقد الباحث مقارنة بين موقف المعاصرين من بعض قضايا التصوف كقضية مراتب التوحيد والعلم الذوقي وبين

رأي الإمام السنوسي في تلك القضايا، مستخدماً المنهج التحليلي كذلك في تحليل رأي الإمام. وخلصت الدراسة لمجموعة من النتائج، من أهمها: أن فكرة التوفيق بين العقيدة والتصوف كانت موجودة عند شيوخ الإمام السنوسي في بلدان المغرب قبل ظهور الإمام السنوسي، ثم استمرت في زمانه وبقيت إلى ما بعد وفاته. وأنه ثبت بكتاب نصرة الفقير وكتاب المواهب القدوسية قدرة الإمام على ربط التصوف بالفقه ودمج التصوف بالعقيدة. وأنه كان يبني تصوفه على خمسة أصول وهي وجوب التمسك بالعقيدة الصحيحة النقية، وتقديم السنة المطهرة، وضرورة التلازم بين الحقيقة والشريعة، وتحسين الظن بأهل الله، ووجوب اتخاذ الشيخ المربي. وأن التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي قد ظهر بمظاهر عدة؛ مثل ما سيراه القراء في وظيفة العقل ودوره في التوفيق بين العلمين، وفي جعل الإمام السنوسي التصوف والعقيدة يفسر بعضهما البعض. ثم ختم الباحث رسالته بمجموعة من التوصيات لمن يريد أن يشتغل بمثل هذا الموضوع في المستقبل.

# ABSTRACT

This research aims to resolve several issues related to a fundamental and primary problem: the illusion of contradiction between Sufism and Islamic creed (‘Aqīdah). This issue has manifested in various ways, such as the emergence of statements by some individuals associated with Sufism that are not accepted by Islamic law or reason, the accusation that Sufism is a foreign concept in Islam, and the existence of conflicts between some scholars of Islamic theology (‘ilm al-Kalām) and Sufis on certain topics related to both disciplines. This issue is prevalent in contemporary society, requiring the researcher to analyse and highlight the possibility and realism of reconciling Sufism with Islamic creed. To achieve this, this study seeks to demonstrate the epistemological integration between these two disciplines within the thought of the theologian Imam Abu Abdullah Muhammad bin Yusuf al-Sanusi. It also aims to identify the factors that led to the development of his reconciliatory approach, analyse texts in which Imam al-Sanusi combined Sufism and creed, and extract key principles from his Sufism that can contribute to addressing theoretical and practical issues in contemporary Sufi discourse. The researcher further supports this analysis by studying the manifestations of reconciliation between Sufism and creed in Imam al-Sanusi’s works, particularly “Nuṣrat al-Fuqayyir” and “al-Mawāhib al-Quddūsiyyah”, to emphasise an essential reality: the integration between these two sciences is not merely theoretical or abstract but has a tangible presence in reality. The researcher employed various scientific methodologies to address the topic. Through the descriptive method, the political, social, and intellectual environment in which Imam al-Sanusi lived was analysed, linking these factors to the formation of his reconciliatory approach. The inductive method was used to extract all foundational principles of Imam al-Sanusi’s Sufism and his approaches to reconciling Sufism with creed from the two aforementioned works. The analytical and inferential methods were employed to provide logical interpretations of these principles and their relevance to contemporary Sufi issues, demonstrating the necessity of understanding al-Sanusi’s reconciliatory approach in renewing Ash‘ari theological studies. Additionally, through the comparative method, the researcher examined contemporary perspectives on key Sufi issues, such as the ranks of Tawhid and experiential knowledge (‘ilm dhawqī), comparing them with Imam al-Sanusi’s views. The analytical method was also utilised to analyse his stance on these matters. This study concluded with several key findings, the most significant being that the idea of reconciliation between creed and Sufism existed among the teachers of Imam al-Sanusi in the Maghreb before his emergence, continued during his time, and persisted after his passing. It was confirmed through “Nuṣrat al-Fuqayyir” and “al-Mawāhib al-Quddūsiyyah” that Imam al-Sanusi successfully integrated Sufism with jurisprudence and creed. He built his Sufism upon five foundational principles: adherence to a pure and correct creed, prioritising the Sunnah, the necessity of linking spiritual reality (haqiqah) with Islamic law (shari‘ah), having a positive opinion of the righteous (`ahl Allah`), and the obligation of seeking guidance from a spiritual mentor (al-shaykh al-murabbī). The reconciliation between Sufism and creed in Imam al-Sanusi’s thought appeared in various forms, such as the role of reason in harmonizing the two sciences and his approach to making Sufism and creed complement each other. Finally, the researcher concluded the study with several recommendations for those interested in exploring this topic further in the future.

# APPROVAL PAGE

The thesis of Zainul ‘Abidin Bin Abdul Halim has been approved by the following:

Assoc. Prof. Dr. Abdul Salam @ Zulkifli B. Muhamad Shukri
Supervisor

Dato' Dr. Muhammad Ayman Al-Akiti
Co- Supervisor

Prof. Dr. Engku Ahmad Zaki Engku Alwi
External Examiner

Prof. Dr. Thameem Ushama
Internal Examiner

Assoc. Prof. Dr. Mohamed Ibrahim Negasi
Chairman

# DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Zainul ‘Abidin Bin Abdul Halim

Signature: ……..…… Date: 26.5.2025

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

**إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة**

حقوق الطبع ٢٠٢٤م محفوظة لـ: زين العابدين بن عبد الحليم

**مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة في كتابي "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية": دراسة في الأصول الصوفية من خلال فكر الإمام السنوسي (ت. ٨٩٥هـ)**

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

**أكد هذا الإقرار: زين العابدين بن عبد الحليم**

التوقيع: ..... التاريخ: 26.5.2025

أهدي هذه الرسالة المتواضعة إلى حضرة شيخي ومربي روحي؛ فضيلة الشيخ الدكتور خليل إسماعيل إلياس العراقي حفظه الله الذي علمني أن أهل التصوف الحق هم الذين يعظمون الشريعة ولا يقدسون الأشخاص، وإلى جميع أحباب الشيخ الذين هم أهل العلم والأدب. كما أهدي هذه الرسالة إلى أبويّ اللذين هما سبب كوني ووجودي في هذه الدنيا، فلولا نعمة الوجود لما عرف العبد ربه. وكذلك أهديها إلى ابني؛ علي بن زين العابدين، أنبته الله نباتا حسنا ورباه تربية عباده الصالحين.

# الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى من كان سببا رئيسيا في إكمالي لهذه المسيرة العلمية؛ فضيلة داتوء الدكتور محمد أيمن العكتي حفظه الله الذي عاملني كأخ له قبل أن يعاملني كتلميذ، وإلى مشرفي فضيلة البروفيسور مديا الدكتور عبد السلام بن محمد شكري على جميع إرشاداته ونصائحه طوال إعداد هذه الرسالة، وكذا إلى جميع الأساتذة الدكاترة في كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية على ما جادوا به علي من العلوم والحكم. كما لا يفوتني أن أشكر شيخي وأحبابه وأهلي وأصدقائي وأقاربي الذين كانوا ولم يزالوا سندا لي عند مواجهتي للصعاب والعقبات في حياتي. فجزاكم الله خيرا كثيرا.

# فهرس المحتويات


ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... د

صفحة القبول ..... هـ

صفحة الإقرار ..... و

صفحة حقوق النشر ..... ز

الإهداء ..... ح

الشكر والتقدير ..... ط

فهرس محتويات البحث ..... ي

قائمة الجداول ..... ن

قائمة الأشكال ..... س

**الباب التمهيدي خطة البحث وهيكله العام ..... ١**

مقدمة ..... ١

مشكلة البحث ..... ٣

أسئلة البحث ..... ٤

أهداف البحث ..... ٤

أهمية الموضوع ..... ٥

حدود البحث ..... ٧

منهج البحث ..... ٨

الدراسات السابقة ..... ٩

**الباب الثاني التعريف بمجدد القرن التاسع الهجري الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي..... ٢٠**
مقدمة ..... ٢٠
الفصل الأول: نبذة عن سيرة الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ٢١
الأحوال السياسية والاجتماعية والبيئة العلمية في زمانه..... ٢٢
أشياخه..... ٢٧
تلامذته..... ٣٢
عاداته اليومية وأخلاقه الكريمة ..... ٣٥
ثناء العلماء عليه..... ٣٨
مؤلفات الإمام السنوسي..... ٤٠
وفاته رضي الله عنه..... ٥٢
الفصل الثاني: مكونات فكر الإمام السنوسي التوفيقي ..... ٥٤
المبحث الأول: الخلفية الصوفية للإمام السنوسي ..... ٥٤
المبحث الثاني: الخلفية العقدية للإمام السنوسي..... ٦٦
خاتمة ..... ٧٥

**الباب الثالث تحقيق كتاب نصرة الفقيّر ونصوص تصوفية من كتاب المواهب القدوسية ..... ٧٩**
مقدمة ..... ٧٩
الفصل الأول: التعريف الوجيز بالكتابين المحققين ..... ٨٠
نصرة الفُقَيِّر في الرد على أبي الحسن الصُّغَيِّر ..... ٨٠
المواهب القدوسية في المناقب السنوسية ..... ٨٦
الفصل الثاني: النص المحقق ..... ٩١
المبحث الأول: نص كتاب نصرة الفقيّر في الرد على أبي الحسن الصغيّر .... ٩١
المبحث الثاني: نص كتاب المواهب القدوسية في المناقب السنوسية ..... ١٢٥

خاتمة ..... ١٤٥

**الباب الرابع أسس التصوف عند الإمام السنوسي في الكتابين "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية" وتطبيقها في قضايا صوفية معاصرة..... ١٤٧**

مقدمة ..... ١٤٧

الفصل الأول: أسس التصوف لدى الإمام السنوسي..... ١٤٨

الأس الأول: التصوف مبني على العقيدة النقية ..... ١٤٨

الأس الثاني: تقديم السنة واتخاذها ميزانا لمعرفة الصوفية الحقة ..... ١٥٢

الأس الثالث: وجوب ملازمة الحقيقة للشريعة..... ١٥٦

الأس الرابع: حسن الظن بأهل الله الصادقين ..... ١٥٩

الأس الخامس: وجوب اتخاذ الشيخ المربي ..... ١٦٤

الفصل الثاني: مناقشة قصيرة حول تطبيق أسس التصوف السنوسي في قضايا صوفية معاصرة ..... ١٧٠

المبحث الأول: مناقشة قضايا نظرية في التصوف المعاصر ..... ١٧١

المبحث الثاني: مناقشة قضايا عملية في التصوف المعاصر ..... ١٨٩

خاتمة ..... ٢٠٥

**الباب الخامس مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة في كتابي نصرة الفقير والمواهب القدوسية..... ٢٠٧**

مقدمة ..... ٢٠٧

المظهر الأول: العقل كجسر التوفيق بين التصوف والعقيدة..... ٢١٠

١. علاقة العقل بالذكر في التوفيق بين التصوف والعقيدة ..... ٢١٤

٢. ربط التقوى بالعقل كمظهر التوفيق بين العلمين ..... ٢١٨

٣. العقل بذْر الأخلاق المحمودة وطريق الوصول إلى مقام الولاية..... ٢٢١

المظهر الثاني: إخضاع تعاليم التصوف لقوانين العقيدة..... ٢٢٥

١. تأديب الأولاد وفق معيار العقيدة الصحيحة ..... ٢٢٦
٢. معرفة حقيقة أفعال العباد تدفع الغرور في أفعال الطاعات ..... ٢٢٩
٣. دواء الكبر بمعرفة حقيقة الممكنات وعموم قدرة الله تعالى ..... ٢٣٣
المظهر الثالث: العقيدة والتصوف يفسر أحدهما الآخر ..... ٢٣٥
١. تأويله لكلام الإمام الغزالي ..... ٢٣٦
٢. تأويله لعدم غياب شمس قلوب أهل الله ..... ٢٣٨
المظهر الرابع: تمثيل جهاد النفس بجهاد الكفار ..... ٢٤٣
خاتمة ..... ٢٤٥

**الباب السادس خاتمة البحث والنتائج والتوصيات ..... ٢٤٨**
التوصيات ..... ٢٥١

**قائمة المصادر والمراجع ..... ٢٥٣**
أولا: الكتب المخطوطة ..... ٢٥٣
ثانيا: الكتب العربية ..... ٢٥٣
ثالثا: البحوث العلمية ..... ٢٦٦
رابعا: الدوريات ..... ٢٦٦
خامسا: المواقع الإلكترونية ..... ٢٦٨
سادسا: المراجع الأجنبية ..... ٢٦٨

# قائمة الجداول


الجدول ١ ١٩٤

الجدول ٢ ٢٢٥

# قائمة الأشكال


الشكل ١ ٩٨

الشكل ٢ ٢٢٠

# الباب التمهيدي
# خطة البحث وهيكله العام

**مقدمة**

يعد الإمام محمد بن يوسف السنوسي من المجددين الذين جدَّدوا للأمة دينهم.[١] فقد كان الرجل يولي اهتماما كبيرا لفن العقيدة وبلغت مؤلفاته فيه مشارق الأرض فضلا عن مغاربها التي هي مسقط رأسه. ومما يميز جهده في العقيدة عن جهود غيره من معاصريه ومتقدميه أنه استطاع أن يمزج بين العقيدة والتصوف ليكون المعتقَد أمرا عمليا يظهر أثره في نفس المعتقِد وليس بمجرد قاعدة نظرية تتعلق بالفكر والعقل. ويشير إلى هذا المعنى ما ذكره بنفسه في آخر كتابه المعروف بـ"العقيدة الصغرى" أو بـ"أم البراهين" حيث قال: "فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها (يعني كلمة التوحيد) مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر."[٢]

ولكن الزمن الذي نعيشه الآن يعاني من شبهات المعارف التي تعطي للتصوف صورة قبيحة، فعدّه بعضهم من تعاليم الهنود أو الفرس، ويربط بعضهم الآخر نظريات الصوفية وأفكارهم بالفلسفات الإغريقية والتأثيرات المسيحية.[٣] وتسربت هذه الفكرة المشوهة إلى أذهان بعض المثقفين المسلمين، لهم في مجتمعاتهم مكانة مرموقة. فأدى ذلك إلى اعتناق الكثيرين للفكرة عن طريقهم. فهذه الدعاوي وما يشبهها تُوَلِّدُ الفكرة القائلة بأن التصوف متعارض مع العقيدة الإسلامية أو على الأقل تشكّك للباحثين حقيّة التصوف.

---

[١] محمد بن عسكر الشفشواني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، (الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٣٩٧هـ)، ص١٢١. بعد هذا يختصر بـ: دوحة الناشر.

[٢] محمد بن يوسف السنوسي، **شرح العقيدة الصغرى**، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي (دمشق: دار التقوى، ١٤٤١)، ص١٠٠. بعد هذا يختصر بـ: شرح الصغرى.

[٣] م.م زهير يوسف عليوي الحيدري، "جهود المستشرقين في دراسة تاريخ التصوف الإسلامي: دراسة في أهم آراء ومؤلفات المستشرقين في التصوف الإسلامي"، **مجلة اروك للأبحاث الإنسانية** ٣، العدد ٣ (٢٠١٠): ص٥٠–٦٣.

ويزيد الأمر غموضا التجزئة الحاصلة ضمن وحدة المعارف الإسلامية. فإن الباحث دائما ما يجد في هذا العصر من يصف عالما بكونه متمكنا في علم الكلام فيُجعل مرجعا فيه، أو متمكنا في علم السلوك والتصوف فيُعوّل عليه فيه، فكُلٌّ له مجاله واختصاصه. لكن هذا الحجْر والتحديد للمجال الاختصاصي أدى إلى صعوبة مناقشة قضايا ذات صلة بطرفي هذين العلمين لا سيما إذا كانت القضايا تمس عمق التصوف وغور العقيدة معا. مَن الذي يستطيع أن يجمع بين المجالين وأبرز نقاط التوافق والتخالف بينهما؟ وفي الآن نفسه لم يكن هذا العالِم يعيش في الأزمنة المتقدمة جدا حتى يصعب أن يربط الباحث أفكاره بما استجد من مشكلات وأحداث.

ولهذا، لا بد من إظهار نموذج صالح للتصوف نشأ وترعرع في حضن العقيدة الإسلامية والتصوف السني بعيدا عن الفلسفة وتهافتها وعن تأثيرات العقائد غير الإسلامية حتى يستطيع أن يصوِّر لنا التصوف بمعنى الكلمة، ويستطيع الباحث أن يقارن بين هذا النموذج وبين التصوف المنتشر والمعروف بين المسلمين ليتحقق من حقيّة أو بطلان دعوى فساد التصوف بسبب التعاليم الهندية والفلسفية أو غير ذلك من الأسباب والدعاوي.

الباحث يرى أن الإمام السنوسي هو النموذج الأمثل لذلك لِمَا في هذا الإمام المتفق على إمامته في المجال العقدي من القدرة على إجابة السؤال الخطير الذي يطرح نفسَه بين أيدينا، وهو "هل التصوف متعارض مع العقيدة الإسلامية؟" وقد تم اختيار الباحث على كتابين –هما كتاب "نصرة الفقير" وكتاب "المواهب القدوسية"– ليستخرج منهما مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي. وذلك لأن الأول منهما كتبه الإمام بنفسه لأجل الدفاع عن أهل الطريقة وعن التصوف. والثاني كتبه تلميذه البارّ الشيخ الملالي رحمه الله (ت. بعد ٨٩٧هـ) ليجمع فيه كل ما يتعلق بالإمام، ومن بينه شرحه لكلام الصوفية. وبهذا، يتمنى الباحث أن يكون قد استوفى أقل القدر الواجب لإبانة صورةِ التكامل والتوفيق بين التصوف والعقيدة التي تميز بها فكر الإمام السنوسي. والله المستعان وعليه التكلان.

**مشكلة البحث**

من الْمُسَلَّمَاتِ لدى الباحثين أن العلوم الإسلامية بجميع شعبها وحدة متكاملة ونسق مترابط الأطراف. ويمكن التمثيل لذلك بعلم أصول الفقه الذي يتطلب من دارسه أن يكون مستوعبا لقواعد اللغة من نحو وصرف ووضع وبلاغة، وأن يكون متجهزا بسلاح المنطق وآداب البحث والمناظرة، ليتمكن من فهم أصول الفقه. ثم بعد ذلك، يستطيع تنزيل تلك الأصول واستخدامها في ساحة الفقه العملي. فهذه صورة واضحة للتكامل والترابط الحاصلين بين العلوم الإسلامية.

ولكن هذا التكامل والترابط واضح في العلوم التي تشترك في موضوع واحد أو تتشابه موضوعاتها كعلوم اللغة التي يبحث فيها عن الألفاظ العربية، وعلم أصول الفقه الذي يعنى بألفاظ الشارع، وعلم المنطق الذي يتولى تصحيح المفاهيم المستفادة من الألفاظ التي هي وسيلة لإيصال الأفكار. فكيف بالعلوم التي تبدو متباينة ومتخالفة من حيث الموضوع كعلم العقيدة الذي يبحث فيه عن المعتقدات وعلم التصوف الذي يبحث فيه عن العمليات؟ ومع ذلك يعتبر هذان العلمان ركنين من أركان الإسلام الثلاثة التي هي الإيمان والإسلام والإحسان.

وإذا كان التصوف والعقيدة متوافقين غير متباينين، فلماذا يرى الباحث بعض من انتسب إلى التصوف والطريقة يقولون بأشياء لم يقبله الشرع القويم ولا العقل المستقيم كالقول بالحلول والاتحاد. فهذا الإشكال قائم منذ أمد بعيد واستشكله كثير من الباحثين الذين قرأوا تاريخ التصوف وسير رجاله عبر القرون. فهلا يوجد مشروع يعرّف بأصول التصوف والممارسات الصوفية في ضوء العقيدة الإسلامية ويبين نقاط التوافق والتناسق والتكامل بينهما؟

إن وَهْم التباين والتخالف بين علم التصوف وعلم العقيدة عند بعض الناس في هذا الزمان، وعدمَ وجود محاولةٍ لإظهار وجوه التوفيق بينهما لهم وإبداءِ صورة امتزاج أصول التصوف وقواعد التوحيد هو السبب الرئيسي لكتابة هذا البحث. فإن الاهتمام بمثل هذا المشروع من أهم المهمات لكونه سيساعد أولًا في البرهنة على صحة التكامل بين جميع المعارف الإسلامية باختلاف موضوعاتها، لا سيما العلوم التي هي من عمد العلوم الإسلامية. وسيؤدي ثانيًا إلى حل مشكلات أخرى نعيشها اليوم كإبطال دعوى أن التصوف دخيل في الإسلام ومغترب عنه، وإزالة سوء تصور وسوء فهم بعض رجال الدعوة للتصوف والصوفية، ورفع التخاصم الواقع بين بعض الباحثين والمثقفين بسبب اختلاف مواقفهم تجاه بعض الممارسات والآراء الصوفية.

والطريق إلى ذلك هو إيجاد هذا المشروع والإيقاف على نموذج يعيننا على فهم قضايا التصوف والصوفية، ويجعلنا نُنصف في الحكم عليها بالرد أو بالقبول. فبإيجاد المشروع يتمكن الباحث من إظهار وجوه التوافق بين هذين العلمين، وبذكر نموذجه يعلم يقينا أن التوفيق بين العقيدة والتصوف ليس موجودا في الإطار النظري وفي العالم الخيالي فقط، بل له وجود متحقق في أرض الواقع.

**أسئلة البحث**

يستطيع الباحث أن يُجمل جميع الأسئلة والقضايا الجزئية التي لها وزن في حل مشكلته الأساسية في نقاط تالية:

١. من هو الإمام السنوسي الذي يُعدّ مجددا لعلم العقيدة في القرن التاسع الهجري، وكيف تسهم الأفكار المحيطة به في إنشاء شخصيته العلمية، وما مكونات فكره التوفيقي في التصوف والعقيدة؟ وما هي المصادر أو التآليف التي تجمع آراء الإمام السنوسي ونصوص كلامه التي تعبّر عن فكره التوفيقي في مجال التصوف والعقيدة، وكيف السبيل إلى توفير هذه المعلومات للباحثين والمهتمين بالموضوع؟

٢. هل هناك أصول ومبادئ تمسك بها الإمام السنوسي في تصوفه وجعلها قوانين لمعرفة التصوف الحقيقي، وما قيمة هذه الأسس، وهل تقدر هذه الأسس على حل مشكلات تصوفية معاصرة؟

٣. هل وُجدتْ مظاهر للتوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام المتكلم أبي عبد الله السنوسي، وكيف كان الإمام يوفّق بين العلمين من خلال هذه المظاهر، وماذا تعني هذه المظاهر في رأي الباحث؟

**أهداف البحث**

١. التعريف بمجدد القرن التاسع الهجري الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، والتعرف على أحوال البيئة المحيطة به، والبحث في الخلفيات التصوفية والعقدية التي لها صلة بالإمام السنوسي لأجل معرفة مكونات فكره التوفيقي. وكذا القيام بتحقيق نصوص كتاب "نصرة الفقيّر في الرد على أبي الحسن الصغير"

الذي ألفه الإمام السنوسي دفاعا لأهل التصوف والطريقة، وتحقيق نصوص مهمة ذات علاقة بالموضوع من كتاب "المواهب القدوسية في المناقب السنوسي" الذي ألفه الملالي لذكر ترجمة شيخه السنوسي؛ ليكونا مصدرين مهمين لفهم آراء الإمام السنوسي في التوفيق بين العلمين.

٢. استخراج أسس التصوف عند الإمام السنوسي لتكون تلك الأصول والقواعد ضوابط اتفق على صحتها وقبولها كل من الفريقين المتكلمين والصوفية، وموازنة الآراء والقضايا الصوفية الحديثة بأسس التصوف السنوسي بهدف إيجاد حلٍّ لمشكلات معاصرة.

٣. بيان مظاهر التوفيق والتكامل بين الوحدتين العقدية والصوفية بعرض أقوال وآراء الإمام السنوسي في ذلك باستعانة نصوص كلامه الموجودة في كتاب "نصرة الفقير" وكتاب "المواهب القدوسية"، ثم تحليل هذه المظاهر ومناقشتها لأجل التعرف على أهمية المنهج التوفيقي في فكر الإمام السنوسي وكيف يمكن أن يستخدم هذا المنهج في الدرس العلمي المعاصر.

**أهمية الموضوع**

تكمن أهمية الموضوع في ثلاث نقاط، وهي:

أولا: أهمية أخذ نموذج تكامل المعارف الصوفية والعقدية ونموذج التوفيق بينهما،

ثانيا: أهمية إعادة النظر في الدرس الصوفي،

ثالثا: أهمية وضع الأصول والضوابط لعلم التصوف.

إن التعليم الإسلامي المبني على قاعدة "التأديب" في نظر البروفيسور سيد محمد نقيب العطاس هو التعليم التكاملي والشمولي الذي يسعى إلى توفير المعارف والمبادي الأخلاقية والقيم الروحية تنظيرا وتطبيقا.[٤] وأشرف المعارف المعرفةُ المتعلقة بالله، وهي التي يخدمها المتكلمون، كما

[٤] Sanusi Ismail, "Al-Attas' Philosophy of Islamic Education, (Al-Raniry International Conference on Islamic Studies (ARICIS), Aceh, Indonesia: Universitas Islam Negeri Ar-Raniry, ٢٠١٦), p٩, https://www.researchgate.net/publication/٣٤٤٣٤٦٧٥٨_AL-ATTAS'_PHILOSOPHY_OF_ISLAMIC_EDUCATION.

أن أشرف الخلُق خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر من يعتني ويشتغل به قوم يدعى بالزهاد والصوفية. فلذلك لا بد من إعطاء نموذج يجتمع فيه البعد المعرفي التوحيدي والبعد الخلقي التصوفي ليدل على صحة هذه النظرية التكاملية وإمكانية تطبيقها في أقصى مراتب علوم الإنسان وأعماله فضلا عما دون ذلك. ومشروع الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي هو النموذج المثالي لذلك حيث إن العقيدة الأشعرية التي أعلَى الإمام رايتَها كان من سماتها التوسط والاعتدال والتوفيق بين الأشياء.[٥] وهي –في نظر الإمام السنوسي وغيره من العلماء المغاربة– علم حي يتفاعل مع سائر العلوم في المجتمع ويفعّلها.[٦]

وأما الحاجة إلى إعادة النظر في التصوف فقد أدركه العلماء السابقون أمثال حجة الإسلام الغزالي[٧] ومحتسب الصوفية أحمد زروق الفاسي[٨]. ومن الباحثين المعاصرين الذين يشيرون إلى أهميتها الباحثان محمد يوسف خالد وعبد الله أريكيويو حنفي في مقالة معنونة بـ"أهمية استقامة أصحاب الطرق الصوفية ووحدة المسلمين في نيجيريا"[٩] والباحثان طارق عبد السلام لعجال والأستاذ مديا الدكتور أحمد ذكي إبراهيم في مقالة لهما مسماة بـ"التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي". ونبّه هذان الأخيران على أن إعادة النظر والمراجعة الدقيقة لتراث المدارس الصوفية ستمكّننا من بت وفض العديد من القضايا العالقة في الموضوع.[١٠] ولكن، لا

---

[٥] بوها محمد عبد الله سيدي، "الهوية الثقافية والدينية لبلاد شنقيط – موريتانيا"، **مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية**، عدد ١٩ (٢٠١٩): ص١٤٣–٧٦.

[٦] خالد زهري، **من علم الكلام إلى فقه الكلام** (الكويت: دار الضياء، ٢٠١٧)، ص١٠٠٠. بعد هذا يختصر بـ: "من علم الكلام"

[٧] ومما يشير إلى جهود الإمام في الإصلاح وإعادة النظر في محتويات درس التصوف وترتيبها كلامُه في تبريره تقسيم كتاب الإحياء إلى أربعة أرباع وفقا لتقسيم الفقهاء لكتبهم حيث كان الفقه هو العلم السائد والمرغوب فيه في زمنه. ينظر: محمد بن محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (جدة: دار المنهاج، ٢٠١٥)، ج١، ص١٥.

[٨] ومن كتبه التي ألفت بهذا الهدف كتاب عدة المريد الصادق. ينظر: أحمد زروق، **عدة المريد الصادق**، تحقيق إدريس عزوزي (المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١١).

[٩] محمد يوسف خالد وعبد الله أوريكيويو حنفي، "أهمية استقامة أصحاب الطرق الصوفية ووحدة المسلمين في نيجيريا"، **مجلة الثقافة الإنسانية لجامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM)**، (٢٠١٦).

[١٠] طارق لعجال و أحمد ذكي إبراهيم، "التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي"، **دورية التمدن** ٧، عدد ١ (٣٠ يونيو، ٢٠١٢): ص١٦٣–٨٤.

تتم عملية إعادة نظر فيما كتب حول التصوف وفيما شوهد من أعمال المنتمين إليه إلا بوجود معيار آخر غير الذي استخدم في استخراج النتائج الماضية. وينبغي أن يكون هذا المعيار الجديد أكثر استقامة أو أكثر دقة مما كان حتى تكون النتيجة الحاصلة أوضح وأبين وأدق سواء كانت النتيجة موافقةً للنتائج السابقة –مع امتيازها بزيادة حجة أو بيان أو غيرهما مما يزيد قيمتها– أو مخالفةً لها –مع وجود ما يعضد هذه المخالفة ويرجّحها. وإلا فلا يبقى لإعادة النظر أي قيمة. والمعيار الجديد والدقيق الذي يقترحه الباحث لإعادة النظر في التصوف هو ما جاد به عقل الإمام السنوسي في هذا المجال حيث إن كلامه فيه يوزن بميزان العقيدة. فلا يتكلم بلسان الصوفي المحض حتى يتيسر للمعترض أن يرفض كلامه بدعوى الشطحات في الكلام أو القصور في علم الشريعة –خصوصا علم العقيدة– وما إلى ذلك من الاعتراضات.

ثم مما لا يختلف فيه اثنان أنّ لوضع الأصول والضوابط لفن من الفنون أهميةً بالغة في تحقيق ذلك الفن. وقد مثّل الدكتور خالد زهري لذلك بمشروع الشيخ زروق الفاسي في وضع أصول التصوف وفق معيار المنطق.[١١] ولكن يتسائل الباحث "هل هناك مشروع يبين أسس التصوف وقواعده وفق معيار العقيدة؟" فهذا السؤال يحتاج إلى جواب شافٍ. وهذه الدراسة هي الجواب.

## حدود البحث

التصوف مجال واسع وشاسع، وكذلك علم الكلام والعقيدة. لذا، سيكون الكلام عن هذين العلمين داخل إطار شخصية الإمام السنوسي ومن خلال مؤَلَّفَينِ اثنين؛ هما كتاب نصرة الفقير وكتاب المواهب القدوسية. وسوف يستعين الباحث في تركيب صورةٍ كاملةٍ لتصوف الإمام بجميع مؤلفاته خاصة الكلامية والتصوفية منها، وسواء كانت تلك المؤلفات منشورة أو مخطوطة، وكذلك من خلال كتب التراجم التي تمس هذين البعدين من أبعاد حياته.

[١١] زهري، **من علم الكلام**، ص٦٦٧ وما بعدها.

**منهج البحث**

تنتمي هذه الرسالة إلى صنف البحث النوعي حيث إنها تهدف إلى فهم ظاهرة التوفيق بين التصوف والعقيدة عند متكلمي أهل السنة والجماعة خصوصا الإمام السنوسي رحمه الله. وبالتالي تصنف هذه الدراسة في مجال الآداب والعلوم الإنسانية. وقد اعتمد الباحث في هذه الرسالة على مناهج توافق طبيعة هذا البحث، وهي كالتالي:

١. المنهج الوصفي: وذلك أثناء استبيان الأسباب التي أدّت إلى ظواهر التوفيق بين علم العقيدة وعلم التصوف على يد الإمام السنوسي. وهذا المنهج يتطلب من الباجث أن يقوم بتجميع المعطيات اللازمة لأجل الوصول إلى صورة شاملة عامة للظواهر أولا، ثم بدراستها دراسة مفصلة توصل إلى تفسيرات منطقية ومبرهنة لها.

٢. المنهج الاستقرائي: يتجلى استخدام الباحث لهذا المنهج في عملية انتقاء وإحصاء المواضيع والفصول التي ذُكر أو أُشير فيها إلى نقاط تصوفية عند الإمام السنوسي من خلال الكتابين. وقد يتعدى استقراء الباحث لمثل هذه النصوص إلى ما أورده الإمام في كتبه العقدية.

٣. المنهج الاستدلالي: ومن صور استخدام الباحث له في هذا البحث استدلاله على موافقة الوقائع الحديثة أو مخالفتها للمفاهيم والمبادئ الصوفية التي استُخرجت من تراث الإمام السنوسي.

٤. المنهج التحليلي: وذلك مستعمل في محاولة التعرف على الأسباب والعلل التي يمكن أن تعتبر تفسيرات لمواقف الإمام السنوسي من أعمال الصوفية وآراءهم. وبهذه التفسيرات لم يتقيد الباحث بظاهر الكلام دون معرفة السبب الباعث عليه الذي هو الرأي الحقيقي لصاحب الكلام.

٥. المنهج المقارن: وهو المنهج الذي يستعان به في مقارنة الأفكار الصوفية عند الإمام السنوسي وعند غيره لأجل معرفة أوجه التشابه والاختلاف بينمها، ولمعرفة ما يميز الفكر الصوفي السنوسي عن غيره.

٦. المنهج التحقيقي: أو مناهج التحقيق العلمي. وذلك حين القيام بتحقيق بعض نصوص مختارة من تراث الإمام والتي لها صلة بموضوع التصوف. وسوف يسير الباحث على الخطوات التالية في عملية التحقيق:

- اختيار النصوص المناسبة للموضوع والتي لم تحقق بعد أو حققت تحقيقا رديئا.
- إعادة كتابة النص مع استعمال علامات الترقيم الحديثة.
- المقابلة بين نسختين أو أكثر من النسخ المخطوطة المختارة لأجل الوصول إلى أقرب صورة للنص الأصلي الذي ارتضاه صاحبه.
- إثبات فوارق النسخ في الهامش.
- توثيق الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية.
- الإحالة إلى ترجمة الأعلام الواردة في النص وإلى مظان الأقوال المنقولة من غيره.
- ذكر تعاريف الكلمات الغامضة في النص.
- ذكر الزيادة من قبل الباحث المحقق فيما بين القوسين هكذا (...)
- ذكر الفاصل بين صفحات المخطوطات بهذا الرمز (س/٤) مثلا، مشيرا بالحرف إلى النسخة المخطوطة، وبالعدد إلى رقم الصفحة المنتقل إليها في المخطوطة.

**الدراسات السابقة**

هناك أبحاث ودراسات كثيرة كتبت حول شخصية الإمام السنوسي وتآليفه، ولكن هذه الدراسات أغلبها تركّز على الجانب العقدي؛ إذ الرجل معروف بكونه من مجددي علم العقائد[١٢]، كما أن هناك دراسة متميزة تغطي الجانب الحديثي للإمام.[١٣] وأما جانبه الصوفي فلم

---

[١٢] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢١.

[١٣] عبد العزيز الصغير دخان، **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف** (الجزائر: دار كردادة، ٢٠١٠).

يعتنِ به كثير من الباحثين. وهذا لا يعني انعدام الدراسات التي تناولت البعد الصوفي للإمام السنوسي بالكلية. وإنما المقصود أن تلك البحوث والمقالات التي لا تتجاوز عدد الأصابع – حسب اطلاع الباحث القاصر– قد قامت بتناول هذا البعد المهم وسدت بعض الثغرات فيه، وتركت للباحث فجوات علمية أخرى لسدها بإنجاز بحث مفصل ومدقق في الباب. ولأجل تبيين مواقع الفجوات التي سُدت والتي لم تُسد بعدُ، يعرض الباحث الأبحاث التالية:

من المحققين المعاصرين الذين أولوا لتأليف الإمام السنوسي اهتماما بالغا الأستاذ أنس الشرفاوي.[١٤] هذا الرجل المتمكن في علم الكلام والتصوف قد شمر ساعد الجد في خدمة سلسلة كتب الإمام السنوسي العقدية المشتملة على "**العقيدة الكبرى وشرحها**" و"**العقيدة الوسطى وشرحها**" و"**العقيدة الصغرى وشرحها**" و"**صغرى الصغرى وشرحها**" و"**المقدمات وشرحها**". هذه الكتب وإن كانت تنظم في سلك كتب الإمام العقدية إلا أنها لم تخلُ من إشارات وتلميحات صوفية. فهُنا تأتي أهمية الباحث المحقق البصير الذي يستطيع أن يبرز هذا الجانب المهم للإمام السنوسي من خلال مؤلفاته تلك. صدَّر المحقق جميع كتب السلسلة بمقدمة تكلم فيها عن سيرة الإمام السنوسي. وهذه السيرة بعينها توجد مُثْبَتةً في جميع كتب السلسلة، لذلك يكتفي الباحث بقراءتها من أحد تلك الأعمال لأجل استخراج ما يتعلق بهذا البحث. ثم أردف المحقق كل المقدمة بالكلام عن الكتاب المحقق، كلٌّ على حدته. ولكن الذي له علاقة بموضوع التصوف إنما هو في المجلد المخصوص للعقيدة الوسطى، والصغرى، وصغرى الصغرى. لذلك سيكتفي الباجث بذكر ما ذكره المحقق في مقدمة تلك الكتب الثلاثة وما له علاقة بموضوع تصوف الإمام السنوسي فقط.

أورد الأستاذ أنس الشرفاوي في ترجمة الإمام كلاما للمترجمين له، ويتضمن كلامهم هذا على أوصاف لا ينعت به إلا من كان له حظ وافر في طريق القوم كلقب "الصوفي" و"الولي الصالح" و"الشيخ الصالح الزاهد الخاشع". ووصفه المحقق بـ"من نالته عناية ولحظات الأولياء الصالحين". ثم ذكر جملة من مشايخه ومن بينهم شيوخ الصوفية الكبار؛ الإمام الورع الصالح أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، وولي الله أبو علي الحسن أبركن، والولي العارف إبراهيم بن محمد التازي. وكان لهذا الأخير أثر كبير في الإمام السنوسي، فانتسب إليه ولبس الخرقة الصوفية على يديه.

---

[١٤] تم نشر تحقيقاته لسلسلة كتب عقيدة الإمام السنوسي من قبل دار التقوى بدمشق سنة ١٤٤١هـ الموافقة لـ٢٠١٩م.

هذه المعطيات التاريخية التي ذكرها المحقق سيساعد الباحث في توسيع مجال البحث بأن ينظر في مناقب هؤلاء المشايخ، عسى أن يجد فيها نوادر ونفائس المعلومات تمس شخصية تلميذهم هذا؛ الإمام السنوسي.

أما ما يتعلق بالممارسات الصوفية والأسس النظرية للصوفيين فقد أورد المحقق نقلا من كتاب نيل الابتهاج وكتاب النجم الثاقب ما يفيدنا بأن الإمام السنوسي كان يربي تلامذته ويرشد مريديه إلى عبودية الله بعقائد التوحيد. ويظهر هذا فيما ذكره المحقق بعده من أن عقيدته الصغرى كانت يسردها طلبته وجمع من العوام على صوت واحد إثرَ سلامهم من صلاة عصر يوم الجمعة عادة مستمرة والإمام السنوسي في محرابه مقبل على الذكر. وذكر المحقق للإمام السنوسي ممارسة أخرى قام بها أثناء شرحه لكتاب المختصر المنطقي للإمام ابن عرفة؛ فقد كان رحمه الله يستعين بالخلوة على حل عبارة هذا الأخير. ومما يجدر الوقوف عليه في هذه المقدمة أن المحقق ذكر جميع مؤلفات الإمام وأشار إلى مؤلفاته التي تشم منها رائحة التصوف.

وذكر المحقق أيضا ثلاث نقاط يمكن أن يعتبرها الباحث أسسا نظرية لتصوف الإمام. النقطة الأولى تكشف لنا حقيقة الولي العارف عند الإمام، وهو "من لو كشف له عن الجنة وحورها ما التفت إليها ولا ركن لغيره تعالى." والثانية تتعلق بكرامات الأولياء وأنها وقعت فعلا، فهي وإن كانت مخالفة للعادة التي أجراها الله في العالم فليست بمستحيلة عقلا. والثالثة هي القائلة بأن الأولياء هم الذين خاضوا في لجج بحر التوحيد والعرفان، وغابوا فيه بقدر الإمكان، وأن ما هم فيه من درجة العيان أو ما يقرب منها، فوق ما الكثيرُ عليه من درجة البرهان. فهذه الأسس الثلاثة؛ تعبّر الأولى منها عن أهمية تجريد القلب عما سوى الله تعالى، وتفيد الثانية أهمية معرفة الحكم العقلي في السلوك الصوفي، وتجلي لنا النقطة الثالثة أن تفاوت درجة الخواص والعوام سببه تفاوتهم في المعرفة والتوحيد. ولكن ظهرت للباحث هنا فجوة علمية يمكن له سدها وإتمامها؛ وذلك أن الأستاذ المحقق إنما ذكر بعضا من أسس تصوف الإمام السنوسي واستخرجها من كتب الإمام العقدية فقط، فلم يستقرئها من "المواهب القدوسية" ولا من "نصرة الفقير". فعلى الباحث استخراج تلك الأسس من الكتابين المذكورين.

ثم ينتقل الباحث إلى المبحث المخصوص بالكلام عن كتب الإمام العقدية ليرى كيف وصفها المحقق بأنها كتب ذات المزج الهادف والمعتمد لبعض الإشارات المعرفية على طريقة السادة

الصوفية. لذلك، إذا أمعنَّا النظر في شرح العقيدة الصغرى نجد الإمام السنوسي قد تأثر تأثرا جليا بالإمام محمد الساحلي المالقي[١٥] صاحب كتاب "بغية السالك في أشرف المسالك" في التصوف، وأن الإمام السنوسي ختم كتابه هذا بتعليم كيفية تطبيق العلوم العقدية وهي أن يذكر الطالب كلمة الإخلاص بتمامها على طريقة العارفين المحققين. وفي شرح العقيدة الوسطى يرى الباحث أنه يؤكد على وثوق الصلة بين الشريعة والحقيقة فوصف من كان عارفا بمذهب أهل الحق بكونه جامعا بينهما. كما أنه أيضا تطرق من خلال هذا الكتاب إلى مسألة الكرامة فجوّز وقوعها على أيدي الأولياء وشنع من يستعظم ذلك. أما في شرح صغرى الصغرى فلم يذهب الإمام بعيدا عن مسلكه هذا حيث إنه لم يزل يعجن نص الكتاب بالتربية الأخلاقية ويعمق مفهوم العبودية في نفس القارئ. فهذه الدراسة وإن كانت لم تُحِط الموضوع بجميع جزئياته إلا أنها ستعين الباحث في تصيّد الأفكار الصوفية من مؤلفات الإمام العقدية.

ومن بين البحوث التي كُتبت حول قضايا الصوفية عند الإمام السنوسي مقالة للباحث جلول بلحاج موسومة بـ"**محمد بن يوسف السنوسي (٨٣٢-٨٩٥هـ/١٤٢٨-١٤٩٠م) وموقفه من التصوف وصوفية زمانه**."[١٦] يمكن أن تعتبر المقالة التي كتبها الأستاذ بلحاج أفضل ما كتب في الموضوع حيث استوعب كثيرا من المفاهيم والأسس الصوفية التي حددها الإمام السنوسي وضمَّنها في كتبه. صدر الكاتب مقالته بتعريف وجيز للإمام، فذكر فيه أن الإمام نشأ في بيئة صوفية وأن له صلة علمية بصوفية عصره كالشيخين الحسن أبركان ونصر الزواوي. ثم انتقل إلى الحديث عن الحالة الصوفية بالغرب الإسلامي عموما فذكر أن التصوف في هذا القطر يتميز بكونه مبنيا على الأسس العملية كالزهد والنسك والمجاهدة دون التغلغل في أسسه العلمية كالمكاشفات والحقائق. ولذلك لم يقع الصراع بين المتفقهة والمتصوفة إلا بعد وصول إحياء الإمام الغزالي وإثارته استنكار الأئمة. ولكن الأمر سرعان ما تمهد لصالح هذا الأخير

---

[١٥] هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي المالقي، المعروف بالمعمم. ولد في ٧٥٤هـ/١٣٥٣م. من كتبه:"شعب الايمان"، و"النفحة القدسية"، و"بغية السالك إلى أشرف المسالك"، و"نهزة التذكرة ونزهة التبصرة". ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ج٧، ص٣٦.

[١٦] جلول بلحاج، "محمد بن يوسف السنوسي (٨٣٢-٨٩٥هـ-١٤٢٨-١٤٩٠م) وموقفه من التصوف وصوفية زمانه"، **الشهاب** ٥، عدد ٢ (٣٠ يونيو، ٢٠١٩): ص٤١٥-٤٦.

وأصبحت كتبه عمدة في الباب. وبهذا أنهى الكاتب كلامه فيما يتعلق بالأرضية الصوفية لبلد الإمام لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الأبعاد التصوفية لشخصية الإمام السنوسي بالخصوص.

تتجلى الأبعاد الصوفية في حياة الإمام السنوسي -كما بينها جلول بلحاج- في أمور عدة؛ منها أن الإمام السنوسي نشأ في أسرة متدينة ذات صبغة صوفية حيث سجل لنا التاريخ قصة كرامة وقعت بين أبيه وأخت أبيه. وأنه لما كبر السنوسي بدأ يتلقى العلوم عن المشايخ وألبسه الشيخ إبراهيم التازي الخرقة الصوفية. وأنه لم تكن علاقة السنوسي بالتصوف علاقة نشأة وتَلَقٍّ فقط، بل تصدى لنشر الأفكار الصوفية بتدريس كتب القوم كالإحياء للغزالي والتشوف للتادلي، وتلقين الذكر والأوراد، والتأليف في هذا المجال. ولا شك أن ما ذكره الباحث في هذا الفصل يمكن أن يجعل منطلقا للكشف عن شخصيته الصوفية بشكل أوضح.

ثم شرع في بيان ضبط مفاهيم التصوف عند الإمام السنوسي. وقد لفت هذا الموضوع نظر الباحث لاشتماله على معلومات ذات أهمية بالغة في تركيب الأسس النظرية للتصوف عند الإمام السنوسي. وقد تكلم الباحث ففَصَّلَ القول وأتى بنماذج، ومن أهم ما تناول فيه بالبحث القول في الكرامة، والقول في الولاية، والقول في تسليم حال الصوفية، ومبدأ العمل بالعلم، والقول في العزلة، والدفاع عن الصوفية بالرد على منكريهم. ولكن هذا كله لا يمنع الباحث من الشروع في كتابة هذا الموضوع لأن الكاتب بلحاج ترك في دراسته فجوة كبيرة في رأي الباحث وهي أنه لم يربط الأفكار بالقضايا المعاصرة ولم يتناول تلك المفاهيم والأسس تناول المستنبط والمستدل، وإنما تناولها تناول الواصف الجامع.

ومن المقالات التي لها علاقة بموضوع الباحث ما كتبه طرواية عمر في مجلة "منيرفا" تحت عنوان "**مسألة العقل والقلب في فلسفة التصوف عند الإمام ابن يوسف السنوسي التلمساني**".[١٧] اعتبر صاحب المقالة شخصية الإمام السنوسي أنموذجا مناسبا للتأكيد على ضرورة الازدواجية الجامعة بين النظر العقلي والذوق القلبي في إطار المعرفة الصوفية الحقة. واختاره كممثل للصوفية في إبانة عنصر من أهم العناصر التي تشكل المعرفة الصوفية وهو عنصر العقل والقلب وعلاقة أحدهما بالآخر. ولقد كان لهذين العنصرين جدال ونقاش عميق الغور وطويل

[١٧] عمر طرواية، "مسألة العقل والقلب في فلسفة التصوف عند الإمام ابن يوسف السنوسي التلمساني"، **مجلة منيرفا** ٤، عدد ١ (١٧ مارس، ٢٠١٨): ص١٣٣–٥٢.

الذيل؛ رجح بعض الصوفية وظيفة العقل على القلب وفي مقابله رجح بعضهم الآخر الثاني على الأول، وثمة مذهب ثالث قال بالتوفيق بينهما، وهو -في رأي صاحب المقالة- المذهب الذي يجسده تعليم الإمام السنوسي وتأليفه. ثم استرسل في شرح مفهوم العقل والقلب عند الصوفية الذين سبقوا السنوسي أمثال المحاسبي[١٨] والتستري[١٩] والحكيم الترمذي[٢٠] وابن عربي[٢١]. ثم أردفه بمحاولة إبراز العلاقة والربط بين علم الكلام والفلسفة في نظر الإمام السنوسي فذكر أن استدلاله للمسائل الكلامية مبني على الطريقة الأرسطية في المنطق. وذلك لأجل بيان المكانة التي يحتلها العقل من خلال تلك الأدلة والبراهين المنطقية التي استخدمها الإمام في جميع مؤلفاته. ثم انتقل من الكلام عن الممارسة العقلية لدى الإمام السنوسي إلى الكلام عن الممارسة الروحية التي تعتمد على القلب.

ويرى الباحث أن الكاتب قد ترك فجوات علمية في مقالته هذه حيث إنه قصر نظره في بعض مؤلفات الإمام العقدية المشهورة كالعقائد الصغرى والوسطى والكبرى دون أن يرجع

---

[١٨] الزاهد العارف، شيخ الصوفية أبو عبد الله، الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، صاحب التصانيف الزهدية يروي عن يزيد بن هارون يسيرا. روى عنه: ابن مسروق، وأحمد بن القاسم، والجنيد، وأحمد بن الحسن الصوفي، وإسماعيل بن إسحاق السراج، وأبو علي بن خيران الفقيه، إن صح. ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين. ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، ج١٢، ص١١٠.

[١٩] هو سهل بن عبد الله ابن يونس، شيخ العارفين أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد. صحب خاله محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه. قيل توفي سهل بن عبد الله في سنة ثلاث وسبعين وليس بشيء، بل الصواب موته في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين. ويقال عاش ثمانين سنة أو أكثر. ينظر: الذهبي، **سير الأعلام**، ج١٣، ص٣٣٠.

[٢٠] الحكيم الإمام الحافظ العارف الزاهد أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي. حدث عن أبيه وقتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر، وصالح بن عبد الله الترمذي، وعتبة بن عبد الله المروزي، ويحيى خت، وسفيان بن وكيع، وعباد بن يعقوب الرواجني وطبقتهم. وكان ذا رحلة ومعرفة، وله مصنفات وفضائل. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٣، ص٤٣٩.

[٢١] العلامة صاحب التواليف الكثيرة محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي بن العربي، نزيل دمشق. ذكر أنه سمع من ابن بشكوال وابن صاف، وسمع بمكة من زاهر بن رستم، وبدمشق من ابن الحرستاني، وببغداد. وسكن الروم مدة، وكان ذكيا كثير العلم، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرد، وتعبد وتوحد، وسافر وتجرد، وأتهم وأنجد. توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ص٤٨.

إلى مؤلفاته التصوفية. إضافة إلى ذلك، أنه كثيرا ما يعتمد على أقوال غيره من الباحثين ولم يأتِ بجديد إلا في نادر الأحيان. وأما الأفكار التي جاء بها بنفسه فإنه لم يذكر لها مستندا ولا مرجعا يمكن العودة إليها عند الحاجة لتحقق صحة رأيه فيها، كما في إيراده للأسس والقواعد الضرورية للتصوف الحقيقي عند الإمام السنوسي. هذا، ولَمَّا يتحدثِ الباحث عما ارتكبه الكاتب من الجرائم اللغوية التي لا يتصور وقوعها من الباحثين المتمكنين كجَرِّ ما يستحق الرفع. وقد طغى على كتابته هذا النوع من الجريمة. ولكن –مع هذه المآخذ كلها– استفاد الباحث منه نقطة واحدة يمكن تفصيلها والبحث عما يعضدها من خلال مؤلفات الإمام السنوسي نفسه. وهي النقطة التي تفيدنا أن الذكر في نظر الإمام المتكلم السنوسي هو الذي يمثل همزة وصل بين الشق النظري لعلم التوحيد المنبني على أسس العقل وبين الشق العملي منه الذي يركز على استحضار القلب لمعاني كلمة التوحيد. فهذه النقطة يمكن أن يعتبرها الباحث منطلقا للبحث عن حقيقة العلاقة بين العقل والقلب عند الإمام السنوسي، وليست هي نهاية المرام وخلاصة الكلام كما ظنّه صاحب المقالة.

ونُشِرَت قبل هذه المقالة، مقالة أخرى في موقع "مؤمنون بلا حدود" في سنة ٢٠١٦م موسومة بـ"**بعض سمات الكلام السنوسي وحدوده**" للدكتور سعيد البوسكلاوي.[٢٢] هذه المقالة كغيرها من المقالات التي تتناول شخصية الإمام السنوسي بالبحث لأجل الكشف عن مدى جدية مشروعه الكلامي. إلا أنها تتميز بوجود بعض لمسات لتصوفه. تحدث الكاتب من خلال مقالته عن ثلاثة عناصر تتعلق بالإمام؛ العنصر الأول يتولى البيان عن الحالة الفكرية والعقدية التي ولد ونشأ فيها هذا الإمام. والثاني لبيان اعتراض الإمام على مسلك المتأخرين الأشاعرة الذي يمثله الإمام الرازي وكيف أعاد السنوسي علم الكلام إلى وضعه الأول الذي ارتضاه المتقدمون الأشاعرة. والعنصر الأخير لبيان حدود المشروع الكلامي السنوسي. وهذا العنصر الأخير هو محط نظر الباحث في هذه المقالة حيث كان كاتبها يعتبر التصوف إحدى المعطيات

---

[٢٢] سعيد البوسكلاوي، "بعض سمات الكلام السنوسي وحدوده"، **مؤمنون بلا حدود(blog)**، ١٨ يناير، ٢٠١٦، https://www.mominoun.com/articles/%D٨٪A٨٪D٨٪B٩٪D٨٪B٦-%D٨٪B٣٪D٩٪٨٥٪D٨٪A٧٪D٨٪AA-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٨٪D٨٪B٣٪D٩٪٨A-%D٩٪٨٨٪D٨٪AD%D٨٪AF%D٩٪٨٨٪D٨٪AF%D٩٪٨٧-٤٠٤٠.

الثلاثة التي تُشَكِّلُ وتُحَدِّدُ أفق مشروع السنوسي الكلامي.[٢٣] إلا أن صاحب المقالة لم يعالج الموضوع بدقة، بل اكتفى بذكر بعض مظاهر عامة، ككون الإمام كتب رسالة في موضوع التصوف، وأنه أوجد الأعذارَ لمقالات الصوفية التي توهم الاتحاد، وأنه وصفهم بالولاية. وأفضل النقاط التي ذكرها الكاتب شيئان؛ أن الإمام السنوسي اشترط في التصوف أن يكون على أصل علمي، وأنه يقول بوجوب تسليم كلامهم لهم إذا لم يتبين معناه.[٢٤] فهذان يمكن أن يعتبرا قاعدتين مهمتين في فهم موقف الإمام من التصوف، ومع ذلك لم يزودنا البوسكلاوي بشيء من البيان فيهما.

ثم من الباحثين المعاصرين الذين أَولوا اهتماما كبيرا لعلم الكلام والتصوف في الغرب الإسلامي الدكتور خالد زهري. وتولى بيان ذلك في كتابه المعنون بـ"**الفقه المالكي والكلام الأشعري: محاولة لإبراز بعض ملامح الإبداع الكلامي والصوفي عند فقهاء المغرب**".[٢٥] لما كان هذا الكتاب موضوعا للبحث عن علاقة علم الكلام بعلم التصوف لدى علماء المغرب –ولا شك أن الإمام السنوسي أحد أساطين العلماء المغاربة– فقد تكلم مؤلف الكتاب عن الإمام في فصل خاص وأشار إلى نقطة مهمة تتعلق بموقف الإمام من علم التصوف. وذلك حين تعرّضه للكلام عن مكانة علم العقيدة عند الإمام، فساق كلاما للإمام السنوسي ما مفاده أن التوحيد أشرف من الفقه والتصوف وجميع العلوم.[٢٦] إلا أن المؤلف لم يزودنا بمعلومة أخرى في الموضوع سوى ما أجمله في آخر هذا الفصل من كون الإمام قد ربط علم المنطق بالتجربة الروحية.[٢٧] وهاتان النقطتان وإن كانتا مهمتين إلا أنهما لم تَفِيَا بغرض كشف رأي الإمام تجاه الصوفية وأعمالهم.

---

[٢٣] البوسكلاوي، **بعض سمات الكلام**، ص٢٤.

[٢٤] البوسكلاوي، **بعض سمات الكلام**، ص٢٤.

[٢٥] زهري، خالد، **الفقه المالكي والكلام الأشعري محاولة لإبراز بعض ملامح الإبداع الكلامي والصوفي عند فقهاء المغرب** (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ٢٠١١). بعد هذا يختصر بـ"الفقه المالكي والكلام الأشعري".

[٢٦] زهري، **الفقه المالكي والكلام الأشعري**، ص٥٩.

[٢٧] المرجع نفسه، ص٦٣.

وهناك بحث آخر مهم كتبه الدكتور طاهر بونابي وهو المعنون بـ"**التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م)**".[٢٨] ابتدأ صاحب المقالة بذكر المصادر التي تكشف لنا الصورة الكاملة للتوحيد العرفاني عند الإمام. ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المؤثرات التي تشكل شخصية الإمام السنوسي الفلسفية والعقدية والصوفية. فبدأ بذكر مصادر الإمام في مشروعه التصوفي كاعتماده على قول ابن تومرت[٢٩] في وجوب اتخاذ الشيخ في طريق التصوف، واعتماده على شرح ممتزج بالأفكار الصوفية كشرح ابن دهاق على إرشاد الجويني وعلى المشاريع الصوفية ككتاب محاسن المجالس لابن العريف والحقائق والرقائق لأبي عبد الله محمد المقري. ومما يجدر ذكره هنا أن صاحب المقالة ذكر القاعدة الأساسية للتصوف السنوسي التي ذكرها الدكتور خالد زهري وهي "أن علم التوحيد هو أفضل العلوم". إلا أن ما ذكره هنا يتميز عما ذكرها زهري حيث إنه قيّد "العلوم" بـ"الظاهرة". وبهذا القيد أصبح معنى كلامه أن علم التوحيد أجل العلوم الظاهرة. فَفُهم منه أن الحكم لا يشمل العلوم الباطنة. وهو بذلك يفيد ما لا يفيده نقل غيره عن السنوسي كنقل الدكتور خالد زهري. ثم أورد صاحب المقالة خمس مرتكزات قام عليها تصوف الإمام السنوسي التوحيدي العرفاني، وهي: أولا- اكتساب المعرفة الرسمية لكلمة التوحيد وللأسماء الحسنى؛ ثانيا- اكتساب المعرفة الذوقية بواسطة ترديد الأسماء الحسنى والهيللة مع استحضار المعارف الرسمية لتلك الكلمات؛ ثالثا- المجاهدة القائمة على أساس التعلق والتخلق بأسماء الله الحسنى؛ رابعا- التوفيق بين الشريعة والحقيقة، وأخيرا- المكاشفة التي تزيد صاحبها زهادة فيما سوى الله. فهذه المقالة مهّدت للباحث خمس معالم التصوف السنوسي، ويبقى له أن يستخرج البواقي ويصنفها تصنيفا مناسبا لأهداف هذا البحث.

وأما البحوث التي كتبت لأجل بيان مدى تأثير منهج الإمام السنوسي التوفيقي فلم يوجد -حسب اطلاع الباحث القاصر- إلا بحث واحد. وهو البحث الذي كتبه الدكتور Che

---

[٢٨] الطاهر بونابي، "التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م)"، **مجلة عصور الجديدة**، (١٠ يوليو، ٢٠١١).

[٢٩] الشيخ الإمام، الفقيه الأصولي الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، الخارج بالمغرب، المدعي أنه علوي حسني، أخذ عن إلكيا الهراسي، وأبي حامد الغزالي، وأبي بكر الطرطوشي، وجاور سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٩، ص٥٣٩.

Razi Jusoh والمعنون بـ"**The Malay Exposition of al-Sanusi's Umm al-Barahin**" (شروح الملايويين لمتن أم البراهين للسنوسي).[٣٠] ولكنه لا يذكر ذلك إلا تلميحا في الصفحة ٢١ من كتابه حيث ذكر أن أغلب شراح أم البراهين الملايويين كانوا متبعين للطريقة الشطَّارية، وسرد في هامش هذه الصفحة وما يليها أسماء العلماء الذين لهم جهد في خدمة أم البراهين وفي نشر الطريقة الشطارية التي هي من الطرق المنتمية إلى مذهب الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي.

وأما البحوث التي كتبت حول الموضوع من قبل المستشرقين الغربيين فقد وقف الباحث على مقالة مطولة للباحثة كاتلين أولسون (Caitlyn Olson) التي بعنوان "ما بعد التحول الأفلاطوني: عقائد محمد بن يوسف السنوسي (ت. ٨٩٥/١٤٩٠)" (Beyond the Avicennian Turn: The Creeds of Muḥammad b. Yūsuf al-Sanūsī (d. ٨٩٥/١٤٩٠)). تكلمت الباحثة في مقالته هذه عن منهج الإمام السنوسي في تأليف العقائد، وكيف كان يرفق الامتزاج الكامل بين علم الكلام وعلم الفلسفة، ويفضل طريقة الإمام الجويني في كتابة العقائد خصوصا الطريقة التي نتهجها الجويني في كتابه الإرشاد. أما ما يتعلق بالتصوف فقد ذكرت الباحثة أن الإمام السنوسي كان يكتب كتابه أم البراهين للذين يهتمون بصحبة الشيخ المرشد، وأن الإمام السنوسي وإن كان يؤمن بالتصوف إلا أنه لم يشحن كتبه العقدية بآراءه الصوفية. والباحث يرى أن قولها هذا فيه نظر، وأن الفجوة وجدت في دراستها حيث لم تتناول الباحثة ولم تدرس كتابين مهمين في موضوع تصوف الإمام السنوسي وهما نصرة الفقير والمواهب القدوسية اللذان هما موضوع دراسة الباحث في هذا البحث.

وفي الأخير، يخلص الباحث إلى أن موضوع التصوف السنوسي لَمَّا يحظَ اهتماما لائقا به، ولم يزل ينتظر تصدي الباحثين لسد فجواته. وذلك يتم باستقراء واستقصاء جميع الآراء الصوفية المبثوثة في تآليف الإمام السنوسي العقدية والصوفية وغيرهما، وكذا المبثوثة في كتب التراجم التي عالجت سيرة الإمام وسير مشايخه. ويُقارَن ما في الكتب التصوفية التي تولى الإمام تدريسَها وما أورده هو في تآليفه، ثم يقوم الباحث بمناقشة جميع النظريات الصوفية التي تم

---

[٣٠] Che Razi Jusoh, *The Malay Exposition of Al-Sanusi's Umm al-Barahin*, First edition (Batu Caves, Selangor, Malaysia: Islamic and Strategic Studies Institute Berhad, ٢٠١٦).

حصرها ردًا أو قبولًا، واستدلالا واستئصالا. ثم يُنَزِّلُ ويُطبِّق تلك الأسس والنظريات الصوفية والأعمال التي مارسها الإمام في ساحة الواقع المعاصر.

# الباب الثاني

# التعريف بمجدد القرن التاسع الهجري الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي

**مقدمة**

إن البحث عن الفكر التوفيقي لدى الإمام أبي عبد الله السنوسي يتطلب من الباحث معالجة سيرة حياته لأجل معرفة مدى تأثره بالأفكار المحيطة به ومدى تأثير فكره في غيره. فتأثره بمحيطه يجر الباحث إلى الحديث عن أسرته وشيوخه والبيئة العلمية والاجتماعية التي عاش فيها، كما أن استبيان مدى تأثيره في الغير يجر الباحث إلى الكلام عن طلابه الذين انتفعوا به وعن أعماله وأخلاقه وتآليفه التي تجعله يستحق التقدير والاعتراف والثناء الجميل من قبل العلماء المعاصرين واللاحقين له.

فهذه الأمور هي التي يتكون منها الفصل الأول من هذا الباب، وهو الفصل الذي تتضح من خلاله سيرة الإمام السنوسي، وأحوال بيئته، وشيوخه وتلامذته، والمؤلفات التي جادت بها قريحة هذا الإمام المجدد. كل ذلك لأجل تمهيد الطريق للدخول إلى الفصل الثاني الذي يعتقده الباحث من إبداعات هذا البحث؛ حيث إن القضايا التي ستُناقَش فيها لم يسبق إليها الباحثون المتقدمون. ألا وهي المكونات الفكرية التي أسهمت إسهاما كبيرا في نشأة الفكر التكاملي والمنهج التوفيقي لدى الإمام السنوسي الذي يُعنى بالتصوف والعقيدة في الآن نفسه.

وليكن الحديث في الفصل الثاني يندرج تحته مبحثان؛ الأول في إبانة صورة صحبة الإمام السنوسي للشيوخ الصوفية وثمرة هذه الصحبة المتجلية في فكره ومنهجه التوفيقي. والثاني في التعريف بالعلماء الذين بفضلهم صار الإمام السنوسي أحد أعمدة علم الكلام في القرون المتأخرة. ولا يكتفي الباحث بالحديث عن شيوخه في التصوف وعلم الكلام فقط، بل يذكر مع ذلك المؤلفات والكتب الكلامية والتصوفية التي اطلع عليها الإمام السنوسي واستفاد منها حتى يحقق الباحث هدفه من هذا الفصل؛ وهو التعرف على الخلفيات التي تمكّن الإمام السنوسي من القيام بمشروع التوفيق بين التصوف والعقيدة.

ثم يختتم الباب بذكر نتائج ما عالجه الباحث في الفصلين وكيف هذه المعلومات تساعده في تفسير العلاقة بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي. ثم يكتمل جميع ذلك برسم تشجير الصلات العلمية الموجودة بين الإمام السنوسي وشيوخه من الصوفية والمتكلمين.

**الفصل الأول: نبذة عن سيرة الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي**

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الصوفي المتكلم المجدد في علم العقيدة محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب. يكنى بأبي عبد الله، ويلقب بالسنوسي نسبة إلى بني سنوس بالمغرب وهم قبيلة من قبائل برابرة تلمسان.[١] وكان الإمام السنوسي شريفا حسنيا من جهة أم أبيه، ولأجل ذلك لقّب بالحسني أيضا نسبة إلى حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ولد الإمام السنوسي ببلدته تلمسان، إلا أن الباحثين لم يهتدوا إلى تاريخ ولادته بالتحديد بسبب اضطراب نقل تلميذه الملالي في عمره بعد الجزم بتاريخ وفاته[٢] كما يأتي بيانه في موضعه. ولأجل هذا، اختار مجموعة من العلماء والباحثين كالدكتور خالد زهري القول بأنه ولد بعد عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م[٣] ولم يحددوه تحديدا. فشمل ذلك السنوات التي قيل إن الإمام السنوسي ولد فيها وهي سنة ٨٣٢هـ و٨٣٩هـ و٨٤٠هـ.[٤]

نشأ الإمام السنوسي وترعرع في بيت مشهود له بالصلاح والعلم. كان أبوه معلم القرآن، وكان رجلا صالحا وزاهدا.[٥] وللإمام السنوسي أخت اسمها عائشة، كانت امرأة صالحة وماتت

---

[١] خالد زهري، **ثلاث عقائد أشعرية**، سلسلة ذخائر من التراث الأشعري المغربي ٢ (تطوان: مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث، ٢٠١٢)، ص١١. بعد هذا يختصر بـ: ثلاث عقائد.

[٢] أنس محمد عدنان الشرفاوي، "ترجمة الإمام السنوسي"، **في شرح العقيدة الكبرى للإمام السنوسي** (دمشق: دار التقوى، ٢٠١٩)، ص١٢. بعد هذا يختصر بـ: "ترجمة الإمام السنوسي".

[٣] زهري، **ثلاث عقائد**، ص١١.

[٤] الشرفاوي، **"ترجمة الإمام السنوسي"**، ص١٢.

[٥] محمد بن إبراهيم الملالي، "**المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**" (مخطوط، الخزانة الحسنية، د.ت)، ص٨. بعد هذا يختصر بـ: المواهب (ح).

قبل أبيها.[٦] وله أخ لأمه اسمه علي بن محمد التالوتي[٧]، وهو معدود من جملة مشايخ الإمام السنوسي.[٨] وذكرت الباحثتان حميدة بالمهدي ونريمان جنيدي أن له أخا لأبيه واسمه يعقوب. ولم تذكرا أي مرجع لذلك.[٩] ولعلهما اطلعتا على مصدر من المصادر التي وجدت فقط في بلدتهما الجزائر وهي التي كانت بلدة الإمام السنوسي قديما.

بدأت مسيرته العلمية بقراءة القرآن الكريم على أبيه[١٠] وأخذ مبادئ العلوم عنه[١١]، ثم قرأ الفقه على أخيه سيدي علي التالوتي الذي كان يصطحبه معه إلى المجالس العلمية الراقية في حاضرة تلمسان.[١٢] هكذا بدأت مسيرته العلمية المشرقة إلى أن أصبح مجددا لهذه الأمة أمر دينها في رأس المائة التاسعة.[١٣] والحديث عن بقية شيوخه وتلاميذه وأحوال عيشه سيأتي في الفقرات الموالية.

## الأحوال السياسية والاجتماعية والبيئة العلمية في زمانه

عاش الإمام السنوسي في عهد الدولة الوطاسية التي اعتبرت عند بعض الباحثين أسوأ مراحل الانحطاط في تاريخ المغرب الأقصى. فقد وصفها المؤرخ الأديب عبد الله كنون (ت. ١٩٨٩م) في كتابه "النبوغ المغربي" بكونها زاغت عن الصراط المستقيم وأنها اشتغلت بالتهالك على طلب

---

[٦] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٨.

[٧] علي بن محمد التالوتي الانصاري، أبو الحسن: فقيه مالكي (٨٩٥هـ/١٤٩٠م)، حافظ. وهو أخو الإمام محمد بن يوسف السنوسي لأمه، ومن أكابر أصحاب الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان. قال الملالي: "كان محققا متقنا حافظا، قرأ عليه أخوه محمد السنوسي في صغره، وما رأيته قط مشتغلا بما لا يعنيه، بل إما ذاكرا أو قارئا للقرآن أو مشتغلا بمطالعة".ينظر: عادل نويهض، **مُعجَمُ أعلام الجزائِر**، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ)، ص٥٧.

[٨] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١١.

[٩] حميدة المهدي ونريمان جنيدي، "محمد بن يوسف السنوسي وآثاره العلمية" (بحث الماجستر غير المطبوع، الوادي، جامعة حمة لخضر، ٢٠٢٠)، ص١٢. بعد هذا يختصر بـ: "محمد بن يوسف السنوسي".

[١٠] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٨.

[١١] الشرفاوي، **"ترجمة الإمام السنوسي"**، ص١٣.

[١٢] المهدي وجنيدي، **"محمد بن يوسف السنوسي"**، ص١٣.

[١٣] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢١.

السلطة.[١٤] وحكم الباحث إسماعيل بن محمد الرشيد السلاوي على الوطاسيين بأنهم شؤم على الأمة وضرر على المجتمع المغربي.[١٥] وأقبح من ذلك، ما فعله المستشرق أوغست كور (A. Cour) (ت. ١٩٤٥م) في كتابه "دولة بني وطاس" حيث إنه لم يذكر اسما من أسماء العلماء في هذا العصر إلا في سياق تقرير واقع سياسي سيء، دون أدنى إشارة إلى دورهم في خدمة المجتمع وإسهاماتهم في نشر العلم وتثقيف الناس.[١٦]

ولكن دعوى هؤلاء تجاه الوطاسيين لم يرتضها الدكتور خالد زهري؛ المتخصص في علم الكلام وتاريخه بالمملكة المغربية، فأعاد النظر فيها وأقام الحجج القوية المستندة على المعطيات الفيلولوجية والكوديكولوجية والتاريخية تفصح بفساد ما ادعاه هؤلاء الباحثون. ومما ذكر في معرض إبطاله لدعواهم أن الاجتهاد والإبداع وغزارة التأليف التي وجدت في الدولة الوطاسية كانت شهود عدل على أنهم ما تهالكوا على السلطة على حساب التطور العلمي في عهدهم.[١٧] ويُفهم من هذا أن التطور العلمي والازدهار المعرفي الموجودين في دولة بني وطاس يدلان على أن استقرار الوطن وقتئذ لا ينعدم بالكلية، وإنما الواقع هو وجود الاضطراب المعتاد عليه لدى الحكومات والسلاطين في تلك الأزمنة السالفة. وإلا فقد سجل عبد الله كنون نفسه ما وقع للدولات السابقة لبني وطاس واللاحقة لها من المنازعات والاضطرابات.[١٨] ومن ثم، هذا الاجتهاد والإبداع وغزارة التأليف تجعل الدعوى السابقة تفتقر إلى دليل علمي يسندها.

---

[١٤] عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج١، ص٢٣٣. بعد هذا يختصر بـ: "النبوغ المغربي".

[١٥] إسماعيل بن محمد الرشيد السلاوي، **جلاء الظلام الدامس في موجز تاريخ المغرب إلى عصر محمد الخامس** (المحمدية: مطبعة فضالة، ١٩٥٧)، ص٩٠.

[١٦] أوغست كور، **دولة بني وطاس (١٤٢٠-١٥٥٤)**، ترجمة محمد فتحة (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٠).

[١٧] خالد زهري، **المصادر المغربية للعقيدة الاشعرية: ببلوغرافيا ودراسة ببلومترية**، دراسات ببلوغرافية ١ (الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء، ط١، ٢٠١٧)، ج١، ص٢٨٧—٨٨. بعد هذا يختصر بـ: "المصادر المغربية".

[١٨] ينظر مثلا في "النبوغ المغربي" ما سجله عبد الله كنون من المنازعة الواقعة بين الدولة المرابطية وزعيم الدولة الموحدية المهدي ابن تومرت التي وصفها بـ"الانقلاب الموحدي العظيم" (١: ١٠٣)، وينظر أيضا الكوارث الواقعة في أواخر أيام الدولة المرينية التي وصفها كنون بضعف القيادة وعدم اجتماع الكلمة وخيانة الرؤساء والأندلسيين (١: ١٧٥). وكذا ما

أما الصورة اللامعة والمشرقة للوضع العلمي في عهد بني وطاس فقد استدل عليها الدكتور خالد زهري بما سجله أحد كبار علماء تلك الدولة وهو الشيخ أبو الحسن علي بن ميمون الغماري الفاسي[١٩] (ت. ٩١٧هـ) الذي كان يتقلد منصب القضاء في منطقة شفشاون أيام الأمير أبي الحسن علي بن راشد الأكبر. قال: "فلما أتيت إلى فاس وجدتها روضة من رياض الجنة. وذلك على أول أيام المريني الشيخ ابن أبي زكريا الوطاسي رحمه الله وبارك في ذريته. وكان في ذلك الزمان الرجال الأفاضل من العلماء فقها وقراءة."[٢٠]

هذا أحد الحجج التي أوردها الدكتور خالد زهري لإثبات حسن البيئة التي عاشها الإمام السنوسي. لكن الباحث يرى أن أهم حججه في إثبات ذلك هو ظهور أحد أساطين الفكر الكلامي الأشعري بالغرب الإسلامي الذي كان مجتهدا في هذا الميدان ومجددا بدون منازع؛ ألا وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الذي هو موضوع هذه الرسالة. فإن الإمام السنوسي قد استطاع أن يطبع تاريخ تطور المذهب الأشعري بمرحلة اتسمت باسمه، وهي "المرحلة السنوسية"، والتي ما زالت تبسط سلطتها المعرفية على المغاربة والمشارقة إلى الآن.[٢١] وأهل العلم لا يشكون في الظاهرة العلمية التي أنشأتها العقائد السنوسية، كما أنهم لا يشكون في إمامة السنوسي وتجديده للدرس الكلامي. وقد أفصحت المعطيات الكوديكولوجية بأن النسخ المخطوطة للعقائد السنوسية بمختلف عنواناتها في الخزانة الحسنية وحدها تتجاوز

---

حصل للدولة السعدية من الحروب بين أولاد الملك لأجل طلب العرش وما حصل بين رئيس أهل الزاوية الدلائية الذي اغتنم فرصة ضعف الحكومة لأجل إنشاء دولة جديدة وبين مولاي رشيد ملك العلويين الذي قام بحرب هؤلاء الدلائيين وكاد أن يفنيهم (١: ٢٦٩).

[١٩] علي بن ميمون بن أبي بكر بن علي بن ميمون بن أبي بكر بن يوسف بن إسماعيل بن أبي بكر الهاشمي، القرشي، المغربي، الغماري الفاسي، نزيل صالحية دمشق، عرف بأبي الحسن. صوفي، مشارك في بعض العلوم. من تصانيفه الكثيرة: بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من أهل مصر والشام وما يليها من بلاد الاعجام، مبادىء السالكين إلى مقامات العارفين، سفينة النجاة، رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن، وتعظيم الشعائر من الصوامع والمساجد والمنابر. ولد في ٨٥٤هـ وتوفى سنة ٩١٧هـ. ينظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي بيروت، ٢٠٠٦)، ج٧، ص٢٥١.

[٢٠] زهري، **المصادر المغربية**، ج١، ص٢٨٧.

[٢١] المرجع نفسه، ج١، ص٢٨٨.

مائة وسبعين نسخة.[٢٢] أضِف إلى تلك الجملة ما وُجدت في مائات المكتبات في أرجاء المغرب حتى يحصل بذلك اليقين بأن وجود هذا الإمام وتأثيره هو وحده كاف لإثبات ازدهار المجتمع المغربي في ذلك الزمان. فكيف إذا انضم إليه أسماء العلماء الآخرين كما سنتعرف على بعضها في الفصل الثاني من هذا الباب.

وهذا لا يعني أن المجتمع المغربي في زمن الإمام السنوسي كانوا في ثراء ورفاهية. بل حالهم كحال غيرهم من الأمم؛ اعتراهم الجوع والغلاء في بعض الأوقات بسبب عدم الاستقرار المادي. والدليل على ذلك ما سجله صاحب نيل الابتهاج من حال الإمام السنوسي وإرشاده حيث قال: "وكان يأمر أهله بالصدقة سيما وقت الجوع، ويقول: «من أحب الجنة فليكثر الصدقة خصوصا في الغلاء.» كثير التصدق بيده."[٢٣]

وعودا على حجة الدكتور خالد زهري السابقة القائلة بأن الوطاسيين ما تهالكوا على السلطة على حساب التطور العلمي في عهدهم، فإن الباحث يجد أن الملوك والأمراء في زمن الإمام السنوسي –حسب ما جادت به المصادر التاريخية– كانوا يعطون للعلم والعلماء عناية وتقديرا. وممن نال هذا التقدير والعناية من قبلهم إمامنا محمد بن يوسف السنوسي؛ فإنه قد دعاه السلطان ليقرأ التفسير بحضرته على عادة المفسرين. وسمع أحد الوزراء بخبر ختم تفسير الإمام السنوسي فأراد حضور مجلس ختمه. وأتت رسل السلطان داره لإعطاء الهدايا، وفي بعض المواقف جاء ابن الخليفة نفسه لإعطاء الهدايا.[٢٤] وهكذا إجلال السلاطين والأمراء وتعظيمهم وتقديرهم لمنزلة الإمام السنوسي. ولكن موقف الإمام السنوسي تجاههم في بادئ الرأي قد يبدو سلبيا؛ لأنه ما كان يقبل أن يحضر مجلس السلطان ويقرأ التفسير بحضرته، فكتب إليه معتذرا بغلبة الحياء وأنه لا يقدر على التكلم هناك. وكان يعجّل مجلس ختم التفسير بعد أن بلغته نية حضور الأمير لئلا يحضره. وأبى أن يقبل هدايا السلطان ولو بحضور ابن الخليفة، وإذا جاء الرسل عند غيابه وقَبِل أهله الهدايا أنكر عليهم وتغير كثيرا.[٢٥]

---

[٢٢] زهري، **المصادر المغربية**، ج١، ص٢٨٩.

[٢٣] أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، (طرابلس: دار الكاتب، ٢٠٠٠)، ٥٦٨. بعد هذا يختصر بـ: "نيل الابتهاج".

[٢٤] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٦٦–٦٧.

[٢٥] المرجع نفسه، ص٥٦٦–٦٧.

فهذه كلها إنما هي لأجل زهده في الدنيا وإعراضه عنها كما فسرها لنا تلميذه الملالي حين تعرضه لقصة رد الإمام السنوسي لعطايا الملك، فذكر كلام الإمام ابن عطاء الله السكندري[٢٦] الذي يؤيد فعل الإمام السنوسي حيث قال: "قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه: «يستدل على الزهد في الدنيا بالزهد في الرئاسة، ويستدل بالزهد في الرئاسة بالزهد في الاجتماع مع أهلها.»[٢٧] قلت[٢٨]: ولا شك أن شيخنا وبركتنا سيدي محمد السنوسي قدس الله روحه وأسكنه من الجنان فسيحه قد زهد في الرئاسة وزهد في الاجتماع مع أهلها، ولا شيء أبغض إليه من الدنيا وأهلها."[٢٩]

وفي الآن نفسه كان يكثر الكتابة إلى السلطان والأمراء كرها وحياء، لا حبا وتملقا. وقد ذكر صاحب نيل الابتهاج ما نصه: "وكان يكره الكتب للأمراء. فإذا طُلب بذلك كتب لهم حياء. وعاتبه أخوه علي التالوتي قائلا يوما: «لأي شيء تكثر الكتب للسلطان وغيره؟!» فقال: «كلفت به.» فقال: «لا توافق عليه، وقل لا أكتب.» فقال: «والله يا أخي، يغلب علي الحياء ولا أقدر على المنع.» قال: «لا تستحي من أحد.» فقال له: «إذا دخل النار أحد بالحياء فأنا أدخلها.»"[٣٠]

وبناء على هذه الأحداث والوقائع التي تحكي لنا علاقة الإمام السنوسي برجال بلده يمكن للباحث أن يقول بأن للإمام السنوسي مكانة مرموقة لدى عظماء الدولة، إلا أن الرجل يفضل الخمول والابتعاد عن دائرة هؤلاء، فلذلك لم يسجل التاريخ أي علاقة التوادد بينه وبينهم، إلا الكتابات التي كتبها وأرسلها إليهم بطلب من بعض الناس، وهي في الحقيقة ليست لأجل محبته لهم ومودته تجاههم، فضلا عن أن تكون لأجل التملق بهم، بل كانت لأجل خدمة غيرهم

---

[٢٦] الزاهد العابد المتأله أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي. حدث عن يوسف بن موسى القطان. وعنه محمد بن علي بن حبيش، وقال: "كان له في كل يوم ختمة، وفي رمضان تسعون ختمة، وبقي في ختمة مفردة بضع عشرة سنة يتفهم ويتدبر." وقال حسين بن خاقان: "كان ينام في اليوم والليلة ساعتين، مات في سنة تسع وثلاثمائة في ذي القعدة." ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٤، ص٢٥٦.

[٢٧] ابن عطاء الله السكندري، **لطائف المنن**، تحقيق عبد الحليم محمود (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦)، ص١٠٨.

[٢٨] أي: الملالي.

[٢٩] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٥٧.

[٣٠] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٦٧.

من المسلمين حياء من أن يخالفهم في طلبهم. هكذا كان موقف الإمام السنوسي من رجال السياسة في عصره.

ولكن هذا لا يمنعه من المشاركة في الأمور السياسية التي تُعنى بمصلحة الدين؛ ولذلك نراه يراسل بعض العلماء المجاهدين القائمين بمحاربة اليهود الكائنين في بعض مناطق المغرب لطغيانهم وتمردهم وجرأتهم على الأحكام الشرعية، فكتب إلى الإمام العالم العلامة خاتمة المحققين السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت. ٩٠٩هـ) رسالة أبان من خلالها موافقته له في تذليل يهود "توات" وقتلهم وهدم كنائسهم لما تمردوا على المسلمين، ووصف العلامةَ المغيلي –بسبب الموقف الذي اتخذه في هذه الحادثة– بالغيرة الإيمانية والذكورة العلمية وعمارة القلب بالإيمان.[٣١] كما أنه كتب تقريظا لكتاب "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" للعلامة المغيلي أيضا الذي تحدث فيه عن أحكام أهل الذمة وواقع يهود زمانه.[٣٢] فهذه عصارة الأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية المحيطة بإمامنا السنوسي.

**أشياخه**

أخذ الإمام السنوسي عن جملة من الشيوخ، منهم:

١. والد الإمام السنوسي، وهو الشيخ الصالح المبارك الزاهد صاحب الكرامات أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي.[٣٣] كانت حرفته تعليم القرآن للأولاد. قرأ عليه ابنه الإمام السنوسي بعض القرآن في صغره.[٣٤]
٢. الشيخ العالم المحقق الزاهد العابد الولي الصالح الورع الناصح سيدي نصر الزواوي التلمساني.[٣٥] كان من أكابر تلامذة الإمام ابن مرزوق الحفيد الآتية ترجمته. قرأ

---

[٣١] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧٦.

[٣٢] المرجع نفسه، ٥٧٧; محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق عبد المجيد الخيالي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١).

[٣٣] لم يقف الباحث على تاريخ وفاته.

[٣٤] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ١٥-١٦؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٨.

[٣٥] لم أقف على تاريخ وفاته.

عليه الإمام السنوسي كثيرا من فن العربية ولازمه كثيرا. ومن وصايا الشيخ الزواوي لتلميذه هذا أن لا يعطي العلم لغير أهله.[٣٦]

٣. الإمام العالم المشارك المحصل الورع الصالح أبو عبد الله محمد بن قاسم بن تُوزتْ –وقيل تومرت– الصنهاجي (ت. في القرن التاسع الهجري). وهو من كبار فقهاء المالكية، وكان عالما بالعلوم العقلية والنقلية.[٣٧] قرأ عليه الإمام جملة من الحساب والفرائض. قال الإمام السنوسي مثنيا على شيخه هذا: "وما رأيته قط نظر في كتاب إلا مرة واحدة أشكلت عليه مسألة من الهندسة." وكان يقول لمن جاءه بنية القراءة: "اقرأ في كل علم شئت."[٣٨]

٤. الشيخ العالم الأجل الصالح البركة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقلصادي الأندلسي (ت. ٨٩١هـ). قرأ عليه الإمام السنوسي جملة من الفرائض والحساب وأجازه في جميع ما يرويه.[٣٩]

٥. الشيخ الفقيه الوجيه النزيه العالم العامل الأستاذ المحقق المقرئ أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني.[٤٠] أخذ الإمام السنوسي عنه القراءات السبعة المشهورة وختم بها القرآن على يديه ختمتين وزيادة، وأجاز الإمام السنوسي في المقارئ السبعة وفي غيرها من سائر مروياته.[٤١]

٦. الشيخ الفقيه العالم العامل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت٨٧٥هـ). قرأ عليه الإمام السنوسي المدونة في الفقه المالكي وختم عليه مرتين.[٤٢]

---

[٣٦] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ١٩–٢٠؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٩–١٠.

[٣٧] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٠)، ٨٠.

[٣٨] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ٢١–٢٢؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٠.

[٣٩] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ٢٢–٢٣؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٠.

[٤٠] لم يقف الباحث على تاريخ وفاته.

[٤١] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ٢٣–٢٤؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١.

[٤٢] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ٢٤؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١.

٧. الشيخ العالم الأجل الصالح المعدل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحباك (ت٨٦٨هـ). أخذ عنه كثيرا من علم الأصطرلاب.[٤٣]

٨. الشيخ الإمام العالم العلم الحافظ المحصل المتقن الصالح البركة أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس (ت. ٨٧١هـ). كان شيخ الشيوخ بوقته في تلمسان وأكبر أئمة وقته بها.[٤٤] أخذ عنه الإمام السنوسي شيئا من علم الأصول وقرأ عليه الجمل للخونجي في المنطق من أوله إلى آخره، وكانت مدة قراءته عليه نحو ثلاثة أيام. وسبب ذلك أن الإمام السنوسي يورد له أسئلة ويسوق له أجوبة لم توجد في الكتب، فتعجب منه الإمام ابن العباس وقال له: "لا تقرأ علي. أنت الذي يُقرأ عليك."[٤٥]

٩. الشيخ الفقيه الحافظ المتقن العالم المتفنن الصالح البركة أبو الحسن علي بن محمد السنوسي الشهير بالتالوتي الأنصاري (ت٨٩٥هـ). وهو أخو الإمام السنوسي لأمه، وكان يقرئ الإمام في زمن صغره رسالة ابن أبي زيد القيرواني.[٤٦]

١٠. الشيخ الإمام العالم العلم الولي الصالح القطب الغوث سيدي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي الشهير بـ"أبركان" (ت. ٨٥٧هـ). الولي العظيم الشأن، كبير مشيخة الأولياء في وقته بتلمسان، جمع الله له علم الشريعة وحقائق أهل العرفان.[٤٧] حضر الإمام السنوسي مجلسه وانتفع بكلامه.[٤٨]

١١. الشيخ الإمام العالم الورع الصالح سيدي أبو القاسم الكنابشي البجائي.[٤٩] قرأ عليه الإمام السنوسي وأخوه سيدي علي التالوتي كتاب الإرشاد للإمام أبي المعالي

---

[٤٣] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٢٤؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١.

[٤٤] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٤٧.

[٤٥] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٢٤-٢٥؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١.

[٤٦] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٢٥؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١.

[٤٧] محمد بن أبي الفضل ابن صعد، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق يحيى بوعزيز (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ١١٥. بعد هذا يختصر بـ: "روضة النسرين".

[٤٨] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٣٣ وما بعدها؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٥-١٦.

[٤٩] لم يقف الباحث على تاريخ وفاته.

الجويني وأجازهما في جميع مروياته. وكان سيدي أبو القاسم الكنابشي يقيم شهرا كاملا في دار الإمام السنوسي يقرئه كتابا في التوحيد.[٥٠]

١٢. الشيخ الإمام حجة الإسلام العالم العامل الزاهد العابد الورع الصالح الولي الناصح أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت. ٨٧٥هـ). قرأ عليه الإمام السنوسي صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث. وأجازه هو وأخاه سيدي علي التالوتي رواية فهرسته وجميع ما تضمنته من مروياته وجميع ما تجوز له.[٥١]

١٣. الشيخ الإمام العالم العلامة الورع الزاهد الصالح الولي الناصح سيدي إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي (ت٨٦٦هـ).[٥٢] وهو شيخ الإمام السنوسي في طريق التصوف. وسوف يتكلم الباحث عنه في الفصل الموالي تحت عنوان "الخلفية التصوفية للإمام السنوسي".

١٤. الشيخ العالم الرحال الأَبُلِيّ.[٥٣] أخذ عنه الإمام السنوسي علم الكلام[٥٤] وهو أول من أدخل هذا العلم إلى المغرب في الأزمنة المتأخرة.[٥٥]

١٥. الشيخ العالم العلامة الإمام محمد بن أحمد بن الخطيب شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بـ"ابن مرزوق الحفيد" (ت. ٨٤٢هـ). إمام محقق علامة مفسر محدث راوية حافظ نظار ولي صالح. أخذ عن أعلام المشرق والمغرب كابن عرفة وأبي محمد الشريف التلمساني وابن خلدون

---

[٥٠] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٦.

[٥١] المرجع نفسه، ص١٦—١٧.

[٥٢] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ٤٢؛ الملالي، "المواهب (ح)"، ١٩. والشيخ التازي شيخ شيوخ وقته فقيه أصولي محدث مقرئ عالم عامل ولي صالح ذوكرامات كثيرة. نزيل وهران. أخذا بمكة عن القاضي تقي الدين الفاسي وأجازه، وبتونس عن الشيخ أبي عبد الله العبدوسي والحفيد ابن مرزوق وأجازاه. أخذ التصوف والطريقة عن الشيخ أبي عبد الله الهروي وانتفع به ونال بركته وهو الخليفة من بعده. له تآليف في الفقه والأصول والحديث وله أشعار وقصائد. ينظر: مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٨٠.

[٥٣] لم يقف الباحث على ترجمته.

[٥٤] أحمد بن محمد ابن عجيبة، **أزهار البستان في طبقات الأعيان**، تحقيق عبد السلام العمراني (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٢٠)، ص١٦٢. بعد هذا يختصر بـ: "أزهار البستان".

[٥٥] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢.

والفيروزآبادي صاحب القاموس. وأخذ عنه ابنه ابن مرزوق الكفيف والثعالبي وأبو حفص القلشاني والولي الكبير الحسن أبركان وابن زكري وخلق كثير. ومن تآليفه ثلاثة شروح على بردة البوصيري ورجزان في علوم الحديث واختصار ألفية العراقي وأجوبة عن مسائل الفقه والتفسير.[٥٦] كان الإمام السنوسي في صغره إذا مر مع الصبيان على الإمام ابن مرزوق الحفيد وضع يده على رأسه ويقول: "نقرة خالصة".[٥٧]

١٦. الإمام العالم الفاضل الفقيه المتفنن الولي الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو التلمساني (ت. ٨٤٥هـ).[٥٨] له قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم والفهم المستقيم.[٥٩]

١٧. الشيخ أبو عبد الله أقرقار.[٦٠]

١٨. قاضي الجماعة بتلمسان أبو الفضل قاسم بن أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني.[٦١]

١٩. الشيخ أبو عبد الله محمد بن شقرون.[٦٢]

---

[٥٦] محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد خيالي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ج١، ص٣٦٤. بعد هذا يختصر بـ: "شجرة النور".

[٥٧] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧١.

[٥٨] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢.

[٥٩] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص١١٨—٢٠.

[٦٠] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢. ولم يقف الباحث على ترجمته.

[٦١] ذكر في دوحة الناشر أن كنيته أبو عثمان. ولعل الصواب أن أبا عثمان هو كنية أبيه. أما كنيته فهو ما ذكر فوقُ. وينظر لمزيد ترجمته في: الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢; مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٦٧—٦٨.

[٦٢] ابن عجيبة، **أزهار البستان**، ص١٦٢.

**تلامذته**

منهم:

١. الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن إبراهيم بن علي الملالي (ت. بعد ٨٩٧هـ).[٦٣]

٢. السيد الفاضل العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي مدين التلمساني (ت. ٩١٥هـ).[٦٤]

٣. الفقيه العالم الصالح الأديب الناظم الناثر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن يَجَّبْش التازي (ت. ٨٢٠هـ).[٦٥]

٤. الشيخ العالم محمد بن أحمد بن أبي الفضل سعيد ابن صعد الأنصاري الأندلسي التلمساني (ت. ٩٠١هـ).[٦٦]

٥. الشيخ بلقاسم بن محمد الزواوي (ت. ٩٢٢). من أكابر أصحاب الإمام السنوسي وقدمائهم.[٦٧]

---

[٦٣] لقب بالملالي نسبة إلى بني ملال بالمغرب. أثبت اسمه ونسبه بنفسه في طالعة كتاب "المواهب القدوسية". لولا الملالي لما عرف الناس سيرة الإمام السنوسي. صنف مناقب شيخه السنوسي وسماها بـ"المواهب القدوسية في المناقب السنوسية"، وله أيضا "شرح العقيدة الصغرى" لشيخه. تنظر ترجمته في: الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ج٥، ص٣٠١.

[٦٤] محيي دارس علم الشريعة، علم الأعلام، حائز قصب السبق منقولا ومعقولا خصوصا علم الكلام. لولا هو لتلاشى علم المعقول بأسره في المغرب. وكان يدرس مقدمة السنوسي وصغراه وكبراه ومختصره المنطقي. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٨٤–٨٥.

[٦٥] الفقيه النحوي العروضي، له قصائد مدح بها تآليف شيخه الإمام السنوسي رحمهما الله كما أن له مراسلات معه. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٨٣–٨٤.

[٦٦] الأديب المؤرخ الفقيه الصوفي صاحب كتاب "روضة النسرين في مناقب الأشياخ الأربعة المتأخرين"، وكتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب". استفاد من الإمام السنوسي في جمع بعض مواد كتب التراجم التي ألفها، ووصف الإمام السنوسي في كتابه روضة النسرين بـ"شيخنا" و"العلامة الزاهد" و"الشيخ الشامخ". ينظر: ابن صعد، **روضة النسرين**، ص١٤١–٤٢.

[٦٧] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص١٥٠.

٦. العلامة الفاضل المتفنن أحمد بن محمد بن الحاج البيدري التلمساني (ت. ٩٣٠هـ).[٦٨]

٧. العالم الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد بن العبّاس بن محمد بن عيسى العُبّادي التّلمساني المعروف بابن العباس الصغير (ت. حوالي ٩٢٠هـ).[٦٩]

٨. الشيخ يحيى بن محمد.[٧٠]

٩. ريحنة زمانه ولي الله محمد القلعي.[٧١]

١٠. الإمام العالم العلامة خاتمة المحققين سيدي محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت. ٩٠٩هـ).[٧٢]

١١. الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الصوفي محتسب الصوفية العارف بالله أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق الفاسي (ت. ٨٩٩هـ).[٧٣] أخذ عن الإمام السنوسي وأخذ عنه الإمام كما صرح بذلك في نصرة الفقير.

---

[٦٨] له نظم على صغرى الإمام السنوسي، مطلعه: الحمد لله الذي عرّفنا *** بنفسه وبالهدى شرّفنا. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص١٣٦؛ محمد بن محمد ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** (الجزائر: المطبعة الثعالبية، ١٩٠٨)، ص٩. وبعد هذا يختصر بـ: "البستان".

[٦٩] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧٢.

[٧٠] المرجع نفسه، ص٥٧٢.

[٧١] المرجع نفسه، ص٥٧٢.

[٧٢] هو العلامة المتفنن الصالح المصلح. ومن شوخه غير الإمام السنوسي الإمام أبو زيد الثعالبي. له تآليف منها "البدر المنير في علوم التفسير" و"مصباح الأرواح" و"تنبيه الغافلين عن فكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين" كما أن له مراسلات مع الإمام السنوسي. ينظر: ابن مريم، **البستان**، ص٢٥٣; مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٩٥.

[٧٣] أخذ الشيخ زروق من شيوخ مشتهرين أمثال الولي الصالح سيدي إبراهيم التازي والحافظ التنسي والعلامة ابن زكري والإمام السنوسي وأخذ في المشرق عن الحافظ السخاوي والقطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي وغيرهما. ونفع الله به وبعلومه حيث ألف تآليف جمة كلها لا تخلو عن فوائد غزيرة وتحقيقات مفيدة، منها شرحان على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وشرح الوغليسية، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، ونيف وعشرون شرحا على حكم ابن عطاء الله السكندري، وكتاب قواعد التصوف، وكتاب عدة المريد الصادق، وغيرها كثير. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص١٣١.

١٢. الفقيه العالم الولي الصالح العارف بالله وبسنة رسول الله سيدي إبراهيم الوجديجي التلمساني.[٧٤]

١٣. الفقيه الأصولي التلمساني العالم الشاعر المكثر الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحوضي (ت. ٩١٠هـ).[٧٥]

١٤. السيد محمد بن محمد بن يعقوب بن محمد المغراوي.[٧٦]

١٥. السيد الفقيه العارف بالله الناسك المحقق المتصوف الورع سيدي محمد بن يحيى بن موسى المغراوي التلمساني ثم الراشدي.[٧٧]

١٦. الفقيه العالم الولي الصالح سيدي محمد بن يحيى المديوني المدعو أبا السادات (ت. بعد ٩٥٠هـ).[٧٨]

١٧. عمر العطافي.[٧٩]

١٨. الفقيه الشيخ يحيى الهشتوكي.[٨٠]

---

[٧٤] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧٢؛ ابن مريم، **البستان**، ص٦٤.

[٧٥] له نظم في العقيدة وشرحه شيخه الإمام السنوسي وسمى شرحه هذا باسم "شرح واسطة السلوك في بيان كيفية السلوك". ينظر: نزار حمادي، **"مقدمة تحقيق شرح الواسطة"، في شرح واسطة السلوك للإمام السنوسي** (تونس: دار الإمام ابن عرفة، د.ت)، ص١٠—١١؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧٩.

[٧٦] تفقه السيد محمد المغراوي على يد الإمام السنوسي وأخذ عنه الطريقة فألبسه الخرقة. ولم يقف الباحث على تاريخ وفاته. ينظر: أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني، **عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس** (الجزائر: دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ص٢٣.

[٧٧] أخذ عن الإمام السنوسي التوحيد والفقه والأصول واليبان والمنطق والحساب والفرائض والنحو. له مشاركة في العلوم الظاهرة وانفرد بالعلوم الباطنة. قال ابن مريم في البستان عند حديثه عن ترجمة هذا الشيخ: "دخل تلمسان هو ومحمد بن يحيى المديوني وعمر العطافي، وأخذوا عن السنوسي، وهم الذين أوصلوا التوحيد لبني راشد." وعلى هذا فالرجلان الاثنان المذكوران معه يعتبران من تلامذة الإمام السنوسي أيضا. ينظر: ابن مريم، **البستان**، ص٢٧٦.

[٧٨] كان صاحب كرامات وكان قبره عند ضريح شيخه سيدي محمد بن يوسف السنوسي. ينظر: المرجع نفسه، ص٢٦١—٦٢.

[٧٩] لم يقف الباحث على ترجمته. ولكن عده ابن مريم من جملة الآخذين عن الإمام السنوسي. ينظر: المرجع نفسه، ص٢٧٦.

[٨٠] كان إذا حضر بين يدي شيخه الإمام السنوسي يصير كالميت بين يدي غاسله، وكان –ببركة الإمام السنوسي– راسخ الأقدام في الدين. تنظر مقدمة تحقيق الكتاب: زهري، **ثلاث عقائد**، ص١٤.

١٩. أحمد بن المهدي الوجديجي (ت. نحو ٩٣٠هـ).[٨١]

٢٠. إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (ت. حوالي ٩٥٤هـ).[٨٢]

٢١. أحمد بن جيدة الوهراني.[٨٣]

هذا ما وقف عليه الباحث من أسماء تلامذته رضي الله عنهم جميعا.

**عاداته اليومية وأخلاقه الكريمة**

إذا فُحصتِ الأمور التي كان يعملها هذا الإمام العظيم القدر في ليله ونهاره، وجد أن أعماله كلها لا تخرج عن دائرة الطاعات والأعمال الصالحات. فكانت عادته في النهار -كما بيّن ذلك الشيخ الملالي- أنه "إذا صلى الصبح في مسجده وفرغ من ورده اشتغل بإقراء العلم للخلق فيقرأ إلى وقت الفطور المعتاد، ثم يخرج من المسجد فيقف الناس معه ساعة زمانية عند باب داره، ثم يدخل إلى داره فيصلي صلاة الضحى فيبقى فيها ما شاء الله مقدار ما يقرأ الإنسان عشرة أحزاب من القرآن.

ثم بنفس ما يفرغ من صلاة الضحى يشتغل بالنظر أو بالنسخ إن كان النهار طويلا، وإلا فربما يدخل وقت الزوال وهو في آخر صلاة الضحى. فإذا دخل الزوال ترك ما ينسخ أو ينظر ويخرج إلى الخلوة، فلا يخرج إلا عند الغروب. وإن لم يخرج، ويبقى في داره، اشتغل بالاستعداد للوضوء، فإذا توضأ تنفل بأربع ركعات ثم يخرج إلى مسجده ليصلي بالناس.

فإذا صلى الظهر وفرغ من الذكر الذي يذكره في دبر كل صلاة قام يتنفل بأربع ركعات فيصلي العصر، ثم يقرأ إن شاء أو يخرج إلى داره. فإذا دخل إلى داره اشتغل بالأوراد إلى غروب الشمس ثم يخرج لصلاة المغرب. فإذا فرغ منها تنفل بثلاث تسليمات فيبقى فيها إلى العشاء أو قربها. ثم إذا فرغ من صلاة العشاء قرأ ما شاء الله أن يقرأ أو يخرج إلى داره ثم ينام ساعة من الليل، ثم يشتغل بالنظر أو بالنسخ ساعة من الليل، ثم يتوضأ فيقوم للصلاة فيبقى في الصلاة أو في الذكر إلى طلوع الفجر."[٨٤]

---

[٨١] زهري، **ثلاث عقائد**، ص١٤.

[٨٢] المرجع نفسه، ص١٤.

[٨٣] المرجع نفسه، ص١٤.

[٨٤] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢١–٢٢.

هكذا كانت حياته اليومية؛ فلا يخلو ليله ولا نهاره من العبادة والذكر والمطالعة وخدمة المسلمين. هذا مع كثرة تواليفه كما سيذكره الباحث في الفقرات المخصصة للكلام عنها لاحقا. أما صفة تعليمه وتدريسه فكان رضي الله تعالى عنه لا يقرئ في علم من العلوم الظاهرة إلا خرج منها إلى علوم الآخرة، لا سيما إذا كان يقرئ علم التفسير والحديث.[٨٥] وعلّل ذلك الملالي بكون باطنه رضي الله عنه يحتوي على خوف الله وأنه كان في مراقبة دائمة وكان لا يلتفت إلى شيء من زخارف الدنيا حتى كأنه يشاهد الآخرة بين يديه.[٨٦] وقد أورد التنبكتي ما يدل على أنه قد شاهد بعض الأمور الأخروية على سبيل الكرامة، فذكر أن بعض أصحاب الإمام سأله عن سبب تلون وجهه وتغيره مع الانقباض، فأجابه بعد تمنعٍ وأخذ وعدٍ من السائل على أن لا يخبر به أحدا، فقال الإمام: "أطلعني الله تعالى على رؤية جهنم وما فيها –نعوذ بالله منها– فمن حينئذ صرت أتغير وأحزن إلى الآن، فهذا سبب تغيري."[٨٧]

وأما صفة موعظته فكان رضي الله عنه يعظ كل الناس بحسب أحواله.[٨٨] وكل من يحضر مجلسه يقول: "معي هو يتكلم وإياي هو يخاطب." وجُل مواعظه في الخوف والمراقبة وذكر الموت وأحوال الآخرة.[٨٩] وكان كثيرا ما يحرّض الناس على مخالفة النفس والهوى وترك متابعتها على حظوظها.[٩٠] وإذا تكلم تكلم من صميم قلبه، ممتلئا بتعظيم الله وتعظيم أوامره ونواهيه، صادقا في العمل بمقتضاهما، فصار كلامه يؤثر في كل من سمعه.[٩١] ولا شك أن ذلك بسبب ما وقر في صدر صاحب هذا الكلام من الصدق في النية والإخلاص في العمل؛ فإنه ممن يشار إليه بالصلاح منذ صغره لكثرة صدقه وحيائه وكثرة صدقته وعظيم شفقته ورحمته. وكأنه رضي الله عنه مجبول على الأخلاق الحميدة في صغره، فنشأ وشب وشاب عليها.[٩٢]

---

[٨٥] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٤٣.

[٨٦] المرجع نفسه، ص٤٣.

[٨٧] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٦٩.

[٨٨] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٦٦.

[٨٩] المرجع نفسه، ص٦٤.

[٩٠] المرجع نفسه، ص٦٥.

[٩١] المرجع نفسه، ص٦٤.

[٩٢] المرجع نفسه، ص٩٧.

وكان لا يعادله أحد في حلمه ورأفته وشفقته. فمن آثار حلمه وشفقته أنه ما ضرب شيئا بيده قط إلا ضربة خفيفة ليمشي بها دابته. بل كان ينهى المؤدبين والمعلمين من ضرب الصبيان. وقال بأن ضرب هؤلاء علامة انعدام الرحمة والشفقة في قلوبهم للأولاد ودليل سوء خلقهم وقساوة قلوبهم. فأمثال هؤلاء المؤدبين والمعلمين لا يرجى منهم خير ولا ينتفع الطلبة بالقراءة على أيديهم؛ لأنهم –كما علل ذلك الإمام السنوسي– معتقدون باعتقاد المعتزلة في نسبة التأثير لغير الله تعالى، فيعتقدون بزعمهم وجهلهم أن الطلبة سيزدجرون ويحفظون ثم ينجحون في دراستهم بسبب ذلك الضرب. فكيف ينتفع الطلاب بمعلم ساء اعتقاده مع الله. بل الغالب أن هذا الشكل من التأديب لا يزيدهم إلا شرا وفتنة، مع ما في كثرة الزجر والضرب من نقصان عقل المضروب ولو عند كبره.[٩٣]

والملاحظ المتأمل للفقرة السابقة يتذوق بلا شك حلاوة منهج الإمام السنوسي في التوفيق بين متانة العقيدة وسمو الأخلاق، ويدرك مكانة علم العقيدة عند هذا الإمام، ويعرف كيف كان لمعتقَد أحدٍ أثرٌ في تشكيل سلوكه وأخلاقه وفكره وتعامله مع الآخرين. ولأجل عظيم قدر عقيدة أهل السنة والجماعة، قرن الإمام السنوسي وصف "التأديب" بوصف "عقيدة أهل السنة" حيث قال: "هكذا يفعل المؤدب السنِّيُّ الطيب الذي يعلم أن كل شيء واقع بإرادة الله تعالى وقدره، وأنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما كضرب وزجر ونحو ذلك. فإذا رأى من الصبيان ما يستحقون عليه من الأدب ويعلم أن الضرب يفيد، تجده يضربهم ضربا معتادا على قدر ما يقع به الأدب، مع قطعه بأنه لا تأثير للأدب به في شيء... وأما إذا ظن أن الضرب لا يفيد لم يجز ضربه أصلا؛ لأن الضرب حينئذ إنما هو لشفاء الغيظ، وهو حرام بإجماع."[٩٤] هكذا وفق الإمام السنوسي بين العقيدة والأخلاق.

وسبق قريبا في معرض الحديث عن نوع علاقة الإمام السنوسي برجال الدولة في عصره كيف كان زهده وورعه ورفع همته عن الدنيا وأهلها وزخارفها. وذلك دليل على امتلاء قلبه بالإيمان والإيقان بضمان الرزق. وبالجملة فباطن الإمام السنوسي مملوء إيمانا وثقة بمولاه، وظاهره

---

[٩٣] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٩٦.

[٩٤] المرجع نفسه، ص٩٦.

مملوء رحمة وشفقة على الخلق؛ فكان يوقر الكبير ويرحم الصغير ويحسن إلى الفقير ويصبر الصبر العظيم على من أساء إليه.[٩٥]

**ثناء العلماء عليه**

حاز الإمام السنوسي ثناء جميلا من قبل العلماء سواء كانوا معاصرين له أو عاشوا بعده. فممن عاصره وأثنى عليه تلميذه البار العارف بأحواله والحافظ لمناقبه –فكل من كتب في سيرة الإمام السنوسي لم يذكر إلا الذي وجده في مصنف هذا الرجل– الشيخ أبو عبد الله الملالي رحمه الله. وصف شيخه السنوسي بأن الله قد اختصه وأمده بالمعارف الربانية والعلوم اللدنية والأسرار الإلهية والأنوار المحمدية.[٩٦] ووصفه أيضا بـ"العارف بالله".[٩٧] وأما في شرحه على صغرى الإمام السنوسي فقد حلاه بأوصاف أعلى من هذا حيث نعته بـ"حامل لواء شريعة الإسلام" و"القطب العارف بالله" و"الغوث المكاشف" و"إمام الطريقة" و"الجامع بين الشريعة والحقيقة" مما ينبئ عن علو كعب الإمام في ميدان التصوف فضلا عن طول باعه في علم العقيدة.[٩٨] كما أنه وصف شيخه بكون باطنه مملوءا بحقائق التوحيد، وظاهره مملوءا بالزهد والتجريد، وأن كلامه هداية لكل مريد، وقلبه محروس من دسائس الشيطان، ونفسه زكية بإخلاص العلم والإيقان.[٩٩] فهذه قطرة من بحر ثناءات الملالي لشيخه السنوسي الذي سيقف عليه من يطلع على كتابه "المواهب القدوسية".

ومن المعاصرين له أيضا الشيخ الفقيه الأجل العلامة الصدر الأوحد من كاد أن يبلغ درجة الاجتهاد؛ أبو محمد عبد الله الوَرْيَاجْلِي (ت. ٨٩٤هـ)[١٠٠] الذي قال في حق الإمام

---

[٩٥] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٩٧.

[٩٦] المرجع نفسه، ص١١٦.

[٩٧] المرجع نفسه، ص١٨.

[٩٨] محمد بن إبراهيم الملالي، **شرح أم البراهين**، تحقيق خالد زهري (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٧)، ص٥١.

[٩٩] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٥٢.

[١٠٠] كان العلامة الورياجلي من فحول العلماء، وكان يتتلمذ على يد الإمام القوري والعبدوسي وابن مرزوق. وكان مهتما بالعلم والجهاد؛ فاشتغل بالتدريس في فصل الشتاء والربيع وخرج للمرابطة بثغور القبائل الهبطية في الصيف والخريف. تنظر ترجمته في: مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٨٤؛ الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص٣٠.

السنوسي وفي حق عقيدته الصغرى ما نصه: "والله ما خرج هذا الكلام إلا من صدر منوّر." ونذر أن لا يفارق تلك العقيدة ثم أدخلها في جيبه. فكانت من الكتب التي حمل الناس على حفظها.[١٠١]

ومنهم أيضا الإمام العالم العلامة المحقق المطلع أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت. ٩١٤هـ)[١٠٢] الذي وصف الإمام السنوسي بـ"الفقيه الناصح الصالح المحقق الأصولي الفاضل."[١٠٣]

أما العلماء الذين أثنوا عليه وهم عاشوا بعده فمنهم ابن عسكر الشفشاوني (ت. ٩٨٦هـ) الذي كان يعد الإمام السنوسي من المجددين لأمر دين الأمة على رأس المائة التاسعة، ومن أكابر العلماء وأعلام الأولياء، كما أنه اعتبر مؤلفات الإمام الخمسة في مجال العقيدة – وهي المقدمات، والصغرى، وصغرى الصغرى، والوسطى، والكبرى– وشروحاتها من أفضل ما ألّف في الإسلام. وذكر الشفشاوني أيضا أن فحول الأولياء وأكابر العلماء اتفقوا على فضله وتلقوا تآليفه بالقبول، وعلماء بلده تلمسان كانوا يذكرون الإمام السنوسي ويعظمونه بالتحقيق والولاية والزهد في الدنيا.[١٠٤]

ومنهم أيضا الشيخ الفقيه الراوية الصدر العلامة أبو عمران موسى بن العقدة الأغصاوي (ت. ٩١١هـ)[١٠٥] الذي قال في حق الإمام كلما ذكر علم الكلام: "ما رأيت من غربل هذا العلم مثل هذا الرجل."[١٠٦] ومنهم الإمام العارف بالله جنيدي زمانه أبو محمد عبد الله بن محمد

---

[١٠١] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص٣٣.

[١٠٢] وهو مفتي مدينة فاس بالمغرب. جمع فتاوى المتقدمين والمتأخرين في كتاب عظيم اسمه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب". تنظر ترجمته في: مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٩٧.

[١٠٣] أحمد بن يحيى الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، (المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨١)، ج٧، ص٣٥٢.

[١٠٤] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢١–٢٢.

[١٠٥] كان فقيها عالما نجيبا محصلا، أخذ عن المشايخ الكبار أمثال القوري والعبدوسي والمواسي. وكان يدعى بفحل المدونة. تنظر ترجمته في: الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص٣٣–٣٤.

[١٠٦] المرجع نفسه، ص١٢١–٢٢.

الهبطي الكبير (ت. ٩٦٣هـ)[١٠٧] القائل: "كلام السنوسي محفوظ من السقطات."[١٠٨] ومنهم ابنه الهبطي الصغير (ت. ١٠٠١هـ) الذي وصف الإمام السنوسي بالإمامة والتحقيق[١٠٩]، والشيخ أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي[١١٠] (ت. ١١٠٢هـ) الذي وصفه بالمشيخة والصلاح.[١١١]

والشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن القاضي (ت. ١٠٢٥هـ) الذي حلاه بأوصاف عالية كـ"الإمام المعقولي" و"الفقيه المحدث" و"صاحب العقائد التي لم يأتِ أحد بمثلها من المتأخرين."[١١٢] وكذا الشيخ ابن عجيبة التطواني (ت. ١٢٢٤هـ) الذي اعتبر الإمام السنوسي من أكابر الأولياء وأعلام العلماء، وقال بأن العلماء والأولياء اتفقوا على فضل هذا الإمام وتلقوا تآليفه بالقبول رحمه الله ورضي عنه.[١١٣]

## مؤلفات الإمام السنوسي

تبحر الإمام السنوسي في شتى العلوم وصنف في أنواع الفنون، فكتب في العقيدة والفرائض والقراءات والتفسير وشرح الحديث والفقه والتصوف والمنطق والطب وعلم الأصطرلاب وغير

---

[١٠٧] كان آية من آيات الله في أرضه، زاهدا متبعا للسنة ومنزويا عن الدنيا. لقي الشيخ العارف بالله محمد بن يجبش التازي تلميذ الإمام السنوسي فأخذ عنه. ولكن اعتماده في التصوف والطريق والتربية النبوية على شيخه في طريق الفتح سيدي أبي محمد عبد الله الغزواني. تنظر ترجمته في: الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص٧ وما بعدها.

[١٠٨] المرجع نفسه، ص١٢٢.

[١٠٩] أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهبطي الصغير، **ثلاث رسائل في التوحيد والهيللة**، تحقيق خالد زهري (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ص٢٣.

[١١٠] الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي. فقيه مالكي أديب، يُنعت بغزالي عصره. من بني "يوسي" بالمغرب الأقصى. تعلم بالزواية الدلائية، وتنقل في الأمصار. فأخذ عن علماء سجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ودكالة، واستقر بفاس مدرّسا. ولد سنة ١٠٤٠هـ. من كتبه "المحاضرات" في الأدب، و"منح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب". ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص٢٢٣.

[١١١] الحسن بن مسعود اليوسي، **المحاضرات في الأدب واللغة**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢)، ج١، ص٣٠٨.

[١١٢] أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي، (تونس: المكتبة العتيقة، ١٩٧١)، ج٢، ص١٤١.

[١١٣] ابن عجيبة، **أزهار البستان**، ص١٦٢.

ذلك، وشارك –على الأقل– في ثلاثة عشر فنًّا.[١١٤] وقد عدّد تآليفه تلميذه البار الشيخ الملالي في الباب الرابع من المواهب القدوسية، فاجتمع له رحمه الله أربعون تأليفا وزيادة. ثم أعاد الدكتور خالد زهري حفظه الله عملية إحصاء مؤلفات الإمام السنوسي واستعان بالمواد المخطوطة المتوفرة في الخزانة الحسنية برباط المغرب زيادةً على ما كتبه السابقون في الموضوع، فأوصل عدد مؤلفات الإمام إلى أكثر من ستين كتابا.[١١٥]

ولكن الذي اشتهر بين الناس من كتبه هو ما صنفه في علم التوحيد. ولولا أن الله أقامه في ميدان العقيدة والدفاع عن معتقدات أهل السنة لعُرف عَلَمًا من أعلام صوفية أهل السنة كما سيتبين ذلك بعد تجوالنا في مضامين هذا البحث. وفيما يلي قائمة مصنفاته مع التركيز على كتبه الكلامية والتصوفية مع الإشارة إلى المطبوع منها بحرف (ط) والمخطوط منها بحرف (خ):

**كتبه في المجال العقدي:**

١. العقيدة الكبرى المسماة بـ"عقيدة أهل التوحيد الْمُخرِجة بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة بفضل الله أنف كل مبتدع وعنيد." (ط) وهي أول مصنفاته في التوحيد.[١١٦] اختصر فيها كتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" لإمام الحرمين الجويني.[١١٧]

٢. شرحه على العقيدة الكبرى المسمى بـ"عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد." [١١٨] (ط)

---

[١١٤] زهري، **ثلاث عقائد**، ص١٨.

[١١٥] المرجع نفسه، ص١٨.

[١١٦] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١١٥.

[١١٧] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٤١.

[١١٨] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١١٥.

٣. العقيدة الوسطى. (ط) اختصرها من الكبرى، ولكنها لا تخلو عن تحقيقات للبراهين وتنبيهات للجزئيات العقدية التي لا توجد في كثير من المطولات.[١١٩]

٤. شرح العقيدة الوسطى.[١٢٠] (ط)

٥. العقيدة الصغرى التي اشتهرت في بلد الباحث باسم "أم البراهين". (ط) صرح الملالي بأن "هذه العقيدة أجلّ العقائد، ولا تعادلها عقيدة مِن عقائد مَن تقدم ولا من تأخر."[١٢١] وقد شرّقت وغرّبت وطبّق صيتها الآفاق، ودخلت أرض الملايو فجعلت علمائها يحومون حولها بالشرح والترجمة والتدريس، وينهجون نهجها في التأليف. ومن أمثلة عناية علماء الملايو بها: أقدم ترجمة جاوية لأم البراهين التي أعدها الشيخ أحمد بن أمين الدين القدحي[١٢٢]؛ و"بداية الهداية" للشيخ محمد زين بن الفقيه جلال الدين الآشي، وهي عبارة عن أول ترجمة كاملة وأول شرح باللغة الجاوية لأم البراهين[١٢٣]؛ و"عقيدة الناجين" في علم أصول الدين للشيخ زين العابدين بن محمد الفطاني، وهي عبارة عن ترجمة متن أم البراهين مع ذكر بعض شروح وحواش تُعين على فهم المراد.[١٢٤]

٦. شرح العقيدة الصغرى.[١٢٥] (ط)

---

[١١٩] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ١١٥؛ محمد بن يوسف السنوسي، **شرح العقيدة الوسطى**، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي (دمشق: دار التقوى، ١٤٤١)، ص١٢٦.

[١٢٠] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١٥.

[١٢١] المرجع نفسه، ص١١٥.

[١٢٢] Muhammad Ayman al-Akiti & Zainul Abidin Bin Abdul Halim, "Ahli Sunnah Wal Jamaah dalam konteks alam Melayu" (Seminar Kebangsaan Asyairah Ahli Sunah Waljamaah ٣٫٠ (Sunni ٢٠١٩), Bangi, Selangor, ٢٠١٩), p٤.

[١٢٣] محمد زين بن الفقيه جلال الدين الآشي، **بداية الهداية شرح متن أم البراهين** (تيلاند: مطبعة بن حلبي، د.ت)، ص٢.

[١٢٤] زين العابدين بن محمد الفطاني، **عقيدة الناجين في علم أصول الدين** (تيلاند: مطبعة بن حلبي، د.ت)، ص٢.

[١٢٥] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١٥.

٧. عقيدة صغرى الصغرى. (ط) وهي في غاية الاختصار وأصغر من العقيدة الصغرى. كتبها بطلب من والد الملالي، وأورد فيها نكتا فائقة ودررا رائقة لم يذكرها في العقائد السابقة.[١٢٦]

٨. شرح صغرى الصغرى. (ط) ذكر الملالي أن فيه فوائد عجيبة ونكتا غريبة، وهي السمة الظاهرة في جميع كتب الإمام السنوسي الدالة على اختصاصه وإمداد الله تعالى له بالمعارف الربانية والعلوم اللدنية والأسرار الإلهية والأنوار المحمدية.[١٢٧]

٩. المقدمات. (ط) وضعها لأجل استبانة ما تضمنته عقيدته الصغرى. وهي في حجم الصغرى.[١٢٨]

١٠. شرح المقدمات.[١٢٩] (ط)

١١. عقيدة صغرى صغرى الصغرى وهي المسماة بـ"الحفيدة". (ط) لخص فيها "صغرى الصغرى" ووضعها للنساء وضعفاء الحفظ.[١٣٠]

١٢. المفيدة للولدان والنساء المؤمنات.[١٣١] (ط)

١٣. المنهج السديد في شرح كفاية المريد. (ط) وهو شرح كبير على قصيدة في التوحيد للشيخ الإمام العالم الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري[١٣٢]. وصفه

---

١٢٦ الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص ١١٦.

١٢٧ المرجع نفسه، ص١١٦.

١٢٨ المرجع نفسه، ص١١٦.

١٢٩ المرجع نفسه، ص١١٦.

١٣٠ زهري، **ثلاث عقائد**، ص٧٩ وما بعدها.

١٣١ المرجع نفسه، ص١٠٥ وما بعدها.

١٣٢ أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، شهاب الدين، أبو العباس. متكلم، فقيه مالكي، ولد في ٨٠٠هـ ومات في ٨٨٤هـ. من كبار العلماء في وقته. يقال إنه نظير عبد الرحمن الثعالبي علما وعملا. أصله من قبيلة زواوة، سكن مدينة الجزائر وتوفي بها. قال السخاوي: "من المشهورين بالصلاح والعلم والورع والتحقيق." وقال الشيخ زروق: "كان شيخنا من أعظم العلماء اتباعا للسنة وأكبرهم حالا في الورع." من آثاره "كفاية المريد" في علم الكلام، منظومة لامية تنيف على ٤٠٠ بيت، وتسمى أيضا "الجزائرية في العقائد الإيمانية"، وله أيضا "القصيد في علم التوحيد". ينظر: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص٩٩٦.

الملالي بقوله: "أبدى فيه الشيخ رضي الله تعالى عنه من الأسئلة الرائقة والأجوبة الفائقة وبديع التأويلات ومحاسن العبارات ما تقف عقول الأذكياء عنده."[١٣٣]

١٤. شرح رسالة المرشدة لابن تومرت. أتم هذا الشرح أبو زكريا يحي التنسي الهنيني.[١٣٤] (خ)

١٥. تقييد في بيان وزن الأعمال.[١٣٥] (خ)

١٦. تقييد في مراعاة الصلاح والأصلح.[١٣٦] (خ)

١٧. تقييد في معرفة حدوث العالم.[١٣٧] (خ)

١٨. حقائق التوحيد. (خ) تميز هذا التأليف بذكر حدود المصطلحات والمفهومات المتداولة في علم الكلام.[١٣٨]

١٩. شرحه على كتاب لبعض المشارقة، (خ) وهو على نهج "طوالع الأنوار" للإمام البيضاوي[١٣٩]، بل هو أصعب منه.[١٤٠] قال الإمام السنوسي: "البيضاوي نقطة من بحر هذا الكتاب." وقال أيضا: "كلامه صعب في غاية الصعوبة. وشرحته بكلام صعب إلا أنه أبين من هذا المشروح."[١٤١] وعرض هذا الشرح بعض طلاب الإمام على عالم آخر من غير إخباره بأن الإمام السنوسي هو الذي وضع هذا

---

[١٣٣] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١٦.

[١٣٤] المرجع نفسه، ص١٢٠؛ زهري، **ثلاث عقائد**، ص٣٩.

[١٣٥] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٣٠.

[١٣٦] المرجع نفسه، ص٣٠.

[١٣٧] المرجع نفسه، ص٣٠.

[١٣٨] المرجع نفسه، ص٣١.

[١٣٩] الإمام القاضي أبو الفتح، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي، ثم البغدادي، الحنفي، أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه. سمع أبا جعفر بن المسلمة، وأبا الغنائم بن المأمون، وأبا محمد الصريفيني، وطائفة. وسمع عنه السمعاني، وابن عساكر وابن الجوزي، والكندي، وآخرون. قال السمعاني: "شيخ صالح متواضع، متبحر في قضائه الخير، متثبت." توفي في نصف جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٠، ص١٨٢.

[١٤٠] لعله مفقود.

[١٤١] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢١.

الشرح، فظن العالم أن الشرح قديم وأقرأ للطالب شيئا منه ثم اعترف بعجزه عن فهم كلام الشارح. وأفاد الملالي أن الإمام السنوسي سمى له العالم ولكن لم يسع الملالي ذكر اسمه.[١٤٢] وذكر بعد ذلك أنه وقف على مكتوب للإمام السنوسي بعد موته، صرح فيه الإمام باسم تأليفه هذا، وهو "شرح على جواهر العلوم للعضد".[١٤٣] وهذا من النقاط المهمة التي لم ينتبه إليها بعض الباحثين فتوهموا أن شرح جواهر العلوم للإمام تأليف آخر غير هذا.

٢٠. عقيدة في نفي التأثير للأسباب العادية.[١٤٤] كتبها لبعض الصالحين بطلب منه.[١٤٥]

٢١. شرح واسطة السلوك. (ط) وهو شرحه على المنظومة العقدية التي نظمها تلميذه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي.[١٤٦]

**تصانيفه في مجال التصوف:**

١. نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير.[١٤٧] (ط) وهو موضوع التحقيق والبحث في هذه الرسالة. وسوف يقيم الباحث حججه على ضرورة إعادة تحقيق هذا الكتاب في الباب الثاني من هذه الرسالة.

٢. اختصار كتاب الرعاية للحارث المحاسبي.[١٤٨] (خ)

٣. اختصار بغية السالك في أشرف المسالك للإمام الساحلي.[١٤٩] (خ)

٤. شرح أبيات نسبت إلى الإمام الألبيري، (ط) وصدرها:

---

[١٤٢] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢١.

[١٤٣] المرجع نفسه، ص١٢١.

[١٤٤] لعله مفقود.

[١٤٥] المرجع نفسه، ص١١٦؛ زهري، **ثلاث عقائد**، ص٤٤.

[١٤٦] محمد بن يوسف السنوسي، **شرح واسطة السلوك**، تحقيق نزار حمادي (تونس: دار الإمام ابن عرفة، د.ت)؛ زهري، **ثلاث عقائد**، ص٣٨.

[١٤٧] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٢.

[١٤٨] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢٠.

[١٤٩] المرجع نفسه، ص١٢٠.

رأيت ربي بعين قلبي *** فقلت لا شك أنت أنت.[١٥٠]

٥. شرح أبيات لبعض العارفين، (ط) وصدرها:

تطهر بما الغيب إن كنت ذا سرٍّ *** وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر.[١٥١]

٦. شرح بيتين لبعض العارفين، (خ) مطلعها:

شمس النهار تغيب بليل *** وشمس الليل لا تغيب.[١٥٢]

٧. شرح قول الإمام الغزالي "ليس في الإمكان أبدع مما كان".[١٥٣] (خ)

٨. شرح الأسماء الحسنى وكيفية العمل بها.[١٥٤] (ط) مزج فيه بين طريقة المتكلمين وطريقة الصوفية.[١٥٥]

٩. تحصين عظيم. (ط) نشره السيد محمد علوي المالكي ضمن "دروع الوقاية بأحزاب الحماية".[١٥٦]

**مؤلفاته في شرح الحديث:**

١. مكمل إكمال الإكمال. (ط) وهو اختصاره مع زيادة نكت غريبة ودرر عجيبة لكتاب "إكمال الإكمال"[١٥٧] للشيخ محمد بن خِلْفَة الوشتاني الأبي التونسي (ت. ٨٢٧هـ)[١٥٨]. وكتاب "إكمال الإكمال" يعتبر تتميما وتكميلا لكتاب "إكمال الْمُعْلِم" للقاضي عياض (ت. ٥٤٤هـ) الذي هو بعينه تتميم وتكميل

---

[١٥٠] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢٠؛ زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥١.

[١٥١] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢٠.

[١٥٢] المرجع نفسه، ص ١٢٠.

[١٥٣] المرجع نفسه، ص١٦٨.

[١٥٤] المرجع نفسه، ص١١٦.

[١٥٥] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥١.

[١٥٦] المرجع نفسه، ص٥٠.

[١٥٧] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١١٧.

[١٥٨] هو الفقيه المحقق الأصولي عالم المغرب بالمعقول. تتلمذ على يد شيخ المتكلمين في زمانه الإمام ابن عرفة الورغمي (ت. ٨٠٣هـ). وكان سالم الصدر ثاقب الذهن متقدما في العلوم. سكن تونس وتوفي به. تنظر ترجمته في: ابن عجيبة، **أزهار البستان**، ص١٥٢.

لكتاب "المعلم بفوائد مسلم" وهو شرح الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت. ٥٣٦هـ)[١٥٩] على صحيح مسلم. فاجتمع في هذه السلسلة شُرَّاح متكلمون أشعريون كما هو معروف من خلال تراجمهم.

٢. شرح صحيح البخاري. (خ) انتهى إلى "باب من استبرأ لدينه" ولم يكمله.[١٦٠]

٣. تأويل مشكلات البخاري. (ط) وهو شرحه لأحاديث وقعت في آخر صحيح البخاري ولا يمكن حملها على ظاهرها[١٦١] لأنها توهم التشبيه والتجسيم. فتأولها الإمام بما ينسجم مع عقيدة أهل السنة والجماعة التي هي العقيدة الأشعرية في نظره.[١٦٢]

٤. مختصر شرح الإمام الزركشي على صحيح البخاري.[١٦٣] (خ)

٥. تفسير غريب الحديث.[١٦٤] (خ)

٦. شرح التسبيح الذي حض الشرع عليه دبر كل صلاة وهو "سبحان الله والحمد لله والله أكبر" ثلاثا وثلاثين مرة، ثم يختم بلا إله إلا الله. (خ) بيّن فيه معنى كل واحد من هذه الأذكار ثم تكلم عن حكمة تقديم بعضها على البعض.[١٦٥]

---

[١٥٩] الشيخ الإمام العلامة البحر المتفنن أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي. مصنف كتاب "المعلم بفوائد شرح مسلم" ومصنف كتاب "إيضاح المحصول" في الأصول، وله تواليف في الأدب، وكان أحد الأذكياء والأئمة المتبحرين، وله شرح كتاب "التلقين" لعبد الوهاب المالكي في عشرة أسفار، هو من أنفس الكتب. وكان بصيرا بعلم الحديث. حدث عنه القاضي عياض، وأبو جعفر بن يحيى القرطبي الوزغي. مولده بمدينة المهدية من إفريقية، وبها مات في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمس مائة وله ثلاث وثمانون سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٠، ص١٠٤.

[١٦٠] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

[١٦١] المرجع نفسه، ص١٢٠.

[١٦٢] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٣.

[١٦٣] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

[١٦٤] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٤.

[١٦٥] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١٦.

**تآليفه في مجال التفسير:**

١. مختصر حواشي التفتازاني على كشاف الزمخشري.[١٦٦]

٢. تفسيره العجيب على القرآن العزيز. (خ) انتهى إلى الآية التي بعد قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٦٧]. وقد كان رضي الله عنه يعزم على إتمامه في أواخر عمره ولكن لا يتسنى له ذلك.[١٦٨]

٣. تفسيره لسورة ص وما تحتها من السور.[١٦٩] (خ)

٤. تفسير سورة الفاتحة.[١٧٠] (خ)

**كتابه في فن الرياضيات:**

١. شرح مقدمة الجبر والمقابلة لأبي محمد عبد الله بن حجاج المشهور بابن الياسمين[١٧١]. (خ) وضعه الإمام السنوسي في زمن صغره.[١٧٢]

**كتبه في علم المنطق:**

١. شرح جمل الخونجي[١٧٣].[١٧٤] (خ)

---

[١٦٦] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠. ولعل الكتاب مفقود.

[١٦٧] البقرة: ٥.

[١٦٨] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢١.

[١٦٩] المرجع نفسه، ص١٢١.

[١٧٠] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٢.

[١٧١] الجليس المتفنن الكاتب أبو محمد بن الياسمين عبد الله بن حجاج الإشبيلي. نسب إلى أمه. عالم بالحساب ومن أعلام الأدباء والكتاب. كان من رجال السلطان بالمغرب. له أرجوزة في الجبر والمقابلة مع شرح عليها لسبط المارديني، وأرجوزة في أعمال الجذور. توفي سنة ٦٠١ هـ. ينظر: ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، *الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة* (مصر: دار المعارف، د.ت)، ٤٢؛ الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص١٢٤.

[١٧٢] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

[١٧٣] هو الإمام العالم القاضي أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماوار الخونجي الشافعي. ولد سنة ٥٩٠ هـ. كان حكيما منطقيا، وكان قاضي القضاة بمصر. من كتبه: شرح الكليات والجمل في المنطق والموجز في المنطق وكتاب كشف الأسرار في المنطق. توفي سنة ٦٤٦ هـ. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ص٢٢٨.

[١٧٤] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

٢. شرح إيساغوجي في المنطق الذي ألفه الشيخ أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي[١٧٥]. (خ) وهو شرح كبير الجرم كثير العلم.[١٧٦]

٣. شرح مختصر الإمام ابن عرفة الورغمي[١٧٧] في المنطق. (ط) شرح الإمام السنوسي جُلَّ الكتاب ولم يكمله لكثرة الشواغل وضيق الحال، وأقرّ بصعوبة كلام الإمام ابن عرفة فيه.[١٧٨]

٤. المختصر المنطقي. زاد فيه زيادات على ما في جمل الخونجي.[١٧٩] (ط)

٥. شرح المختصر المنطقي. وهو شرحه على مختصره السابق الذكر.[١٨٠] (ط)

**كتابه في علم الأصطرلاب:**

١. عمدة ذوي الألباب ونزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الأصطرلاب. (خ) وهو شرحه على قصيدة شيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحباك[١٨١] في علم الأصطرلاب.[١٨٢]

---

[١٧٥] العلامة المحدث الحافظ القاضي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي. من شيوخه ابن الجزري وابن حجر وابن قاضي شهبة. من كتبه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور والنكت على شرح ألفية العراقي والنكت على شرح العقائد. توفي بدمشق. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٥٥.

[١٧٦] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

[١٧٧] هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، المقرئ الفقيه الأصولي البياني المنطقي. ولد سنة ٧١٦ هـ. من كتبه: المبسوط في الفقه المالكي واختصار الحوفي في الفرائض ونظم قراءة يعقوب والمختصرات في الأصلين والمنطق. توفي سنة ٧٤٨ هـ ودفن بالبقيع. ينظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأعلام القرن التاسع**، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)، ج٩، ص٢٤١.

[١٧٨] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

[١٧٩] المرجع نفسه، ص١٢٠.

[١٨٠] المرجع نفسه، ص١٢٠.

[١٨١] هو محمد بن أحمد بن أبي يحيى الحباك فلكي فرضي. من أهل تلمسان. من كتبه: بغية الطلاب في علم الأسطرلاب وشرح التلمسانية في الفرائض وتحفة الحسّاب في عدد السنين والحساب. توفي سنة ٨٦٧ هـ.ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٣٣٣.

[١٨٢] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠؛ زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٧.

**مؤلفاته في علم الطب:**

١. شرح أرجوزة ابن سينا في الطب. (خ) ولم يكمله.[١٨٣]
٢. شرح رجز ابن البنا[١٨٤] في الطب.[١٨٥]
٣. رسالة في الطب. (ط) شرح فيها حديث "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء".[١٨٦]
٤. مجربات الإمام أبي عبد الله محمد السنوسي.[١٨٧] (ط)

**تآليفه في القراءات والرسم القرآني:**

١. اختصاره لكتاب في القراءات السبعة.[١٨٨] (خ)
٢. شرح الشاطبية الكبرى. لم يكمله.[١٨٩] (خ)
٣. شرح لامية الجزيري.[١٩٠]
٤. ضبط الخرازي في الرسم.[١٩١] (خ)

**مصنفاته في الفقه:**

١. شرحه على كتاب المدونة في الفقه المالكي.[١٩٢] (خ)

---

[١٨٣] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

[١٨٤] هو أبو العباس أحمد بن محمَّد الأزدي المراكشي عرف بابن البناء. ولد سنة ٦٤٩ هـ. كان عالما مشهورا متفننا في العلوم. انتفع بصحبة الولي الكامل أبي زيد الهزميري. ألف تصانيف كثيرة منها: عنوان مرسوم خط التنزيل وحاشية على الكشاف ومنتهى السول في علم الأصول. توفي سنة ٧٢١ هـ. ينظر: محمد مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣١٠.

[١٨٥] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٧.

[١٨٦] المرجع نفسه، ص ٥٧.

[١٨٧] المرجع نفسه، ص٥٨.

[١٨٨] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٢٠.

[١٨٩] المرجع نفسه، ص١٢٠.

[١٩٠] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٨.

[١٩١] المرجع نفسه، ص٥٨.

[١٩٢] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ١٢٠.

٢. شرح الوغليسية في الفقه المالكي. لم يكمله.[١٩٣] (خ)
٣. تعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعي.[١٩٤] (خ)
٤. جواب في مسألة الوسواس في الوضوء.[١٩٥] (خ)

**كتاباه في علم الفرائض:**

١. المقرب المستوفي في شرح فرائض الحوفي. (خ) وأفاد الملالي أن هذا الكتاب الكبير الجرم هو أول مؤلفات الإمام رضي الله عنه. ألفه وهو ابن تسع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة.[١٩٦]
٢. نظمه في الفرائض. (خ) عمله في زمن صغره، وصدره:

الحمد للمميت ثم الباعث *** الوارث الأرض وغير وارث.[١٩٧]

**تأليفه في السيرة النبوية:**

١. اختصار الروض الأنف للإمام السهيلي[١٩٨]. (خ) لم يكمله.[١٩٩]

---

[١٩٣] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢٠.
[١٩٤] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٥.
[١٩٥] المرجع نفسه، ص٥٥.
[١٩٦] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١١٤.
[١٩٧] المرجع نفسه، ص١٢٠.
[١٩٨] أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد الخثعمي السهيلي الإمام المشهور. مولده سنة ٥٨٠ هـ بمدينة مالقة. كان عالما بالعربية واللغة والقراءات بارعا في ذلك. من مصنفاته: الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام والتعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام وشرح آية الوصية. توفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ. ينظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (بيروت: دار إحياء التراث, ٢٠٠٠)، ج١٨، ص١٠١؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٣، ص١٤٣.
[١٩٩] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢٠.

**تأليفه في النحو:**

١. الدر المنظوم في شرح قواعد ابن آجروم. (خ) وهو شرح على المقدمة الآجرومية. لم يكمله.[٢٠٠]

**تأليفه في علم الأوفاق والجداول:**

١. تقييد في الأوفاق.[٢٠١] (خ)

**تأليفه في مجال التربية والتعليم:**

١. تقييد في المعمول عليه في حصول النفع للأولاد وغيرهم.[٢٠٢] (خ)

فتبين من خلال ما ساقه الباحث هنا، أن الإمام السنوسي كان عالما موسوعيا وله مشاركة في شتى مجالات العلوم. وكانت العلوم التي تحظى عنايته كثيرا هي علم التوحيد والتصوف في الدرجة الأولى، ويأتي بعدهما علم الحديث والمنطق. والمتأمل لهذه العلم سيجد كيف يجمع الإمام بين الاهتمام بالعقيدة والسلوك والاهتمام بالنقل والعقل، وسيرى تأثير هذا الاهتمام في منهجه التوفيقي كما سيفصل الباحث القول فيه في الباب الرابع والخامس.

**وفاته رضي الله عنه**

توفي الإمام السنوسي بتلمسان يوم الأحد بعد العصر ثامن عشر جمادى الآخرة عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م.[٢٠٣] وقد اتفق العلماء والمؤرخون على تاريخ وفاته هذا، إلا أن التحقيق في تاريخ مولده يحول دونه عائق بسبب اضطراب أقوال تلميذه الملالي في عمر شيخه، فقال في "المواهب القدوسية" بأن الإمام أخبره أن عمره خمس وخمسون سنة حين سأله تلميذه عن

---

[٢٠٠] الملالي، **"المواهب (ح)"**، **ص**١٢٠.

[٢٠١] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٥٩.

[٢٠٢] المرجع نفسه، ص٥٩.

[٢٠٣] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧٠؛ زهري، **ثلاث عقائد**، ص١١.

عمره، وذلك قبل موته بعام أو عامين.[٢٠٤] وذكر أحمد التنبكتي[٢٠٥] أنه رأى مقيدا عن بعض العلماء أنه سأل الملالي عن سن الشيخ فقال له: "مات عن ثلاث وستين سنة."[٢٠٦] فعلى القول الأول كان مولده في سنة ٨٣٩هـ أو ٨٤٠هـ. وعلى الثاني كان مولده في سنة ٨٣٢هـ. ولذلك أبهم التنبكتي ومن تبعه تاريخ مولده واختار قولا يشمل هذه السنوات فقال: "مولده بعد الثلاثين وثمانمائة."[٢٠٧]

أما ما حدث له في أيام مرضه الذي توفي منه فقد ذكر الملالي أن الإمام السنوسي لما أحس بألم المرض انقطع عن المسجد الذي صلى بالناس فيه، فسمع الناس بمرضه وصاروا يأتون إلى المسجد فلا يجدونه، فصار الإمام يتكلف الخروج إلى المسجد والصعود إليه للصلاة لأجل الناس، وصلى بالناس صلاة العصر يوم الجمعة، ولم يكمل الصلاة إلا بشق النفس. وهذه آخر صلاة صلاها.

وكانت مدة مرضه عشرة أيام، وفي كل ساعة يتقوى مرضه، وهو مع ذلك ثابت العقل. وكانت في يده سبحة، فلما اشتد مرضه سقطت السبحة من يده فبقي كذلك ما شاء الله. ثم التفت إلى السبحة فلم يجدها في يده فقال: "مشت العبادة يا محمد" يعني نفسه. ولما قرب أجله بثلاثة أيام دخلته سكرات الموت فتأوه بالقهر ومال يمينا وشمالا فنظر إليه تلميذه الملالي ولم يملك صبرا على البكاء لما عاينه من شدة مقاساة شيخه وعظيم صبره على ذلك، وظن أن شيخه لا يبقى تلك الليلة. وكانت ليلة السبت، فبقي في النزع تلك الليلة والأحد إلى بعد العصر. فكان ابن أخيه حينئذ يلقنه الشهادة مرة بعد أخرى، فالتفت إليه وقال بكلام ضعيف

---

[٢٠٤] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢٢.

[٢٠٥] هو أحمد بابا الفقيه بن أحمد بن أحمد بن عمر الصنهاجي الماسني التنبكتي. ولد سنة ٩٦٣ هـ. كان من أهل العلم حسن التصنيف كامل الحظ من العلوم. ألف عدة كتب تزيد على أربعين تأليفا منها كتاب نشر العبير بمعاني آية الصلاة على البشير النذير، وشرح مختصر خليل، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج. توفي سنة ١٠٣٦ هـ. ينظر: أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١)، ص٣١.

[٢٠٦] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧٠.

[٢٠٧] المرجع نفسه، ص٥٧٠.

جدا: "وهل ثم غيره؟!" وكان الناس حين وفاة الإمام السنوسي يشمون رائحة المسك.[٢٠٨] رحمه الله ورضي عنه وأسكنه فسيح جناته.

## الفصل الثاني: مكونات فكر الإمام السنوسي التوفيقي

بعد أن ألقى الباحث نظرةً عامةً لحياة الإمام السنوسي وإنتاجاتِه، حان الأوانُ لِيكشفَ الباحث عن سر العلاقة بين العقيدة والتصوف عند الإمام السنوسي، ولِيُسَلِّطَ الضوءَ على العوامل الرئيسة في إنشاء تلك العلاقة. ويقصد الباحث بهذه العوامل الرجال والكتب التي هي المكونات الأساسية لفكر الإمام السنوسي التوفيقي. وبناء على ذلك سيكون الحديث عن تلك المكونات منقسما على مبحثين؛ الأول يتولى إيضاح مكونات الفكر الصوفي للإمام، بينما الثاني يتولى إبانة مكونات الفكر العقدي له. وسيدرك القارئ أن الكلام عن كلا العلمين في هذا الفصل يتداخلان ويترابطان لما بينهما من العلاقة الوطيدة في فكر هذا الإمام.

### المبحث الأول: الخلفية الصوفية للإمام السنوسي

إن وجود العلاقة الطيبة بين الإمام السنوسي والتصوف لمن اليقينيات التي لا يصح إنكارها. ولا يتصور إنكار ذلك إلا من جاهل أو معاند؛ فالأول سببه عدم الاطلاع على سيرة هذا الإمام، بينما الثاني يؤثر المكابرة وكتمان الحق بعد سماعه. ذلك لأن المطلع على سيرة هذا الإمام سيجد كمية هائلة من المعطيات التاريخية التي تنبئ عن صوفية هذا الرجل وعن قربه من أهل تصوف زمانه كالرواية التي تخبر بأن أحد أئمة الصوفية في زمانه كان يولي له اهتماما بالغا؛ فعامله بكل احترام ودعا له وأخذ برأيه مع صغر عمره وقتئذ.

وقد سجّل لنا الملالي هذه العناية الخاصة من قبل هذا الشيخ الصوفي حيث قال: "حدثني شيخنا سيدي علي التالوتي رحمه الله تعالى، قال: كان أخي سيدي محمد السنوسي إذا دخل على الشيخ سيدي الحسن أبركان رحمه الله يتبسم له ويفاتحه بالكلام، ثم يقول في دعائه له: «جعلك الله من الأئمة المتقين.» وكان أخي سيدي محمد لا يتكلم في المجلس، وربما تعرض للشيخ سيدي الحسن مسألة ويتوقف أهل المجلس فيها، فيلتفت الشيخ سيدي الحسن أبركان

---

[٢٠٨] هذه الفقرات اختصرها الباحث من: الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٧٤–٧٥.

إلى سيدي محمد السنوسي –وكان صغيرا– فيقول له: «ما تقول يا محمد في هذه المسألة؟» فيقول: «يحتمل أن يكون المراد كذا وكذا.» فيقول الشيخ سيدي الحسن أبركان رضي الله تعالى عنه لأهل المجلس: «الصواب ما قال محمد»، يعني سيدي محمد السنوسي رضي الله عنه ونفعنا به. فقد أجاب الله دعوته وحقق فراسته رضي الله تعالى عنهما وحشرنا في زمرتهما."[٢٠٩]

هذا النص الثمين يُعتبر من أقوى الأدلة على حسن علاقة الإمام السنوسي بسيدي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي الشهير بـ"أبركان" (ت. ٨٥٧هـ) الذي كان يوصف بالصلاح والولاية ويلقب بالقطب والغوث[٢١٠]، وجمع الله له علم الشريعة وحقائق أهل العرفان[٢١١]، فكان إماما في الشريعة والحقيقة. ويدل على ذلك ما رواه الإمام السنوسي عن أخيه لأمه سيدي علي التالوتي أن أحد شيوخ الإمام السنوسي –وهو الإمام العلامة المحقق محمد بن العباس (ت. ٨٧١هـ)– كان يقول في حق سيدي أبركان أَمام طلابه حين حضر مجلسه: "إن هذا الشيخ آية من آيات الله، وقد أسعدكم الله به لأنه قد جمع خصال الكمال؛ إن جاء عالم أذعن له وقبّل يده لأجل علمه وفضله وولايته، وإن جاءه أهل العبادة والصلاح أقروا بفضله وشهدوا بتقديمه في العبادة ومقامات التوحيد والعرفان، وإن جاءه الملوك وأرباب الدنيا وجدوا عنده من مهابة العلم وعز الولاية وعناية الزهد ما يحتقرون به أنفسهم ويستعظمون به ما لأولياء الله من تقدم العز الشامخ وكرم المجد الراسخ."[٢١٢]

والقارئ لهذا النص يدرك بعقله أن الإمام السنوسي لا يتحرج من نقل كلام الإمام ابن العباس المتضمن لوصف الشيخ أبركان بالولاية. بل فيما نقله إشارة إلى التصوف الممتزج بالتوحيد والمبني عليه حيث قابل ابن العباس مجيء أهل العبادة والصلاح بالتقدم في مقامات التوحيد والعرفان، كما أن فيه أيضا إشارة إلى ضرورة اقتران العلم بالولاية حيث قابل مجيء العالم بالتقدم في العلم والولاية. فهذا النص وما قبله يكشف نوعية علاقة الإمام السنوسي بصوفية زمانه ويبين موقفه الإيجابي من التصوف.

---

[٢٠٩] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٥.

[٢١٠] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص١٦١.

[٢١١] ابن صعد، **روضة النسرين**، ص١١٦.

[٢١٢] المرجع نفسه، ص١١٦–١٧.

إضافة إلى ما ذكر، أن علاقة السنوسي وصلته بأهل التصوف غير منحصرة في الشيخ أبركان وحده، بل له صلات ولقاءات برجال التصوف في عصره، والباحث يتحسس تلميح الإمام إلى ذلك من خلال حديثه عن شيخه أبركان حيث قال: "رأيت المشايخ والأولياء، فما رأيت مثل الشيخ سيدي الحسن أبركان رضي الله تعالى عنه."[٢١٣] فالإمام السنوسي قد رأى جملة من المشايخ الصوفيين، ولكنهم لا يحاذون شيخه سيدي أبركان.

ثم من الجدير بالذكر هنا أن الألفة الموجودة بين الإمام السنوسي والأولياء الصوفية عموما كانت بسبب نشأته في الأسرة الصوفية المباركة وبفضل تربية والده الذي هو في عداد شيوخه. كان الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عمر السنوسي؛ والد الإمام السنوسي، شيخا صالحا مباركا مقدسا، زاهدا في الدنيا، معرضا عنها، مقبلا على طاعة الله، سالم الصدر، حسن الأخلاق، عبيدا خاشعا لله، كثير البكاء من خوف الله لا سيما إذا دخل في الصلاة.[٢١٤] وكان صاحب كرامات عجيبة وخوارق عادات كثيرة، فمن ذلك ما حدث به ابنه الإمام السنوسي لتلميذه الملالي من خروج الأقلام والمحبرة والسكين من الأرض بعد أن طلب أبوه ذلك من الله تعالى حين صغره، ومشاهدته خروج الشهداء من قبورهم وتفاخر بعضهم بعضا بعدد أعدائهم المقتولين على أيديهم، وتكليمه لمن في القبر.[٢١٥]

وبالجملة، فكرامات الشيخ أبي يعقوب السنوسي كثيرة، ورواية ابنه لكراماته معروفة ومكتوبة، ودالة على أن وجود شيوخ أمثال والده أو أعظم منه حالا ورتبة ليس بشيء يقتضي العجب والاستغراب عنده، فكان يؤمن بهم ويدافع عنهم ويجهر بالانتماء إليهم والدخول في زمرتهم كما سيفهم مما كتبه في كتابه "نصرة الفقير".

ومما يلفت النظر عند الاطلاع على أسماء شيوخ الإمام السنوسي التي ذكرها الملالي في "المواهب القدوسية" أنه وصف عددا منهم بسلامة الصدر، وهو الوصف اللازم للصوفية.[٢١٦]

---

[٢١٣] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٥.

[٢١٤] المرجع نفسه، ص ٨.

[٢١٥] المرجع نفسه، ص٨—٩.

[٢١٦] قرر ذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني؛ أحد أئمة الصوفية الكبار، حيث قال: "واعلم أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر." ينظر: ميعاد شرف الدين الكيلاني، **تاريخ النقباء في سيرة الإمام عبد القادر الكيلاني وذريته ونقباء أشراف بغداد** (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١)، ص٥٦.

فممن وصفه الملالي بسلامة الصدر والده الشيخ أبو يعقوب السنوسي[٢١٧]، والشيخ الإمام الورع الصالح العالم بعلوم المعقول والمنقول أبو عبد الله محمد بن قاسم بن توزت الصنهاجي[٢١٨]، والشيخ العالم الأجل الصالح البركة أبو الحسن علي بن محمد القلصادي (ت. ٨٩١هـ).[٢١٩] وترك الملالي عددا من شيوخ الإمام السنوسي، فلم يصفهم بسلامة الصدر. لكن هذا لا يعني أنهم ليسوا صوفيين، بل كان بعضهم من أكابر تلامذة شيخ صوفي، وكان بعضهم شيخا صوفيا في نفسه.

فمِمَّن تَتَلْمَذَ على يد شيخٍ صوفيٍّ ويُعتبر من أكابرِ تلامذتِه، الشيخ العالم المحقق الزاهد العابد الولي الصالح الورع الناصح سيدي نصر الزواوي التلمساني[٢٢٠] الذي تتلمذ على يد الإمام أبي عبد الله ابن مرزوق الحفيد (ت. ٨٤٢هـ)[٢٢١]. وشيخه هذا مسندٌ راوية محدث علامة قدوة عرف بالصلاح والولاية والتحقيق والتبحر في العلوم، وكان فخر خطباء الإسلام وسلالة الأولياء وخلف الأتقياء.[٢٢٢] ثم الإمام ابن مرزوق الحفيد نفسه صرّح بأن النفع الذي حصل له إنما هو بسبب مجالسته لشيخه رئيس الصالحين والزاهدين في وقته الولي الذي أوتي الولاية صبيا الشيخ إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني (ت. ٨٠٥هـ).[٢٢٣] فانحصر باب النفع لابن مرزوق في شيخه المصمودي، كما أن باب النفع لنصر الزواوي انحصر في شيخه ابن مرزوق. وهنا يأتي دور الإمام السنوسي ليكون حلقة من هذه السلسلة الشريفة بملازمته لشيخه نصر الزواوي. فدأبهم في ذلك دأب الصوفيين مع شيوخهم.

وزيادة على شهرة ابن مرزوق بالصلاح والولاية وصحبته للصوفية، فإن الباحث يجد اهتمامه الكبير بعلم التصوف من خلال بعض مؤلفاته ككتاب "نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين" و"إظهار صدق المودة في شرح البردة" كما أن له اهتماما بأصول الدين من خلال

---

[٢١٧] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٨.

[٢١٨] المرجع نفسه، ص١٠.

[٢١٩] المرجع نفسه، ص١٠.

[٢٢٠] المرجع نفسه، ص١٠.

[٢٢١] مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٦٤.

[٢٢٢] المرجع نفسه، ج١، ص٣٦٤.

[٢٢٣] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٦٤.

بعض تآليفه، وسيأتي الحديث عنه في مبحث "الخلفية العقدية للإمام السنوسي". ولا شك أن الإمام السنوسي قد استفاد من خلال ملازمته لسيدي نصر الزواوي –تلميذ ابن مرزوق– طريقة الازدواجية في التعليم الجامعة بين التصوف والعقيدة التي ورثها الزواوي من شيخه.

بل لا يستطيع أحد أن ينكر هذا التأثر والاستفادة حيث إن الإمام السنوسي لم يتتلمذ على يد رجل واحد فقط من تلامذة الشيخ ابن مرزوق الحفيد، وإنما تتلمذ على أيدي رجال منهم، كحجة الإسلام وشيخ وقته الإمام المحدث عبد الرحمن الثعالبي (ت. ٨٧٥هـ) وعمدة السنوسي في السلوك الشيخ العارف بالله سلطان الأولياء سيدي إبراهيم التازي (ت. ٨٦٦هـ).

تتلمذ الإمام السنوسي على يد الإمام عبد الرحمن الثعالبي ورأى بعيني رأسه كيف يزهد هذا الإمام عن الدنيا وأعراضها.[٢٢٤] فاستفاد من أحواله كما استفاد من علومه، وحصل على إجازة جميع مروياته ومؤلفاته التي ذكرها في فهرسته المسماة بـ"غنيمة الفوائد وبغية الطالب الماجد". ولعل الإمام السنوسي قد اطلع على تأليف للإمام الثعالبي يحيل عنوانه إلى أهمية التوفيق بين الفقه والتصوف ويحمل الفكرة الازدواجية التي عند شيخه الحفيد، وهو كتابه المعنون بـ"روضة الأنوار المضية الجامع بين الشريعة والحقيقة".[٢٢٥]

أخذ الإمام الثعالبي عن عالم آخر شبيه بابن مرزوق في اعتنائه بالتصوف؛ ألا وهو سيد علماء بجاية الشيخ علي بن عثمان المنجلاتي[٢٢٦] (ت. ٨١٥هـ)، وعليه كانت عمدة قراءة الثعالبي في مدينة بجاية.[٢٢٧] ثم المنجلاتي أخذ عن الإمام الصوفي أبي زيد عبد الرحمن الوغليسي[٢٢٨] (ت. ٧٨٦هـ)؛ صاحب كتاب "الأحكام الفقهية" المعروف باسم "الوغليسية"،

---

[٢٢٤] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٧.

[٢٢٥] المرجع نفسه، ص١٧.

[٢٢٦] علي بن عثمان المنجلاتي الزواوي البجائي، من فقهاء بجاية وعلمائها. شيخ الإمام الثعالبي ووالدِه منصورٍ مفتي بجاية. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٣٣٢.

[٢٢٧] عبد الرحمن الثعالبي، **رحلة عبد الرحمن الثعالبي**، تحقيق محمد شايب شريف (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥)، ص١٠٨.

[٢٢٨] هو أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي. الفقيه الأصولي المحدّث المفسر شيخ الجماعة ببجاية. له تآليف كثيرة منها الأحكام الفقهية تسمى الوغليسية ومقدمة في الفقه وفتاوى مشهورة. توفي سنة ٧٨٦ هـ. ينظر: مخلوف: **شجرة النور**، ج١، ص٣٤٢.

وهو كتاب مزج صاحبه بين الفقه التصوف. وسبق أن ذكر في مبحث مؤلفات الإمام السنوسي أنه كان له شرح على الوغليسية. وفي ذلك دلالة وإشارة إلى اهتمامه بالطريقة الازدواجية.

فهؤلاء الرجال لعبوا دورهم المهم في تربية الإمام السنوسي وتقريبه من ساحة التصوف، ولكن أبرز الشخصيات التي تشكل خلفيته الصوفية وتؤهله للدخول في حضرة أهل الله هو شيخه سيدي إبراهيم التازي الذي اعتبره ابن عسكر الشفشواني سلطان الأولياء.[٢٢٩] فأخذ عنه الإمام السنوسي طريق الولاية، وتشرف بإلباسه إياه الخرقة الشريفة بسنده المتصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم[٢٣٠]، كما أنه أيضا حدّثه بالمسلسل باتخاذ السبحة، ولقّنه الذكر بسنده المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٢٣١]

ومما ذكره أصحاب الإمام السنوسي أن الإمام كان يتبرك ببصاق سيدي إبراهيم التازي في فمه.[٢٣٢] فلو لم يكن من أخبار الإمام السنوسي مع شيخه إلا هذا الخبر لكان ذلك كافيا للدلالة على حسن اعتقاده في حق شيخه سلطان الأولياء سيدي إبراهيم التازي، ولكان ذلك حجة قوية على انتمائه لطريق الصوفية وانتظامه في سلكهم. فكيف إذا انضم إليه غيره من الأخبار كالرواية التي تحدثنا عن طاعته المطلقة لشيخه وحذره من مخالفة أمره حينما أمره الشيخ إبراهيم التازي بالسفر في اليوم الذي لا يتوهم السفر فيه من أيام المطر الشديد، فخرج هو ومن معه وهم في قلق، وودّعوا الشيخ التازي ولم يقطعوا مسافة بعيدة إلا والمطر قد ارتفع وأصبح الجو كأجواء الربيع. وصرح الإمام السنوسي في هذه الرواية بأنه "لا تسعه مخالفته" يعني مخالفة أمر شيخه سيدي إبراهيم التازي "لما جرّبه من بركته."[٢٣٣]

وببركة صحبة شيخه التازي وغيره من الشيوخ الصوفية، أصبح الإمام السنوسي أحد رواد التصوف في وقته، وصار يربي الخلق بمنهاج تربية شيوخه الجامع بين التصوف والعقيدة. والدليل على ذلك ما ذكره في آخر شرحه على العقيدة الصغرى من أن المواظب على ذكر كلمة التوحيد على النحو الذي ذكره قبلُ سوف يتصف بالزهد والتوكل والحياء والغناء والفقر

---

٢٢٩ الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢.

٢٣٠ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١٩.

٢٣١ المرجع نفسه، ص٢١.

٢٣٢ المرجع نفسه، ص٢٢.

٢٣٣ المرجع نفسه، ص٢٢.

والإيثار على النفس والفتوة والشكر وغيرها من الفوائد الكثيرة التي سيعرفها بالذوق من يجتهد في أسبابها.[٢٣٤]

فبعد هذا التجوال التاريخي للتعرف على الخلفية التصوفية للإمام السنوسي، يجزم الباحث بأن الإمام كان من الأشياخ المبرزين في ميدان التصوف، وأنه من حقه أن يصفه تلميذه الملالي بـ"قطب الوجود"، و"الطريق الموصل إلى الرحمن، يتقرب إلى الله تعالى به كل صدّيق، ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق"، و"سلطان العارفين وقدوة السالكين"، و"صاحب الإشارات العلية"، و"منشئ معالم الطريقة بعد خفاء آثارها ومبدئ علوم الحقائق بعد غيبة أنوارها".[٢٣٥]

وبقي للباحث من الحديث عن مكونات الفكر الصوفي للإمام السنوسي أن يعرض جملة كافية من أسماء الأعلام الصوفيين ومؤلفاتهم التي تمت الإحالة إليها من قبل الإمام السنوسي. ويكون ذلك في الفقرة الموالية:

**مصادر صوفية للإمام السنوسي**

خلالَ قراءة الباحث لكتب الإمام السنوسي وما كُتب حوله، وَجَدَهُ يستمد معارفه التصوفية من الأعلام الآتي ذكرهم ومما كتبه هؤلاء، وهم:

١. حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ). اطلع الإمام السنوسي على كتب الغزالي خصوصا إحياء علوم الدين، وأحال إلى باب التوبة من الإحياء حين تعرضه للكلام عن التوبة في شرح العقيدة الوسطى.[٢٣٦] واطلع أيضا على منهاج العابدين ونقل عنه في شرحه على قصيدة الجزائري الموسوم بالمنهج السديد في شرح كفاية المريد.[٢٣٧] ومن تصفح إحياء علوم الدين أدرك أن الإمام الغزالي

---

[٢٣٤] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص٣٢٩—٣١.

[٢٣٥] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١.

[٢٣٦] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٥٥٥.

[٢٣٧] محمد بن يوسف السنوسي، **المنهج السديد في شرح كفاية المريد**، تحقيق مصطفى مرزوقي (الجزائر: دار الهدى، د.ت)، ص٤٩٠.

مزج فيه بين التصوف والفقه؛ أي بين الحقيقة والشريعة. ولعل لهذا الكتاب المهم إسهاما في إنشاء منهج الإمام السنوسي التوفيقي.

٢. سلطان الأولياء سيدي إبراهيم التازي (ت. ٨٦٦هـ). أفاد صاحب المواهب القدوسية أن الإمام السنوسي كثيرا ما يعتني بقصيدة شيخه التازي التي تحث على سلامة الصدر واجتناب الحقد، فأنشدهم هذه الأبيات التي هي قطعة من قصيدة شيخه هذا:

سلامة الصدر من خير الخصال فمن — أتى بقلب سليم ربه سعدا
والحقد طبع ذميم عدِّ عنه وعذ — بالله رب العلى من شر من حقدا
وجنّب الحقد المذموم صاحبه — ما ريء قط حسود ساد أو مجدا
نعوذ بالله من شر الحسود فما — يمسي ويصبح إلا ساخطا كمدا
عاد مواهب ذي الفضل العظيم فعا — داه السرور فمهموم يُرا أبدا

٣. ابن الزيات التادلي (ت. ٦٢٧هـ).[٢٣٨] ذكر الملالي أنه قرأ على الإمام السنوسي كتاب "التشوف في رجال التصوف" لهذا العالم، وختمه عليه في آخر مجلس قبل وفاة الإمام.[٢٣٩] ولا شك أن تدريسه له يدل على اطلاعه لما تضمنه الكتاب من المسائل الصوفية. فمن المسائل التي أوردها فيه –ويظهر للباحث أن الإمام السنوسي في كتاب نصرة الفقير يسير على رأي التادلي في تلك المسألة– مسألة التسليم وعدم الإنكار على الأولياء والحذر من معاداتهم.[٢٤٠]

---

[٢٣٨] هو الشيخ الفقيه القاضي الأديب المؤرخ. صحب الولي الكبير أبا العباس السبتي. صنف "التشوف إلى رجال التصوف" وشرح مقامات الحريري وتآليف في صلحاء المغرب. تنظر ترجمته في: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٦٢٦؛ مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٢٦٥.

[٢٣٩] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٣٢.

[٢٤٠] يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد التوفيق (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٨٤)، ص٤٦.

٤. الشيخ العارف بالله المحقق الحجة السالك المربي حجة الله تعالى أبو عبد الله محمد ابن عباد الرندي[٢٤١] (ت. ٧٩٢هـ). هكذا وصفه الإمام السنوسي في كتابه الموسوم بـ"شرح واسطة السلوك"، ونقل منه نقلا مطولا تحدث الإمام ابن عباد من خلاله عن قضية أفضلية الرسول صلى الله عليه وسلم.[٢٤٢] وهذا النقل أصله من رسائله الكبرى في التصوف المسماة بـ"نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل".[٢٤٣]

٥. الشيخ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي[٢٤٤]. استفاد الإمام السنوسي من كتابه الموسوم بـ"الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز" فنقل عنه بعض فضائل الهيللة في شرحه على أم البراهين.[٢٤٥]

---

[٢٤١] هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن عباد النفزي الرندي، المشتهر بابن عباد، الفقيه الصوفي الزاهد الولي، خطيب جامع القرويين وإمامه، ذو كلام عجيب في التصوف. من أكابر أصحاب ابن عاشر. من كتبه: الرسائل الصغرى والكبرى وشرح حكم ابن عطاء الله. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٤٧٢.

[٢٤٢] السنوسي، **شرح واسطة السلوك**، ص١٧٧–٨٢.

[٢٤٣] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عباد الرندي، **الرسائل الكبرى المسماة نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل**، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: كتاب ناشرون، ٢٠١٣).

[٢٤٤] هو عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعي اليمني، الإمام المفتي العالم الولي صاحب الكرامات، نزيل مكة، وشيخ الحرم. ولد سنة ٦٩٨ هـ تقريبا. له تآليف منها: روض الرياحين في أخبار الصالحين، والإرشاد والتطريز، والدرة المستحسنة في تكرار العمرة في السنة. توفي سنة ٧٦٨ هـ ودفن بالمعلاة. ينظر: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، **العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين**، م ٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ص٣٢٢.

[٢٤٥] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص٣١٥.

٦. الإمام الصوفي الكبير أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري[٢٤٦] (ت. ٤٦٥هـ)، صاحب الرسالة القشيرية. نقل عنها الإمام السنوسي في المنهج السديد.[٢٤٧]

٧. الأستاذ أبو علي الحسن بن علي بن محمد الدقاق[٢٤٨] (ت. ٤٠٥هـ). شيخ الإمام القشيري. أورد الإمام السنوسي في كتابه "المنهج السديد" كلام الأستاذ أبي علي الدقاق مستشهدا ومستدلا به على وجوب المجاهدة في بداية طريق السلوك.[٢٤٩]

٨. الشيخ أَبُو عُثْمَان سعيد بن سَلام المغربي القيرواني[٢٥٠] (ت. ٣٧٣هـ). هذا الإمام الذي أوصى في آخر حياته أن يصلي عليه أحد كبار الأعلام الأشعريين؛ وهو الإمام أبو بكر ابن فورك[٢٥١] (ت. ٤٠٦هـ). ذكر الإمام السنوسي في المنهج السديد كلاما له في بيان أن فتح الطريقة إنما هو بلزوم المجاهدة.[٢٥٢]

---

[٢٤٦] هو الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري الشافعي، الصوفي المشهور. ولد سنة ٣٧٥ هـ. صاحب الرسالة المشهورة والتفسير الكبير ولطائف الإشارات وغيرها. أخذ عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني وابن فورك وصحب أبا علي الدقاق. من أقران أبي محمد الجويني والبيهقي. أخذ عنه أولاده. توفي سنة ٤٦٥ هـ. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٨، ص٢٣٢.

[٢٤٧] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٦٦؛ السنوسي، **المنهج السديد**، ص٤٨٢.

[٢٤٨] هو الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق أبو علي الدقاق النيسابوري، شيخ الأستاذ أبي القاسم القشيري. لسان وقته وإمام عصره. تفقه على يد القفال المروزي وصحب أبا القاسم النصراباذي. توفي سنة ٤٠٥ هـ. ينظر: أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر ثقة الدين الدمشقي الشافعي، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري** (دمشق: دار التقوى، ٢٠١٨)، ص٤٢٩.

[٢٤٩] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٤٧٩.

[٢٥٠] هو أبو عثمان سعيد بن سلام القيرواني المغربي، من كبار المشايخ، له أحوال وكرامات، وكان أوحد في طريقته وزهده. صحب أبا علي بن الكاتب وحبيبا المغربي وأبا عمرو الزجاجي. توفي سنة ٣٧٣ هـ. ينظر: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، **طبقات الصوفية** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ص٣٥٨.

[٢٥١] هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، شيخ المتكلمين. أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الإمام الأشعري وعن البيهقي وأبي القاسم القشيري. أخذ عنه الحاكم النيسابوري. بلغ تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن مئة. مات سنة ٤٠٦ هـ مسموما ودفن بالحيرة. ينظر: ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص٤٣٩.

[٢٥٢] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٤٧٩.

٩. أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذي النون المصري[٢٥٣] (ت. ٢٤٥هـ). أورد الإمام السنوسي في المنهج السديد كلامه عن علامة المراقبة.[٢٥٤]

١٠. أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه الخراساني النصرآباذي النيسابوري[٢٥٥] (ت. ٣٦٧هـ). وصفه الحاكم النيسابوري[٢٥٦] (ت. ٤٠٥هـ) صاحب المستدرك بكونه لسان أهل الحقائق في عصره.[٢٥٧] نقل عنه الإمام السنوسي كلامه في فضل الخوف والرجاء والمراقبة.[٢٥٨]

١١. الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمان بن عبد الله بن يلين الصنهاجي المصري المعروف بالإمام القرافي (ت. ٦٨٤هـ). وإدخال الإمام القرافي في قائمة الأعلام الصوفية والمصادر التصوفية للإمام السنوسي ليس بأمر مستغرب حيث إن الإمام السنوسي لم ينقل عنه إلا ما يتعلق بفوائد أخلاقية، فأورد كلامه في كتاب الفروق الذي يوضح الفرق بين العجب والرياء والتسميع.[٢٥٩]

---

[٢٥٣] أبو الفيض أو الفياض ثوبان بن إبراهيم وقيل: فيض بن أحمد المصري النوبي الإخميمي الزاهد شيخ الديار المصرية. روى عن مالك والفضيل وسفيان بن عيينة وآخرين. ممن روى عنه الجنيد البغدادي. توفي سنة ٢٤٥ هـ. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١١، ص٥٣٢.

[٢٥٤] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٤٨٤.

[٢٥٥] هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه الخراساني النصراباذي النيسابوري، الإمام المحدث القدوة الواعظ الزاهد، شيخ الصوفية بنيسابور ولسان أهل الحقائق في عصره. ممن سمع منهم ابن خزيمة، ولقي الشبلي. حدث عنه الحاكم والسلمي وأبو علي الدقاق ولبس منه الخرقة وهو عن الشبلي. توفي بمكة سنة ٣٦٧ هـ. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٦، ص٢٦٣.

[٢٥٦] هو الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري الشافعي، الإمام الحافظ إمام أهل الحديث في عصره. ولد سنة ٣٢١ هـ بنيسابور. سمع من نحو ألفي شيخ. ممن حدث عنه الدارقطني – وهو من شيوخه – والبيهقي والقشيري. من تصانيفه المشهورة: المستدرك ومعرفة علوم الحديث. توفي سنة ٤٠٥ هـ. ينظر: ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص٤٣١؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ص١٦٢.

[٢٥٧] شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، م ١٦ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، ص٢٦٥.

[٢٥٨] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٤٨٤.

[٢٥٩] المرجع نفسه، ص٤٩٩–٥٠٠.

١٢. الشاعر الصوفي الشيخ أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي المعروف بابن الفارض (ت. ٦٣٢هـ). أورد الإمام السنوسي بيتا شعريا له تضمن فيه إشارة إلى أن التقرب إلى الأعزاء إنما يكون بالذلة.[٢٦٠]

١٣. الصوفي الكبير الإمام تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله السكندري (ت. ٧٠٩هـ). استفاد الإمام السنوسي مما ذكره الإمام ابن عطاء الله في كتابه "طريق الجادة إلى نيل السعادة"[٢٦١] من أثر صحبة أبناء الدنيا وصحبة أبناء الآخرة.[٢٦٢] كما أنه نقل منه كلامه في التحذير من النظر إلى المستحسنات[٢٦٣] وكلامه في حب الدنيا.[٢٦٤] وقد نقل الإمام السنوسي أيضا من كتابه المسمى بـ"التنوير في إسقاط التدبير".[٢٦٥]

١٤. شيخ الشيوخ سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري التلمساني[٢٦٦] (ت. ٥٩٤هـ). نقل عنه الإمام السنوسي كلامه عن التكبر والعلو على الناس.[٢٦٧]

وبالجملة، كان تصوف الإمام السنوسي أمرا بارزا في حياته وبعد مماته، ولعل الباحث لا يجانب الصواب إذا قال بأن الإمام اشتهر عند أهل بلده بصفة الصوفي أكثر مما اشتهر بصفة

---

[٢٦٠] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٥٠٤.

[٢٦١] ويعرف أيضا بكتاب "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس".

[٢٦٢] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٥١١.

[٢٦٣] المرجع نفسه، ص٥٣٣.

[٢٦٤] المرجع نفسه، ص٥٤٧-٥٤٩.

[٢٦٥] المرجع نفسه، ص٥٥٤-٥٨.

[٢٦٦] هو الشيخ الفقيه المحقق الواصل القطب سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي. أخذ التصوف عن شيوخ جلة كالشيخ أبي يعزى والشيخ أبي علي الدقاق والشيخ عبد القادر الجيلاني حين لقيه في الديار المقدسة فألبسه خرقة الصوفية. وقد تخرج على يده ألف تلميذ، ظهرت على كل واحد منهم كرامة. ومن تلامذته الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي. توفي رحمه الله سنة ٥٩٤هـ. تنظر ترجمته في: أحمد بن أحمد أبو العباس الغبريني، **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، تحقيق عادل نويهض (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩)، ص٢٢. بعد هذا يختصر بـ: "عنوان الدراية".

[٢٦٧] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٥٧٨.

المتكلم.[٢٦٨] وقد شهد بذلك أهل عصره حيث اتفقوا على ولايته؛ فالمشايخ والصالحون –كما قال الملالي– على حبه متفقون، ومن أنواره مقتبسون، وبكراماته يتحدثون، وفي كل الأوقات عليه واردون.[٢٦٩]

**المبحث الثاني: الخلفية العقدية للإمام السنوسي**

لا يَشُكُّ أحدٌ من باحثِي علمِ الكلام، في أن الإمام السنوسي كان آيةً في علم التوحيد. وهو حقيقٌ بِأَنْ وصفه تلميذه؛ الملالي، في مناقبه بـ"روح خلاصة أهل الإيمان".[٢٧٠] ولكن من حق الباحثين أن يتسائلوا عما يشكّل الفكر العقدي للإمام السنوسي ويجعله منخرطا في سلك المجددين لهذا العلم.

والحقيقة أن الجواب لهذا السؤال عسير. ولكن هذا لا يصد الباحث من أن يمهد الطريق للوصول إلى جوابه ولو بعد حين وعلى يد باحث آخر. فيقول الباحث: إذا فحصنا مسيرة الإمام السنوسي وحياته كطالب العلم الشرعي وجدنا هناك أعلاما ورجالا يغلب على ظن الباحث أنهم قد مهدوا للإمام السنوسي طريقته النيرة في علم الكلام. ومن هؤلاء الرجال الشيخ الإمام العالم الورع الصالح سيدي أبو القاسم الكنابشي البجائي الذي كان يدرّس الإمام السنوسي وأخاه كتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" لإمام الحرمين، والشيخ العالم الرحال الأَبُلِيّ الذي أخذ عنه الإمام السنوسي علم الكلام أيضا. ولكن للأسف الشديد لم يمد أي مصدر من مصادر التراجم والطبقات بسيرة هذين الرجلين، إلا ما ذكره الملالي في المواهب القدوسية في حق الأول بقدر سطر أو سطرين.[٢٧١] وأما الأخير فلم تُفصح المصادر إلا باسم الرجل وبكونه أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب في الأزمنة المتأخرة.[٢٧٢] فهذا أقصى ما جادت به كتب التراجم والطبقات حول رجال أهل الكلام الذين لهم تأثير في شخصية هذا الإمام الكبير.

---

[٢٦٨] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢.

[٢٦٩] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٣٤.

[٢٧٠] المرجع نفسه، ص١.

[٢٧١] المرجع نفسه، ص١٦.

[٢٧٢] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢.

أما غير الكنابشي والأَبُلِيّ من رجال أهل الكلام حول الإمام السنوسي فيمكن للباحث أن يتتبع صلتهم وعلاقتهم به بملاحظة تلميحات وإشارات من بعض العلماء، أو بأن يجرد الباحث أسماء شيوخ السنوسي وشيوخ شيوخه وهلم جرا حتى يقف على وصف كلامي مشترك بين رجال هذه السلسلة كأن يكونوا كلهم مشتغلين بعلم العقيدة والكلام أو يكون اعتمادهم وتركيزهم كلهم على كتاب واحد من الكتب الكلامية الأشعرية. فمن هنا يستطيع الباحث أن يربط العلاقة العقدية والصلة الكلامية بين الإمام السنوسي وشيوخه.

أما الطريقة الأولى –وهي الإشارات والإحالات إلى مشايخ الإمام السنوسي– فقد ذكر الشيخ محمد بن عسكر الشفشواني أن أشياخ الإمام السنوسي وأشياخ معاصره الإمام المتكلم ابن زكري[٢٧٣] واحد.[٢٧٤] ثم ذكر بعده أسماء، وممن ذكرهم الإمام شمس الدين أبو عبد الله ابن مرزوق الحفيد (ت. ٨٤٢هـ). سجل المؤرخون لهذا الإمام الصوفي الجليل موقفا مهما مع الإمام السنوسي حيث إنه كلما التقى بالسنوسي زمن طفولته وضع يده على رأسه وقال له: "نقرة خالصة"[٢٧٥] ولعله يعني بذلك دعاء له بأن يجعله الله كحفرة العين التي أعدت خالصة لسقاية الواردين العاطشين لمعرفة رب العالمين. ولا شك أن الله قد استجاب دعوته تلك.

ثم إنه لم تنتهِ علاقة الإمام السنوسي بشيخه ابن مرزوق الحفيد إلى حد التبرك والدعاء فحسب، بل تستمر إلى حد الاستفادة بأفكار شيخه في رسالته في العقيدة ومحاكاة عنوانها في بعض عنوان تآليفه. وذلك ظاهر في عنوان العقيدة الكبرى للسنوسي "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد" الذي يشابه عنوان رسالة ابن مرزوق الحفيد الذي هو "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد".[٢٧٦] وأما ما يتعلق بالتشابه في الأفكار فقد بنى الإمام السنوسي صغراه (أم البراهين) على أسلوب رسالة

---

[٢٧٣] هو أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني، علامتها ومفتيها. أخذ عن ابن مرزوق الحفيد، وأخذ عنه الشيخ أحمد زروق والخطيب ابن مرزوق حفيد الحفيد. كان له منازعات مع الإمام السنوسي. له تآليف كبغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب والمنظومة الكبرى في علم الكلام. توفي سنة ٨٩٩ هـ. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص١٢٩.

[٢٧٤] الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢.

[٢٧٥] المرجع نفسه، ص١٢٢؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥٧١.

[٢٧٦] زهري، **المصادر المغربية**، ج١، ص٢٧٢.

عقيدة أهل التوحيد للحفيد، وهذا هو ما صرح به التنبكتي.[٢٧٧] والكلام في التشابه بين الأفكار يجر الباحث إلى الكلام عن الطريقة الثانية من طريقتي معرفة تأثر اللاحق بالسابق في هذا الموضوع.

أما الطريقة الثانية –وهي تتبع الأوصاف المشتركة بين الإمام السنوسي وبين شيوخه وشيوخ شيوخه– فقد رأى الباحث تشابه الأفكار والمنهج بين السنوسي وشيخه سيدي إبراهيم التازي (ت. ٨٦٦هـ). سبق أن ذكر الباحث في المبحث السابق الارتباط الوثيق والعلاقة الوطيدة بين الإمام السنوسي وشيخه في الطريقة سيدي إبراهيم التازي رحمه الله، ولكن اقتصر هنالك ببيان البعد الصوفي لشيخه وكيف كان الإمام السنوسي شديد الامتثال لأمره. فإن شدة الامتثال وكمال الاقتداء بالشيخ المرشد المربي ليس بأمر غريب عند من سلك طريق أهل الله.[٢٧٨] وهذا الامتثال والاقتداء يجعل الباحث لا يتردد في القول بأن الإمام السنوسي كما أنه تأثر بتصوف سيدي إبراهيم التازي فهو أيضا متأثر بمنهج عقيدته. كيف لا، والتاريخ يشهد لنا أن شيخه هذا كان يرشد الخاصة والعامة لعبودية الله بعقائد التوحيد ووظائف الأذكار، وكان من أهل المعرفة التامة بأصول الدين.[٢٧٩] وهذه الخصلة –يعني بها الباحث إرشاد العامة والخاصة وتربيتهم بعقائد التوحيد– هي نفسها التي وجدها الباحث عند الإمام السنوسي حيث كان يربي طلبته وجمعا من العوام على قراءة متن أم البراهين إثرَ سلامهم من صلاة عصر يوم الجمعة كورد أسبوعي وعادة مستمرة لهم.[٢٨٠]

---

[٢٧٧] أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق محمد مطيع، (المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٠)، ج٢، ص١٤٣. يختصر بعد هذا بـ: "كفاية المحتاج".

[٢٧٨] قال حجة الإسلام الغزالي مبينا ضرورة الاقتداء بالشيخ المرشد: "...فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة." ثم قال بعدُ: "...فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه. فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر، ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر." ينظر: محمد بن محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (جدة: دار المنهاج، ٢٠١٥)، ج٥، ص٢٦٦.

[٢٧٩] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٦٠.

[٢٨٠] أبو جعفر أحمد بن علي البلوي، **ثبت أبي جعفر البلوي**، تحقيق عبد الله العمراني (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣)، ص٤٣٦–٣٧.

ثم إذا ألقى القارئ نظرة إلى ترجمة سيدي إبراهيم التازي وجده صحب الشيخ الصالح الولي الكامل سيدي محمد بن عمر الهواري[٢٨١] (ت. ٨٤٣هـ). وهذا الأخير له رسالة في العقيدة[٢٨٢] وكان الإمام السنوسي يحاكيها أيضا في عقيدته الصغرى (أم البراهين)، إلا أنه قدّم بعض الأفكار وأخّر بعضها، وزاد في عقيدته ما لا يوجد في هذه الرسالة ولا في غيرها وهو مبحث المعاني التي تندرج تحت كلمة التوحيد. وعودا على سيدي إبراهيم التازي، فإنه أيضا أخذ عن الشيخ الصوفي ابن مرزوق الحفيد، وحينئذ يصح أن يعتبر الباحث سيدي إبراهيم التازي همزة وصل بين الإمام السنوسي وبين هذين العالمين -أعني الهواري والحفيد- في كلا الفنين؛ العقيدة والتصوف.

وممن له صلة كلامية خفية بالإمام السنوسي الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت. ٨٧٥هـ). هذا الإمام الجليل كما أنه معروف بتبحره في علم التفسير والحديث والفقه والتصوف، فإنه معروف أيضا بكونه متكلما. ويشهد له بذلك رسالته المسماة بـ"حقائق التوحيد" التي وضعت لبيان حقائق وتعاريف المصطلحات الكلامية الواردة في شرح العقيدة الصغرى لتلميذه السنوسي.[٢٨٣] هذا هو المشاهد في جانب تأثره بالإمام السنوسي. أما جانب تأثر السنوسي به فيتضح ذلك بالوقوف على حقيقةٍ وهي أن الإمام السنوسي قد استفاد كثيرا في شرحه للعقيدة الكبرى من كتاب "المختصر الشامل في علم الكلام" للإمام المتكلم الكبير أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت. ٨٠٣هـ). ويغلب على الظن أن هذه الاستفادة حاصلة ببركة صلته بالإمام الثعالبي الذي له صلة بتلاميذ الإمام ابن عرفة خصوصا الإمام المتكلم أبا عبد الله محمد بن خلفة الأبي[٢٨٤] (ت. ٨٢٧هـ). وممن أخذ العثالبي عنهم -

---

[٢٨١] هو أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري، الشيخ الولي الصالح القطب، كثير السياحة شرقًا وغربًا برًا وبحرًا. من شيوخه عبد الرحمن الوغليسي والزين العراقي. توفي بوهران سنة ٨٤٣ هـ. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٥١٦.

[٢٨٢] محمد بن عمر الهواري، **عقيدة الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري الوهراني**، تحقيق نزار حمادي (تونس: دار الإمام ابن عرفة، د.ت)، ص٧-٢١ وما بعدها.

[٢٨٣] عبد الرحمن الثعالبي، **حقائق التوحيد**، تحقيق نزار حمادي (تونس: دار الإمام ابن عرفة، د.ت)، ص٢—٣.

[٢٨٤] هو محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني المشهور بالأبي، الإمام العلامة المحقق المدقق الرحلة. أخذ عن الإمام ابن عرفة ولازمه وكان من أعيان أصحابه ومحققيهم. له إكمال الاكمال في شرح مسلم جمع فيه بين المازري وعياض

وهم من تلامذة الإمام ابن عرفة– الشيخ أبو القاسم البرزلي[٢٨٥] (ت. ٨٤٤هـ) والشيخ أبو مهدي عيسى الغبريني[٢٨٦] (ت. ٨١٥هـ) والشيخ أبو يوسف يعقوب الزغبي[٢٨٧] (ت. ٨٣٣هـ).[٢٨٨] فهذه الصلة العلمية التي نشأت بين الإمام السنوسي والإمام الثعالبي؛ تلميذ تلاميذ الإمام المتكلم ابن عرفة، تمكّنه من الاستفادة من كتاب المختصر الشامل الذي هو مدونة عظيمة للعقيدة الأشعرية.

هذا ما يتعلق برجال علم الكلام حول السنوسي وتأثيرهم فيه. أما الأعلام الماضية والكتب المؤلفة التي لها دور في رسم صورة المعرفة العقدية للإمام السنوسي فهو كالتالي.

## مصادر عقدية للإمام السنوسي

حينما يتصفح الباحث الكتب الكلامية التي ألفها الإمام السنوسي وجده قد تأثر بمجموعة من رجال المدرسة الأشعرية، فطالع كتبهم ودرسها ونقل منها وناقش بعضها، وهؤلاء المتكلمون هم:

---

والقرطبي والنووي مع زيادات، وشرح المدونة. توفي فيما قيل سنة ٨٢٧ هـ، وقيل: ٨٢٨ هـ. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٤٨٧.

[٢٨٥] هو أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني ثم التونسي، مفتيها وفقيهها وحافظها، وكان إليه المفزع في الفتوى. أخذ عن ابن عرفة ولازمه نحواً من أربعين عاماً، وأخذ أيضا عن ابن مرزوق الجد والحفيد. من كتبه: الحاوي في النوازل. توفي سنة ٨٤١ هـ أو سنة ٨٤٣ هـ أو سنة ٨٤٤ هـ. ينظر: مخلوف، **شجرة النور**، ص٣٥٢.

[٢٨٦] هو أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد الغبريني التونسي. قاضي الجماعة بتونس وعالمها وصالحها وحافظها وخطيبها. استنابه شيخه ابن عرفة على إمامة جامع الزيتونة وقت سفره للحج واستقل بها بعد وفاته حتى توفي سنة ٨١٥ هـ. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٢٩٧.

[٢٨٧] هو أبو يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزغبي التونسي. الإمام المتفنن القاضي. ولي قضاء القيروان ثم قضاء الجماعة بتونس بعد الغبريني. من أكابر أصحاب ابن عرفة. أخذ عنه جماعة منهم الثعالبي. توفي سنة ٨٣٣ هـ. ينظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٢٦١؛ مخلوف، **شجرة النور**، ص٣٥١.

[٢٨٨] الثعالبي، **رحلة عبد الرحمن الثعالبي**، ص١٠٩.

١. الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد المعروف بابن دهاق أو بابن المرأة الأوسي المالقي[٢٨٩] (ت. ٦١١هـ). شرح كتاب الإرشاد وسماه بـ"نكت الإرشاد". أكثر الإمام السنوسي النقل عنه في كتبه كالكبرى[٢٩٠] والوسطى[٢٩١]. ويتجلى من تلك النقولات أن الإمام ابن دهاق كان يمزج علم الكلام بعلم التصوف. والفضل في ذلك راجع إلى شيخه سيدي أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحَلَوي[٢٩٢] صاحب مدرسة تصوفية بالأندلس معروفة بالمدرسة الشوذية[٢٩٣]. وهي المدرسة التي شكّلت رافدا مهما في تشكيل فلسفة وتصوف رواد التصوف الفلسفي القائلين بالوحدة المطلقة ووحدة الوجود كالشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي (ت. ٦٣٨هـ) والشيخ أبي الحسن الششتري[٢٩٤] (ت. ٦٦٨هـ)

---

[٢٨٩] هو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن دهاق ويعرف بابن المرأة، الفقيه الحافظ الإمام المحدث، وكان متقدما في علم الكلام. سكن مالقة ثم انتقل إلى مرسية. من تآليفه: شرح على إرشاد أبي المعالي وشرح الأسماء الحسنى. توفي سنة ٦١١ هـ. ينظر: مخلوف، **شجرة النور**، ص٢٤٨؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤)، ج١، ص١٦٨. بعد هذا يختصر بـ"الإحاطة".

[٢٩٠] ينظر مثلا: محمد بن يوسف السنوسي، **شرح العقيدة الكبرى**، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي (دمشق: دار التقوى، ١٤٤١)، ص١٧٤–٧٦.

[٢٩١] ينظر مثلا: السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٢٢٠–٢٧.

[٢٩٢] هو إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين. وكان رضي الله عنه قاضيا بإشبلية آخر دزلة بني عبد المؤمن، ثم فر بنفسه من القضاء وأوى إلى تلمسان. وأخبر ابن المرأة أنه لما ابتدأ تعلمه على يد الشيخ الحلوي قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فتكلم الشيخ في فضلها عشرة أيام. تنظر ترجمته في: ابن مريم، **البستان**، ص٦٨ وما بعدها.

[٢٩٣] محمد حلمي عبد الوهاب، "الشُّوذيَّة حلقة مفقودة في التصوُّف الأندلسيّ: ابن المرأة الأندلسيُّ.. حياته وتصوُّفه"، **مجلة العرفان للدراسات الصوفية**، (١٤ يونيو، ٢٠١٨)، ص٤١–٧٠.

[٢٩٤] هو أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري، عروس الفقراء وأمير المتجردين، له معرفة. أخذ عن أصحاب السهروردي وعن عبد الحق بن سبعين وخدمه. من تآليفه: العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم، والمقاليد الوجودية في أسرار إشارات الصوفية. توفي سنة ٦٦٨ هـ. ينظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٤، ص١٨٢.

والشيخ عبد الحق بن سبعين[٢٩٥] (ت. ٦٦٩هـ).[٢٩٦] واعتماد الإمام السنوسي على الإمام ابن دهاق –مع أنه حكم عليه المفسر الأندلسي أبو حيان الغرناطي[٢٩٧] (ت. ٧٤٥هـ) بالكفر والزندقة[٢٩٨]– يشعر بحسن ظن السنوسي تجاه رجال هذه المدرسة، وإن لم يصرح هو بذلك.

٢. إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني الشافعي الأشعري (ت. ٤٧٨هـ). لقد كان لهذا الإمام أثر كبير في فكر الإمام السنوسي حتى يقال إن أول تآليفه العقدية التي هي عقيدته الكبرى لا تعدو أن تكون تلخيصا وتجديدا ومحاكاة لأشهر كتب العقيدة التي ألفها إمام الحرمين وهو المسمى بـ"الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد".[٢٩٩] ولم تقف استفادة الإمام السنوسي من إمام الحرمين على هذا التأليف فحسب، بل استفاد كذلك من كتابه "الشامل في أصول الدين".[٣٠٠]

٣. الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي المعروف بفخر الدين الرازي (ت. ٦٠٦). اهتم الإمام السنوسي بآراء الإمام فخر الدين الرازي

---

[٢٩٥] هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ابن سبعين قطب الدين أبو محمد المرسي الرقوطي الصوفي. كان صوفيا على قواعد الفلاسفة، وله كلام كثير في العرفان وتصانيف، وله أتباع ومريدون يعرفون بالسبعينية. من تآليفه: كتاب البُدّ، وكتاب الإحاطة. توفي بمكة سنة ٦٦٩ هـ. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٨، ص٣٧؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٤، ص٢٠.

[٢٩٦] عبد الوهاب، **"الشوذية حلقة مفقودة"**، ص٤٣.

[٢٩٧] هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني. الإمام المطلق في النحو والتصريف، عارف باللغة، وله يد طولى في التفسير والحديث وتراجم الناس. ممن أخذ عنه: ابن هشام والسبكي وولداه. من كتبه: البحر المحيط في التفسير، ومختصره، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل. مات سنة ٧٤٥ هـ. ينظر: شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢)، ج٦، ص٥٨؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤)، ج١، ص٢٨٠.

[٢٩٨] عبد الوهاب، **"الشوذية حلقة مفقودة"**، ص٤٤.

[٢٩٩] زهري، **ثلاث عقائد**، ص٤١.

[٣٠٠] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص١٥١.

في عدد من المسائل العقدية وأحال إلى بعض مؤلفاته ككتاب الأربعين في أصول الدين، ومعالم أصول الدين.[٣٠١] وقد يكتفي بذكر اسمه دون الإحالة إلى كتابه كما حصل مع كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين.[٣٠٢]

٤. الإمام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (ت. ٥٤٤هـ)، صاحب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. نقل عنه الإمام السنوسي كلامه في كيفية نطق لفظ "النبوة" وكلامه في أن النبوة والرسالة ليست ذاتيا للنبي ولا وصف ذات، بل هو تخصيص الله إياه بذلك.[٣٠٣]

٥. الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوَرْغَمِّيُّ (ت. ٨٠٣هـ)، من كبار المتكلمين بالغرب الإسلامي. له كتاب مهم في علم الكلام سماه "المختصر الشامل في علم الكلام". نقل عنه الإمام السنوسي في عدة مواضع وأثنى عليه بأن يصفه بكونه يحاذي طوالع البيضاوي.[٣٠٤]

٦. الشيخ أبو يحيى زكريا بن يحيى الشريف الحسني الإدريسي المالكي السبتي (كان حيا سنة ٦٢٩هـ). ذكر الإمام السنوسي كلامه في بيان أنواع الاعتقاد، وأشار إلى أن الكلام المذكور من شرح الشريف أبي يحيى على الإرشاد.[٣٠٥] واسم شرحه هذا هو "كفاية طالب علم الكلام في شرح الإرشاد للإمام". كما أن الإمام السنوسي نقل عنه أيضا كلامه في كتابه الآخر الذي هو شرحه على الأسرار العقلية في الكلمات النبوية للتقي المقترح.[٣٠٦]

٧. الشيخ أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي القروي (كان حيا سنة ٤٧٨هـ)، صاحب الإمام القاضي أبي بكر الباقلاني (ت. ٤٠٣هـ). وله شرح

---

٣٠١ السنوسي، **شرح الكبرى**، ص١٩٦-٢٩١-٢٩٧.

٣٠٢ السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٤٣٨.

٣٠٣ المرجع نفسه، ص١٤٤—٤٦.

٣٠٤ السنوسي، **شرح الكبرى**، ص١٤٣.

٣٠٥ السنوسي، **شرح الوسطى**، ص١٦١.

٣٠٦ المرجع نفسه، ص٣٩٤.

على تمهيد الأوائل للباقلاني، سماه "التسديد في شرح المتهيد"، كما أن له رسالة في الاعتقادات. نقل عنه الإمام السنوسي فقال في مطلع نقله: "قال الشيخ أبو القاسم عبد الجليل في عقيدته..."[٣٠٧]

٨. الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي المعروف بشرف الدين ابن التلمساني الفهري المصري (ت. ٦٤٤هـ). أكثر الإمام السنوسي النقل عن شرحه على معالم أصول الدين للإمام فخر الدين الرازي.[٣٠٨]

٩. الشيخ الإمام أبو العز مظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين المشهور بتقي الدين المقترح (ت. ٦١٢هـ). شيخ شرف الدين ابن التلمساني والشريف أبي يحيى الإدريسي السابق ذكرهما. استفاد الإمام السنوسي من شرحه على إرشاد الإمام الجويني ونقل عنه في عدة مواضع.[٣٠٩]

١٠. الإمام سعد الملة والدين أبو سعيد مسعود بن عمر التفتازاني (ت. ٧٩١هـ أو ٧٩٢هـ). صرح الإمام السنوسي باسم هذا الإمام المتكلم الجليل وبكتابه شرح المقاصد الدينية، وذلك في شرحه على العقيدة الوسطى.[٣١٠]

١١. الإمام قاضي القضاة ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي المعروف بالإمام البيضاوي (ت. ٦٨٥هـ). أحال الإمام السنوسي إلى كتابه طوالع الأنوار -على الأقل- في ثلاثة مواضع.[٣١١]

١٢. الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري (ت. ٥٠٥هـ). ذكر الإمام السنوسي في شرحه على العقيدة الكبرى توجيها لكلام الإمام الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد حيث قال: "لا تحرك عقائد العامة ويتركون على ما هم عليه" فذكر السنوسي أن ذلك إنما بالنظر إلى ما في

---

[٣٠٧] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص١٩١.

[٣٠٨] ينظر مثلا: السنوسي، **شرح الكبرى**، ص٢٨١—٨٢؛ السنوسي، **شرح الوسطى**، ص١٩٦-٣١٣.

[٣٠٩] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٣١٣-٣١٥.

[٣١٠] المرجع نفسه، ص٣٩٠.

[٣١١] السنوسي، **شرح الكبرى**، ص١٣٠-١٣٩-١٤٣.

الدنيا لأن أحكامها مبنية على الظواهر ولأن السنة مضت بعدم البحث عن الضمائر.[٣١٢] وقد سبق ذكر اسم الإمام الغزالي في قائمة المصادر الصوفية أيضا.

١٣. الإمام العلامة سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد الآمدي التغلبي الحنبلي ثم الشافعي (ت. ٦٣١هـ). استفاد الإمام السنوسي من كتاب "أبكار الأفكار في أصول الدين" له.[٣١٣]

فهذه ما وقف عليها الباحث من المصادر المعرفية لفكر الإمام السنوسي العقدي.

**خاتمة**

مما سبق عرضه في هذا الباب تبين للباحث أن الإمام السنوسي كان عالما مشاركا في شتى الفنون، وكانت همته متركزة على علمي الكلام والتصوف. والدليل على ذلك كثرة تآليفه في الفنين بالمقارنة مع الفنون الأخرى. وقد عاش الإمام ونشأ في البيئة العلمية التي لا تفسدها اضطرابات سياسية، فاستطاعت هذه البيئة أن تُعرّف عليه عددا من الأعلام الكبار في عصره، واستفاد منهم علوما وأحوالا وصار من العلماء الربانيين العاملين بمقتضى علومهم.

عرف الإمام السنوسي التصوف منذ طفولته حيث نشأ في أسرة صوفية، وكان في دائرة الصوفيين. ثم اتبع طريق القوم بعد لقائه بشيخه سلطان الأولياء إبراهيم التازي، فانتفع به وسلك طريقته في تربية الناس بعقائد الإيمان. وهي الطريقة التي تظهر بميزة التوفيق بين التصوف والعقيدة، فوثُق بها الربط بين العلمين في صدر الإمام السنوسي. والربط بين هذين العلمين لم يظهر في شيوخه الصوفيين فقط، بل يظهر كذلك في شيخه في علم الكلام وهو الكناباشي الذي كان يوصف بأنه صالح؛ وهو الوصف الذي يلازم الصوفية. وهكذا صوّر له شيوخه الصوفية والمتكلمون مظاهر التوفيق بين العلمين.

أما المصادر العقدية للإمام السنوسي فقد اتسمت بالتنوع في المنهج؛ فبعضها كانت كلامية محضة كما هو حال كتاب الإرشاد للجويني والاقتصاد للغزالي، وبعضها ممزوجة بالفلسفة ككتب فخر الدين الرازي، والبيضاوي، وبعضها الأخرى ممزوجة بالتصوف كما هو واضح في

---

[٣١٢] السنوسي، **شرح الكبرى**، ص١٤٧.

[٣١٣] المرجع نفسه، ص٣٣٦.

شرح الإرشاد لابن دهاق. ومع هذا الاختلاف في المنهج اشتركت هذه المصادر كلها في وصف واحد وهو أنها كلها تصنف للمتخصصين في المجال. وهذا، إن دل على شيء فإنه يدل على علو كعب الإمام السنوسي في علم الكلام حيث استطاع أن يفهم الكتب بهذه المستوى ويشرحها، وأحيانا ينتقدها.

ويجدر بالباحث أن يذكر هنا أن ما فعله الإمام من التعويل والاعتماد على شرح ابن دهاق ونقله لكلامه الممتزج بالنفس الصوفي من دون أي تعقيب لكلامه ولا لشخصه يدل – في رأي الباحث– على أمرين؛ الأول أنه اعترف بالمنهج التوفيقي الذي بثه الإمام ابن دهاق في كتابه، والثاني أنه لا يعتبره زنديقا كما وصفه بذلك الإمام أبو حيان الأندلسي. وإلا لما ارتضى أن يستدل بكلام ابن دهاق وأن يورده في ثنايا كتبه التي هي مدونات لعقيدة أهل السنة والجماعة؛ لشدة تمسك الإمام السنوسي بعقيدة أهل السنة وقوة رده على المخالفين لهم، كما اتضح ذلك في الباب السابق عند وصفه للمؤدبين الذين ضربوا طلابهم بالاعتزال. ومن ثم، يستنتج الباحث أن الإمام السنوسي لا يعترف بمنهج ابن دهاق التوفيقي فقط، بل كان يعترف أيضا بعقيدته وطريقته؛ لأن التعويل والاعتماد على قول مبتدع يكون مستحيلا عادة في حق هذا الإمام السني.

رجوعا إلى ما كان الباحث بصدده، فإنه بعد الفحص الذي أجراه الباحث على لائحة شيوخ الإمام السنوسي، وجد كثيرا منهم مشاركين في المجالين التصوف والعقيدة. ويمثل الباحث لذلك بالشيخ إبراهيم التازي والإمام ابن مرزوق والإمام أبي زيد الثعالبي. هذه الحقيقة هي التي شكلت شخصية الإمام السنوسي العلمية وأظهرت آثارها في مؤلفاته خصوصا العقيدة الصغرى (أم البراهين) حتى امتدحها ولي من أولياء الله تعالى وهو الشيخ الصالح الولي الناصح سيدي محمد بن الحاج بن يجبش التازي، فوصف الصغرى بكونها تجلي القلوب من الصدأ وتنيلها نورا، كما أنه وصف مؤلفه بأوصاف عالية كالمرشد وبحر العلوم ومعدن الأسرار.[٣١٤] فامتزج في العقيدة الصغرى علم التوحيد وعلم التصوف كما امتزجا في نفس مؤلفها، واستحق بذلك وصف "الإمام" في علم التوحيد ووصف "المرشد" في علم التصوف.

---

٣١٤ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١٥–١٦.

ثم نظر الباحث في المصادر التصوفية للإمام السنوسي يفيد أن الإمام ما زال مُعليا لراية المنهج التوفيقي حيث إن أغلب تلك المصادر إنما وجدت في كتابه "المنهج السديد" الذي هو شرحه لمنظومة عقدية مسماة بـ"كفاية المريد" للإمام الولي السيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري. ولعل الشيء الجاذب لوضع الشرح على هذه المنظومة –بغض النظر عن طلب ناظمها من الإمام– هو أن أبا العباس الجزائري وشّح منظومته العقدية وزيّنها بخطابات صوفية.[٣١٥] يعني أنه كان يسلك نفس المسلك الذي فضّله الإمام السنوسي وآثره على غيره من المسالك؛ ألا وهو مسلك التوفيق بين التصوف والعقيدة.

وبالجملة، ففكرة التوفيق بين التصوف والعقيدة كانت موجودة في ثقافة علماء تلمسان قبل وجود الإمام السنوسي –كما هو مشاهد في شيوخه– وامتدت هذه الفكرة إلى زمان ظهوره ثم بقيت إلى ما بعد موته، حيث وجد الباحث أن أبا المواهب الحسن بن مسعود اليوسي (ت. ١١٠٢هـ) الذي كان إماما في العقيدة والعلوم العقليات خصص قسما من كتابه "مشرب العام والخاص" للكلام عن منظر أهل الحقائق في كلمة التوحيد بعد أن تكلم عنها قبل ذلك بمنظور كلامي ومنطقي.[٣١٦] ويختم الباحث كلامه في ذا الباب برسم تشجير لإيضاح صلة الإمام السنوسي برجال العقيدة والتصوف تتميما للفائدة وتلخيصا لما سبق تفصيله. ويرمز الباحث لشيوخه في العقيدة بحرف (ع) ولشيوخه في التصوف بحرف (ص). وفيما يلي الرسم البياني المذكور:

---

[٣١٥] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٢٢.

[٣١٦] الحسن بن مسعود اليوسي، **مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص**، تحقيق حميد حماني اليوسي (المملكة المغربية: دار الرشاد الحديثة، ٢٠٠٩).

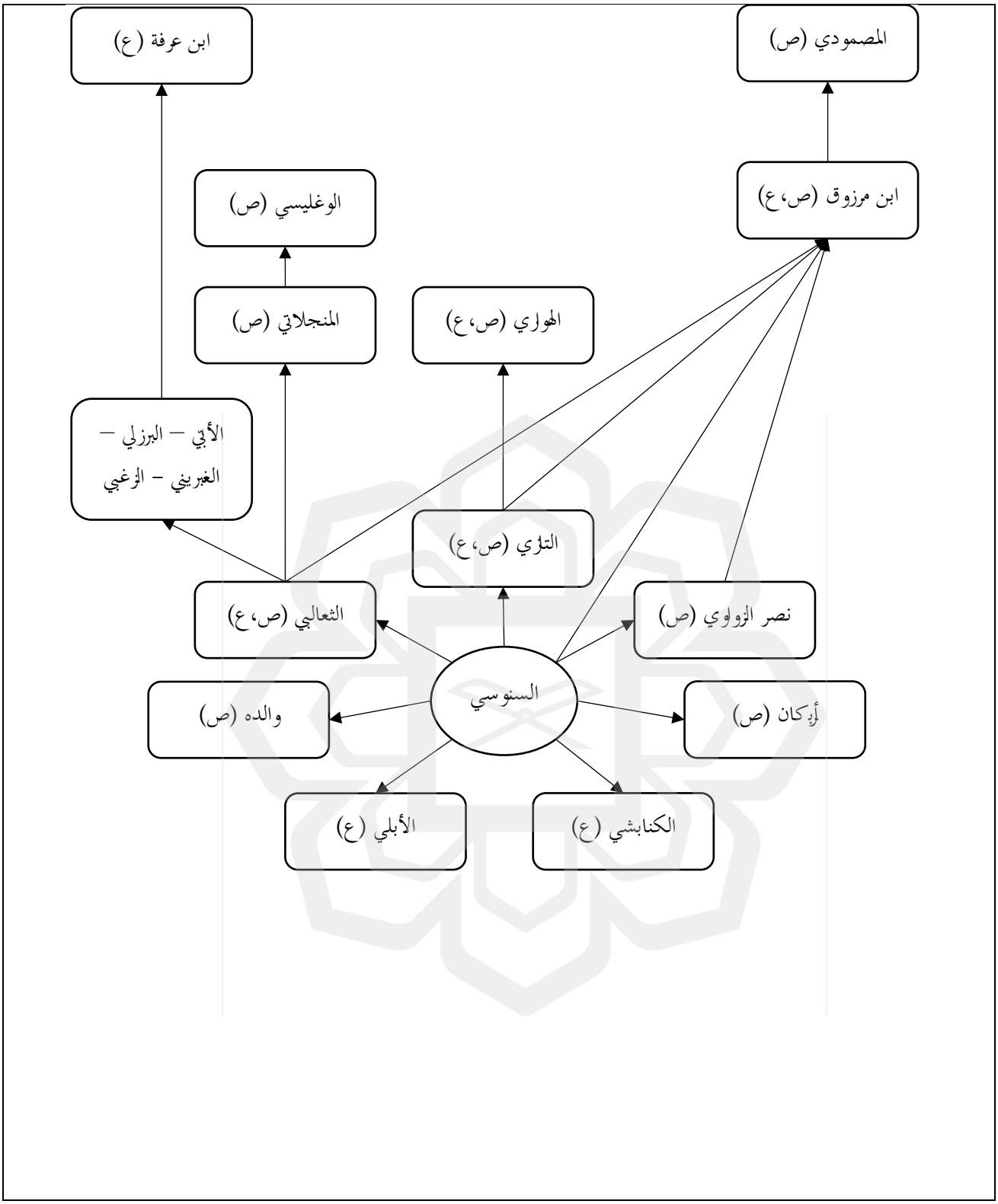
ابن عرفة (ع)
المصمودي (ص)
الوغليسي (ص)
ابن مرزوق (ص،ع)
المنجلاتي (ص)
الهواري (ص،ع)
الأبّي – البرزلي –
الغبريني – الزغبي
التلّي (ص،ع)
الثعالبي (ص،ع)
نصر الزواوي (ص)
السنوسي
والده (ص)
أبركان (ص)
الأبلي (ع)
الكنابشي (ع)

**الشكل ١**

# الباب الثالث

# تحقيق كتاب نصرة الفقيّر ونصوص تصوفية من كتاب المواهب القدوسية

**مقدمة**

عمليَّةُ تحقيق المخطوطات من أهم صُوَرِ الاشتغال بالعلم؛ لأن الْمُحَقِّقَ في عمل تحقيقه بمثابة الصَّيْرَفِيّ الذي بخبرته يستطيع أن يميّز بين النقود الأصلية والمزورة، فيختار الأصليةَ ويتجنب المزورةَ، ثم يعطي النقودَ الأصليةَ الصحيحةَ لمن جاءه لِيشتريَها، فيذهب هذا المشتري ويطمئِنُّ في تصرفه بالنقود الصحيحة، من دونِ خوفِ رَدِّ مالِه وخَطَرِ ذهابِ قيمتِه بسبب وقوع يده على النقود التي تَمَّ تزويرُها.

هكذا المحقق البصير بعلم التحقيق؛ يرجّح الكلمات الصحيحة في الكتاب المخطوط ويختار ما هو أقرب إلى مراد مؤلفه ويتجنب التصحيف والتحريف، حتى إذا جاء عالم أو باحث يطلع على الكتاب المحقَّق ويستشهد بنصوصه أو يبني عليه أحكاما وآراء، كان استشهاده صحيحا وكانت آراؤه مبنية على كلام صحيح غير مختلق على مؤلفه. والمحقق في التحقيق أيضا مثل الراوي في الحديث؛ فكما أن الثاني وسيلة لوصول الأحاديث والأخبار إلى من بعده، وعلى حسب إتقانه يكون الاعتماد على خبره، فكذلك الأول يكون وسيلة إلى وصول كتب المتقدمين، وعلى حسب إتقانه يكون الاعتماد على تحقيقه.

ونظرا لأهمية عملية التحقيق، سار الباحث في هذا الباب إلى إعادة تحقيق كتابين مهمين في موضوع تصوف الإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، يمكن اعتبارهما مصدرين أساسيين لفهم تصوف الإمام. وهذان الكتابان هما "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية" و"نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير". فحقق الباحث الكتاب الأول بكامله واختار من الكتاب الثاني نصوصا ثمينة ذات أهمية بالغة في الموضوع. هذا ما سيجده القارئ في الفصل الثاني المخصوص لتحقيق الكتابين.

أما الفصل الأول فسوف يتكلم فيه الباحث عن التعريف الوجيز بالكتابين، وعن سبب تأليفهما، والقضايا التي بحثت فيهما، ومميزاتهما على غيرهما من المؤلفات. هذا كله لأجل أن

يستبين للقارئ مدى علاقة التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي، ولأجل أن يتذوق القارئ العلاقة بين العلمين ويشاهد مظاهر التوفيق بينهما عند قراءته وتصفحه لكلام الإمام في الفصل الثاني المخصوص للتحقيق.

## الفصل الأول: التعريف الوجيز بالكتابين المحققين

### نصرة الفُقَيِّر في الرد على أبي الحسن الصُّغَيِّر

الكتاب الأول الذي تم اختياره للتحقيق هو كتاب "نصرة الفُقَيِّر في الرد على أبي الحسن الصُّغَيِّر" تأليف الإمام السنوسي نفسه. هذا الكتاب يختلف تماما عن غيره من مؤلفات الإمام لكونه مكتوبا لأجل الدفاع عن أهل الطريقة وبيان مشروعية بعض أعمالهم التي تم الإنكار والاعتراض عليها من قبل مؤلف مغربي معاصر للإمام السنوسي في رسالته الموسومة بـ"رسالة في ذم البدعة وأهلها".[١] وقد ذكر السنوسي اسمه ولقبه في ضمن كتاب "نصرة الفقير" وهو أبو الحسن الصُّغَيِّر المكناسي السوسي. وبعد البحث والتفتيش لم يجد الباحث أي معلومة عن هذا الرجل إلا ما ذكره الإمام السنوسي من اسمه ولقبه.

ووقع بعض الباحثين مثل محقق رسالة هذا الرجل في وهم حيث ظن أنه هو أبو الحسن الصُّغَيِّر الفاسي الزرويلي[٢]. كان لهذا الأخير سمت حسن وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته وترد عليه السؤالات من جميع بلاد المغرب كما ذكره ابن فرحون[٣] في الديباج المذهب.[٤] ويدل على أن الصغير الذي رد عليه الإمام السنوسي غير هذا الصغير ثلاث نقاط:

---

[١] حقق هذه الرسالة د. عواد بن عبد الله المعتق. ينظر: أبو الحسن الصغير، "رسالة في ذم البدعة وأهلها"، **مجلة البحوث الإسلامية** ٦٧، عدد الإصدار ٣ (د.ت): ص١٩١ وما بعدها.

[٢] هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المشهور بـ"الصُّغَيِّر" تُوفي في سنة ٧١٩هـ. مؤلفته: التقييد على المدونة في فروع الفقه المالكي. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤١، ص٣٣٤.

[٣] هو إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري. ولد بالمدينة المنورة وتوفي سنة ٧٩٩ هـ في المدينة المنورة، وهو من شيوخ المالكية، وله مؤلفات كثيرة ومنها: "الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي"، و"تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام"، و"درة الغواص في محاضرة الخواص"، و"كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب"، و"إرشاد السالك إلى أفعال المناسك". ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٥٢.

[٤] إبراهيم بن علي ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، (القاهرة: دار التراث، د.ت)، ج٢، ص١٢٠. بعد هذا يختصر بـ"الديباج المذهب".

- الأولى: أن الإمام السنوسي لقبه بالسوسي والمكناسي، وهو غير اللقب الذي عرف به أبو الحسن الصغير الزرويلي.
- الثانية: أن ابن فرحون ذكر أن أبا الحسن الصغير الزرويلي توفي في سنة ٧١٩هـ فلم يعاصر السنوسي الذي توفي في ٨٩٥هـ بل تقدم عليه[٥]، بخلاف هذا الصغير الذي عاصر الإمام السنوسي بقرينة وصول تأليفه الجديد إلى الإمام.
- الثالثة: أن الإمام السنوسي ذكر كلاما يدل على أن هذا غير ذلك حيث قال بأن بعض الطلبة كانوا يشبهونه بالصغير الزرويلي، ولكن ما أورده في رسالته تجاه أهل الطريقة يدل على أنه بعيد من أن يشبهه. قال: " وكنت والله قبل ذلك أظنه من أهل علم الظاهر والباطن، وقد كان بعث لنا قبل ذلك بشرحه على رسالة الشيخ محمد بن أبي زيد[٦] الذي يشبه الطرر وفرحت به. فلما وقعتْ بيدي هذه الأوراق التي اعترض فيها على أهل الطريق وسمَّاهم مبتدعة ولم يقيّد قوله بشيء وأطلق لسانه إطلاقا كليّا، نبذتُ والله تأليفه وراء ظهري، وبغضت فعله بسري. وكنتُ قبلُ أسمع من الطلبة يقولون: أبو الحسن الصغير هذا عالم يشبه أبا الحسن الصغيّر شارح المدونة."[٧] والذي شرح المدونة هو الصغير الزرويلي، وليس المكناسي. فثبت بهذا أنهما شخصان متخالفان.

ثم يلوح من عنوان الكتاب أن الإمام السنوسي نسب نفسه إلى الفقر الذي هو سمة أهل التصوف، واستعمل صيغة التصغير حيث قال "الفقيّر" لأجل السجع والتوازن مع كلمة "الصغير" في آخر عنوان الكتاب. والذي يريد أن يقوله الباحث هنا هو أن الإمام السنوسي كان يصرح بانتمائه إلى التصوف وأهله، وهذا يجعل اختيار هذا الكتاب لاستبانة صورة تصوف الإمام السنوسي اختيارا موفقا. والله أعلم.

---

[٥] ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج٢، ص١٢١.

[٦] هو عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد بالقيروان بتونس سنة ٣١٠ هـ، وهو من أعلام المذهب المالكي. وقد لُقِّب بـ «مالك الأصغر»، وكان إمام المالكية في وقته، وأشهر مصنفاته كتاب الرسالة، وتوفي سنة ٣٨٦ هـ الموافق لـ٩٩٦م. من أعمال القيرواني: "كتاب الرسالة" و"النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات". ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ص١٠.

[٧] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ص٢.

**سبب تأليف نصرة الفقير**

سبق أن ذكر الباحث أن هذا الكتاب مكتوب لأجل الدفاع عن أهل الطريقة وبيان مشروعية بعض أعمالهم التي تم الإنكار والاعتراض عليها من قبل أبي الحسن الصغير المكناسي. وقال الإمام السنوسي في صدر هذا الكتاب بأن رسالة الصغير هذه يحرم النظر فيها لما فيها من الضلالة. ثم تولى الإمام نفسه الرد عليها. قال الإمام السنوسي: "واللهِ لقد يحرم النظر في خطوطه الجافية. فلقيت بها الشيخ الإمام أبا الحسن الحلوي نزيل تلمسان وأفضلها علما وأدبا، وطالعتُه عليها فهاله ما رأى من تلك الأوراق، وقال: "اللهم أَنِلْهُ شرَّها في البلاد بالذل بين العباد." فعند ذلك اعترضت عليه بما يقمع به صدره ويجلي عن المؤمنين خطبه وشره. وسميته نصرة الفقيّر في الرد على أبي الحسن الصغيّر."[٨]

**مضامين نصرة الفقير**

يختلف "نصرة الفقير" عن غيره من المؤلفات السنوسية من حيث مضمونه، وسيتضح للقارئ ذلك بالكلام عن القضايا والأفكار التي تناوله الإمام فيه. أما اختلافه عن غيره من حيث صياغته ولغته فذلك واضح حيث كانت طبيعة لغة الإمام السنوسي في هذا الكتاب تنتمي إلى لغة الهجوم وتصغير الخصم ووصفه بما يدل على قصوره في هذا الفن. ولعل حدة كلام الإمام السنوسي في هذا الكتاب سيثير استغراب قارئه، مع ما عرف من هذا الإمام من حسن الخلق والحلم واللطف. والباحث لا يرى لذلك سببا ومبررا أقوى من كون أبي الحسن الصغير المكناسي كان يستخدم هذا الجنس من الكلام في تأليفه؛ فقد اتهم أهل الطريقة ووصفهم بأهل البدعة كما هو واضح من عنوان رسالته. ووصفهم بالجهال، وبالنائم الذي لا يعقل الذرة من الفيل، وأنهم لا يعقلون المعقولات ولا يفهمون الواضحات ونحو ذلك.[٩] فلذلك قابله الإمام السنوسي بما يجانس كلامه. فجزاء سيئة سيئة مثلها.

رد الإمام السنوسي في كتاب نصرة الفقير على كلام الصغير في رسالته، وتناول بالبحث والاستدلال القضايا التي انتقدها الصغير. فبدأ الإمام بالحديث عن اكتفاء بعض المتفقهة بظواهر

---

[٨] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص٢.

[٩] الصغير، "**رسالة في ذم البدعة وأهلها**"، ص١٩١ وما بعدها.

الشريعة من دون الالتفات إلى بواطن الصحابة، ثم شرع يتكلم عن رسالة أبي الحسن الصغير التي وقعت على يده وأنها تحتوي على انتقادات واعتراضات باطلة تجاه أهل الطريقة، فحذره الإمام من سوء الظن وانتهاك حرمة المسلمين فضلا عن حرمة أولياء الله الصالحين. ثم أخذ يناقش كل واحد من المواضيع التي انتقدها الصغير بدءا بحكم محدثات الأمور، ومرورا بمبحث الذكر والزيارة وإطعام الطعام وإفشاء السلام، ومبحث قراءة الفاتحة دبر الصلوات الفرضية واتخاذ السبحة والمرقعات والعصا، ودعوى انعدام الصالحين في هذا الزمان والاستغناء عن الشيخ المربي، وحكم تقبيل اليد والتبرك بالصالحين، وبيان الفرق بين مبنى الفقه ومبنى التصوف، إلى أن ينتهي بخاتمة تكلم فيها عن اتباع النبي والاقتداء بالصحابة وفساد رأي أبي الحسن الصغير في منعه الجهر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وبعد ملاحظة هذه المحاور التي ناقشها الإمام السنوسي في نصرة الفقير، تبين للباحث أن أغلب القضايا المبحوثة في الكتاب يميل إلى نقاش فقهي وأصولي، يجلي عقلية الفقيه الصوفي عند الإمام السنوسي. فهذا الأمر وإن لم يمس مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة بشكل مباشر، ولكنه يمسه بشكل غير مباشر حيث إن معرفة "فقه التصوف" لدى الإمام السنوسي سيُطلع الباحث على معرفة مراتب أدلة التصوف عند الإمام، وذلك سيؤدي إلى معرفة مكانة العقيدة في تصوفه، ومكانة أهل الله في عقيدة أهل السنة والجماعة، وكيف كان فهم أهل السنة للسنة والبدعة، إلى غير ذلك من المظاهر التوفيقية. وبهذا تميز كتاب نصرة الفقير عن غيره من كتب الإمام السنوسي.

وكتاب "نصرة الفقير" في الحقيقة قد تم تحقيقه من قبل الأستاذ حسن حافظي علوي ونشره في العدد التاسع من كتاب دعوة الحق سنة ٢٠٠٢م بالمملكة المغربية[١٠]، فجزاه الله خير الجزاء. إلا أن هذا لا يمنع الباحث من إعادة تحقيقه نظرا لحصول الباحث على مخطوطة محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية التي لم يعتمد عليها الأستاذ علوي، وكان لهذه النسخة ميزة تفوق على النسخ التي اعتمدها هو؛ حيث إن هذه النسخة أقدم من نسخه وأصح منها عبارة، فكانت خير معين على إخراج نص نصرة الفقير في صورة أقرب إلى ما

[١٠] محمد بن يوسف السنوسي، **نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير**، تحقيق حسن حافظي علوي، كتاب دعوة الحق العدد التاسع (المملكة المغربية: مطبعة فضالة، ٢٠٠٢). بعد هذا يختصر بـ: "نصرة الفقير".

ارتضاه مؤلفه. وبها لم يضطر الباحث إلى زيادة كلمة من تلقاء نفسه كما اضطر إلى ذلك الأستاذ المحقق في تحقيقه حيث إن النسخ الموجودة عنده مع كثرتها لم تُعنه على استبانة نص الكتاب، فاجتهد في ذلك وزاد ما ليس من نص الكتاب.[١١] ووقوف الباحث على هذه النسخة المخطوطة يجعله على بصيرة بالنص الصحيح.

ومما يمكن للباحث تداركه من الأخطاء الواقعة في التحقيق السابق ما قاله المصنف: "**وعقلتم** عن الله ما أمركم به"[١٢]، فقد أثبته الأستاذ علوي هكذا: "**وعملتم** عن الله ما أمركم به."[١٣] ومن الاستدراكات عليه ما أثبته في تحقيقه: "وانظر بأي **وجه** وصلت إلى هذه المقالة الشنيعة التي تخمرت **ومثل العلم** الذي في صدركم.."[١٤] والصحيح الوارد في المخطوط: "وانظر بأي **ذنب** وصّلك إلى هذه المقالة الشنيعة التي تخمرت بها طبيعتك النفسانية. فارجع عنه وتب لعلك تفلح. **وما مثل العلم** الذي في صدوركم.."[١٥] ومنها أنه ذكر كلام الإمام السنوسي في بيان المحدثات الحسنة هكذا: "أما محدثات أهل الظاهر فمن ذلك الاشتغال بعلم النحو وحفظ غريب الكتاب من اللغة.." إلى أن قال".. **والخيالات** وبناء الزوايا.."[١٦] ثم ذكر في الإحالة معنى الخيالات. ولكن بالرجوع إلى النسخة التي لم يعتمد عليها تبين للباحث أن الكلمة ليست "الخيالات" وإنما هي "**الخانات**".[١٧]

هذه الأمثلة وغيرها من المواضيع التي يمكن تصحيحها بوجود النسخة السعودية لكتاب نصرة الفقير تنادي بلسان حالها على ضرورة إعادة تحقيق الكتاب، حتى تكون الأفكار

---

[١١] ينظر مثال لذلك في نصرة الفقير المطبوع ص٥٢ حيث كتب المحقق: "أمرت بعد سرد الأوراق [بإحراقها] بمحضر طلبة تلمسان وبعض علمائها، فطالعها كل من حضر واتفقوا على حرقها" والصحيح كما أثبته الباحث: "فأمرتُ –بعد سرد الأوراق– بحضور طلبة تلمسان وعلمائها في الوقت، فحضروا وطالعوها واتفقوا على حرقها."

[١٢] محمد بن يوسف السنوسي، "**نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير**" (مخطوط، جامعة الملك سعود، ١٢٧٤)، ٣. بعد هذا يختصر بـ: "نصرة الفقير (س)".

[١٣] المرجع نفسه، ص٥٧.

[١٤] المرجع نفسه، ص٥٩.

[١٥] المرجع نفسه، (س)"، ص٣.

[١٦] المرجع نفسه، ص٦٢.

[١٧] المرجع نفسه، (س)"، ص٤.

والأحكام التي سيبنيها الباحث على الكتاب مبنيةً على أساس متين غير محرف. فهذا ما يتعلق بكتاب نصرة الفقير. ثم ينتقل الباحث إلى الكلام عن النسخ المعتمد عليها في التحقيق.

**النسخ المعتمد عليها في تحقيق نصرة الفقير**

اعتمد الباحث في تحقيق كتاب نصرة الفقير على ثلاث نسخ خطية:

١. نسخة محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية تحت رقم: ٧٢٢١ف، وهي أول مجموع. ناسخها القالي المريني، وانتهى من نسخها يوم الاثنين ٢١ رجب سنة ١٢٧٤هـ. واعتبرها الباحث النسخة الأم نظرا لقدمها وصحة عباراتها وجملها بالمقارنة مع غيرها من النسخ. ولكن ينقصها صفحتان – على حسب تقدير الباحث– في وسط المخطوط. وتم الرمز إليها بحرف "س".

٢. نسخة مخفوظة بالخزانة العامة في رباط المغرب تحت رقم: ١٨٤٥ د. وهي ضمن مجموع، وابتدأت من الصفحة ١١٣أ إلى الصفحة ١٢٠ب. نسخها حجي بن عبد القادر أملاح وفرغ من نسخها في ١٠ رمضان سنة ١٣٣٧هـ. وهي النسخة التي اعتمد عليها محقق الكتاب سابقا. جعلها الباحث نسخة ثانية في الاعتماد ومكملة لما في النسخة الأم، وتم الرمز إليها بحرف "م".

٣. نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم ١١٥. لم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ الفراغ من النسخ. ونظرا لانعدام هذه المعطيات المهمة جعلها الباحث في المرتبة الأخيرة في الاعتماد عليها في عملية المقابلة والتحقيق. أضف إلى ذلك أن للنسخة تشابها كثيرا بالنسخة "م" من حيث ترتيب الجمل ووقوع الأخطاء إلا في مواضيع. ورمز إليها الباحث بحرف "ج".

هذا آخر ما يتعلق بكتاب نصرة الفقير. ويأتي بعد هذا نبذة وجيزة عن الكتاب الثاني الذي هو "المواهب القدوسية".

**المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**

الكتاب الثاني الذي وقع عليه اختيار الباحث لتحقيقه هو كتاب "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية" الذي ألفه تلميذ الإمام السنوسي؛ الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن إبراهيم بن علي الملالي (ت. بعد ٨٩٧هـ). وهذا الكتاب، وإن لم يكن من مؤلفات الإمام السنوسي نفسه، إلا أنه يعتبر عند الباحثين المتخصصين في المجال أهم وأوثق مصدر لمن أراد الإحاطة بحياة الإمام السنوسي الدينية والصوفية والعلمية والأدبية.[١٨]

وكونه ليس من تأليف الإمام السنوسي لا ينقص قيمته حيث إن الحقيقة الواقعية تُفصح بأن كثيرا من العلماء لا يكتب سيرة نفسه، بل يكتبها غيره ويذكر في أثناء الحديث عن سيرته أقواله وآراءه وما إلى ذلك مما يتعلق بشخصيته العلمية. مثال ذلك كتاب "لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن" الذي ألفه الإمام ابن عطاء الله السكندري، وكتاب "الذهب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز" الذي ألفه الشيخ المتكلم أحمد بن مبارك السجلماسي (ت. ١١٥٦هـ) لجمع مناقب وأحوال وأقوال شيخه عبد العزيز الدباغ (ت. ١١٣١هـ). وأغلب كتب التراجم من هذا القبيل حيث إن المترجِمين والمؤلِّفين لهذه الكتب قصدوا من خلال كتبهم تسجيل مناقب وتاريخ غيرهم من العلماء. فكذلك كتاب "المواهب القدوسية" الذي ألفه الملالي؛ التلميذ البار لشيخه.

لم تذكر المصادر التاريخية معلومة كافية تتعلق بالشيخ الملالي، وأكثر شيء يجده الباحث عن هذا الشيخ هو ما ذكره بنفسه عن نفسه من خلال كتاب المواهب القدوسية. فذكر في مطلع الكتاب وآخره أن اسمه هو محمد بن عمر بن إبراهيم بن علي الملَّالي، وأن كنيته أبو عبد الله. وأشار إلى بعض شيوخه الذين هم شيوخ الإمام السنوسي أيضا، فذكر من بينهم أخا الإمام السنوسي سيدي علي التالوتي، وسيدي علي القلصادي.[١٩] وأما مؤلفاته فلم يقف الباحث إلا على اثنين منها؛ هما "المواهب القدوسية" وشرحه على متن العقيدة الصغرى الذي ألفه شيخه الإمام السنوسي. وذكر علال بوربيق؛ محقق المواهب القدوسية، في مقدمة تحقيقه أن له تأليفا

---

[١٨] زهري، **ثلاث عقائد**، ص١١.

[١٩] السنوسي، **"المواهب (ح)"**، ص١-١٥.

آخر وهو منظومة رائية في أسماء الله الحسنى، محفوظة بالخزانة العامة بالرباط.[٢٠] وأما تاريخ مولده ووفاته فلم يهتدِ الباحث إلى شيء من ذلك.

## سبب تأليف المواهب القدوسية

ذكر الملالي في صدر كتابه أنه عزم في هذا التقييد أن يذكر جملا من فضائل شيخه السنوسي، ويسمي من أخذ عنه من الشيوخ مع ذكر فوائدهم ومحاسنهم، ويورد فيه ما سمع من الإمام السنوسي من حله لمهمات المسائل التي أشكلت على كثير من العلماء الأعيان في زمانه، وما قاله الإمام من تفسيره للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وشرحه لمشكلات عبارات أئمة الصوفية، ويذكر كذلك مؤلفات الإمام وما بلغه من عظيم كراماته وأحواله وعلومه وأسراره وشعره والأشعار التي نظمت لأجله في حياته وبعد مماته. وقال بعد ذلك بنصف صفحة ما نصه: "وما حملني على وضع هذا التقييد المفيد إلا كثرة محبتي لهذا السيد الشريف..."[٢١] فصرح بأن الباعث الأساسي لتأليف هذا الكتاب هو محبته لشيخه السنوسي رضي الله عنهما.

## مضامين المواهب القدوسية

حوى كتاب المواهب القدوسية على جملة كافية من سيرة حياة الإمام السنوسي وفكره حتى أصبح مصدرا أساسيا يرجع إليه من جاء بعده، فقام باختصاره المؤرخون أمثال العلامة أحمد بابا التنبكتي (ت. ١٠٣٦هـ) في كتابه المسمى بـ"المفاتيح القدسية في المناقب السنوسية" أو "اللآلي السندسية في الفضائل السنوسية"، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المديوني التلمساني المعروف بابن مريم في كتابه "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان".

والمطلع على مضامين المواهب القدوسية لم يتعجب من كثرة اعتناء العلماء والباحثين به إذ الكتاب استوعب جميع أبعاد حياة الإمام استيعابا. فقد قسمه مؤلفه على عشرة أبواب؛ الباب الأول منها في التعريف بأشياخه، والثاني في مكاشفاته وكراماته، والثالث في علمه وزهده

---

[٢٠] محمد بن يوسف السنوسي، **المواهب القدوسية في المناقب السنوسي**، تحقيق علال بوربيق (الجزائر: دار كردادة، ٢٠١١)، ص١٢.

[٢١] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٢.

ووعظه وورعه، والرابع في تعداد تآليفه، والخامس في آيات قرآنية تكلم على تبيين معناها، والسادس في شرحه لما أشكل من الأحاديث، والسابع في تفسير ما أشكل من كلام أهل الحقائق، والثامن في ذكر أوراد حض عليها الإمام السنوسي جل تلامذته، والتاسع في وفاته، والأخير وهو الباب العاشر فيما قاله من الشعر.[٢٢]

ومن خلال تصفح الباحث للكتاب يمكنه أن يقول بأن الشيخ الملالي هو الرجل الوحيد الذي يقدر على تبيين مظاهر التوفيق بين العقيدة والتصوف في نفس الإمام السنوسي. كيف لا، وغالب أبواب كتابه لا يخلو من عناصر صوفية، بل تكاد لا تخلو لوحة من ألواح مخطوطة المواهب القدوسية من تلك العناصر. ويظهر ما قاله الباحث بجلاء في الباب السابع الذي تكلم فيه الإمام السنوسي عن كلام أهل التصوف، وكذلك في الباب الأول حيث ذكر الملالي فيه شيخ الإمام السنوسي في التربية والتصوف وذكر معه سند الإمام السنوسي في لبس الخرقة وغيره من أعمال الصوفية. وكذا توجد بعض مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة في الباب الثاني والثالث. فغزارة المواد التصوفية في مناقب الإمام السنوسي شيء يلاحظه كل قارئ الكتاب من دون أن يتعب نفسه في إدراك ذلك. إلا أن الباحث في هذا الباب يفضّل أن تكون النصوص التي اختارها للتحقيق تشترك في وصف واحد؛ وهو أنها تحمل فكرة التوفيق بين العلمين أو أنها تمس جانب العقيدة والتصوف في الآن نفسه.

هذا، والكتاب قد حقق وطبع في سنة ٢٠١١م من قبل الأستاذ علال بوربيق كما سبقت الإشارة إليه آنفا، وقد تَمَّ نشرُ هذا الكتاب الْمُحَقَّقِ من قبل دار كردادة بالجزائر. إلا أن الكتاب ينادي بلسان حاله كل متخصص في علم العقيدة والتصوف وعلم التحقيق على أن يعيد تحقيقه فيخرجه على ما يليق بجلالة قدره وعظم منزلته. ذلك لما عاناه من رداءة التحقيق وكثرة التحريف. مثال ذلك ما وجد في الكتاب المطبوع؛ كتب المحقق "حرمة الله"[٢٣] والصحيح كما في المخطوط "فحرمة أولياء الله"[٢٤]. وفي نفس الصفحة كتب المحقق "وإن طويت

---

[٢٢] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١—٢.

[٢٣] السنوسي، **المواهب القدوسية**، ص٣٦.

[٢٤] محمد بن إبراهيم الملالي، "**المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**" (مخطوط، خزانة الزاوية الحمزية العياشية بالراشدية، د.ت)، ص١٣. بعد هذا يختصر بـ: "المواهب (ح)".

رسومهم"[٢٥] والصحيح كما في المخطوط "وإن طويت رموسهم"[٢٦]. وذكر في موضع آخر: "ثم إذا سئل هذا السائل **المعين** في عين تلك المسألة أجاب **بغير** الجواب الذي أنكره على العالم."[٢٧] وبعد مراجعة النص في المخطوط وجد الباحث أن الكلام الصحيح هكذا: "ثم إذا سئل هذا السائل **المعنت** في عين تلك المسألة أجاب **بعين** الجواب الذي أنكره على العالم."

وفي الصفحة ١٠٤ من تحقيقه ذكر المحقق: "ومما يدل على أن الصادر من بعض الأولياء من التبشير بالجنة ليس مخالفا للسنة **لصدور** مثل ذلك من متبوعهم". والصحيح كما في المخطوط "صدور" بدون حرف الجر، وبرفعه على أنه مبتدأ مؤخر.[٢٨] وذكر في نفس الصفحة: "عرفت **من** جواز اطلاعه عاقبة غيره.." مع أن الصحيح هو "عرفت منه جواز اطلاعه عاقبة غيره." وذكر في الصفحة ١٠٥: " وكان مهموما من أجل **تكرر** مقام من الولاية عليه.." والصحيح: "..من أجل **تكدر** مقام.."[٢٩]

ومن أمثال هذه الأخطاء أيضا ما كتب في الصفحة ٥٢٢: "فأطلع سبحانه بمحض فضله على **أن أمن قلبي** شمس معرفة محبوبي." والصحيح كما في المخطوط "فأطلع سبحانه بمحض فضله على **أفق قلبي** شمس معرفة محبوبي."[٣٠] كما أن في المخطوط كتب "...ومشوش متصل **كإدراك حواسه التي تعمي** أو **تغشى** من القلب عين الناظر."[٣١] بينما الذي كتبه المحقق في الصفحة ٥٢٣: "...ومشوش متصل كإدراك **كرسي التي تغمر**، أو **تعش** من القلب عين الناظر." ولا شك أن ما كتبه لا يحمل أي معنى ولا يوافق قواعد اللغة العربية. فلذلك يرى الباحث لزاما أن يخرج نص هذا الكتاب ويحققه من جديد ولو لبعض مواضيعه فقط، إلى أن ييسر الله الأسباب لإكمال إعادة تحقيق هذا الكتاب العظيم الفوائد، فحينئذ يشرع في هذا العمل إن شاء الله.

---

[٢٥] السنوسي، **المواهب القدوسية**، ص٣٦.

[٢٦] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص١٣.

[٢٧] السنوسي، **المواهب القدوسية**، ص٤٨.

[٢٨] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٦١.

[٢٩] المرجع نفسه، ص٦٣.

[٣٠] المرجع نفسه، ص ٣٥٩.

[٣١] الملال المرجع نفسه، ص٣٦٠.

هذا ما أراد الباحث ذكره مما يتعلق بالتعريف بـ"المواهب القدوسية". ويليه ذكر وصف النسخ المعتمد عليها في التحقيق. ثم بعد ذلك يشرع الباحث في الفصل الثاني المخصوص لتحقيق الكتابين. وبالله التوفيق.

**النسخ المعتمد عليها في تحقيق نصوص مختارة من المواهب القدوسية**

اعتمد الباحث في تحقيق نصوص المواهب القدوسية على ثلاث نسخ خطية:

١. نسخة محفوظة بخزانة الزاوية الحمزية العياشية تحت رقم: ١٧٢٦٤٠. وهي نسخة كاملة، نسخها عبد الرحمن بن الحاج علي بن سودة، ولم يذكر الناسخ تاريخ الانتهاء من النسخ. ولكنها تمتاز بكونها نسخة قوبلت على النسخة التي هي بخط مؤلف الكتاب الشيخ محمد بن عمر الملالي، ولذلك جعلها الباحث النسخة الأم ويكون اعتماده عليها وباقي النسخ إنما هي لأجل إيضاح ما غمض أو اخترم في هذه النسخة. وتم الرمز إليها بحرف "ر".

٢. نسخة محفوظة في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم: ٢٢٦٦٨. وهي كاملة ولكن لم يذكر فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ. وهي من النسخ التي اعتمد عليها المحقق سابقا، إلا أنه أخطأ في وصفها حيث ذكر أن ناسخها هو الإمام الملالي وأنها نسخت في سنة ٨٩٧هـ. وبعد البحث والمقارنة بالنسخة الراشدية السابق ذكرها تبين للباحث أن المحقق ظن أن ما قاله المؤلف في آخر كتابه هو تقييد الختام الذي من عادة النساخ أن يذكروا فيه أسمائهم وتاريخ تمام نسخهم للكتاب، فاشتبه عليه الأمر. وتم الرمز إلى هذه النسخة بحرف "ت".

٣. نسخة محفوظة بالخزانة الحسنية في القصر الملكي برباط المغرب تحت رقم: ٩٤٤٧. وهي في مجموع، يبتدأ الكتاب ببداية المجموع وينتهي في صفحة ١٨٤ ثم يتبعه الناسخ برسائل أخرى. لم يذكر فيه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. وهي نسخة ناقصة الوسط. ولأجل هذه النقائص المذكورة اعتبرها الباحث نسخة ثالثة في الاعتماد عليها. ورمز إليها بحرف "ح".

## الفصل الثاني: النص المحقق

### المبحث الأول: نص كتاب نصرة الفقيّر في الرد على أبي الحسن الصغيّر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[قال الشيخ الفقيه الإمام القدوة حجة الإسلام محي الدين ومفتي المسلمين الولي الصالح المفيد الناصح العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي الشريف[٣٢] الحسني -رضي الله عنه وأرضاه آمين-][٣٣]:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وآله وصحبه صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين. وبعد، فإني لما رأيت الهِمَمَ قاصرةً عن الله تعالى وعن طريق الوصول إليه سبحانه، ورأيت لها شعوبا قواطع عن الله تعالى، وأكثرهم[٣٤] الذين يدّعون معرفة[٣٥] علم الظاهر [إذ هم في حجاب عن الله تعالى][٣٦] تمسكوا بظاهر الشريعة[٣٧] وتركوا ما كانت عليه بواطن الصحابة[٣٨] رضوان الله عليهم، واتخذوا الظواهرَ عمادًا والإنكارَ على أهل الباطن[٣٩] وِسادًا، والتشدق[٤٠] والتخرق[٤١] مهادا، ورفضوا الحقيقة وأسبابَها، وحُجبوا بالغفلة وفَتحوا أبوابها، إن ذُكِّرُوا بالحق أنفوا، وإن قَدَرُوا على مَن ذكّرهم عنّفوا، يتكلمون[٤٢] بالشقاشق[٤٣]، ويستظهرون

---

[٣٢] في طرة (م): "نسبته للحسن ين علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه. قاله تلميذه الملالي."

[٣٣] هذه الفقرة بكاملها غير موجودة في (س) و (ج).

[٣٤] في (ج): "وأكثر".

[٣٥] ساقط من (م) و (ج).

[٣٦] ساقط من (ج).

[٣٧] في (م): "أخذوا بظواهر الشريعة".

[٣٨] في (ج): "وتركوا ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم".

[٣٩] في (م) و (ج): "والإنكار في الباطن".

[٤٠] أي: الاستهزاء والسخرية.

[٤١] أي: الاختلاق.

[٤٢] في (س): "وتكلموا".

[٤٣] أي: الكلام الفصيح.

بالبوارق[٤٤]، فيغترّ بهم الغمر[٤٥] الجاهل الأحمق[٤٦]، ويتقوون بالشاذ من الفتيا[٤٧] فيميل إليهم كل مفتتن[٤٨] جاهل[٤٩]، فهم[٥٠] والله كما قال القائل:

فَقِيهُ سَلِّمْ يَا فَقِيهُ حَالِي عَقْلُكَ بِالقِيلِ وَالقَالِ مَعْقُولَا

عُمْرُكَ قَدْ مَضَى مِنَ الخَيْرَاتِ خَالِي مَا فَهِمْتَ مَعْقُولًا وَلَا مَنْقُولَا[٥١]

ألا وقد أجمع أهل الظاهر والباطن أن الشريعة من غير حقيقة فسقية وحقيقة من غير شريعة زندقة.[٥٢] [العلم في صدور العلماء بالله علمٌ ونورٌ وحكمةٌ، وفي صدور غير العلماء بالله تزويق[٥٣] وتشديق وظلمة،][٥٤] وأصحابنا أهل الظاهر[٥٥] أخذوا بظاهر الشرع دون اشتباه، فاغتر بهم كثيرون من أهل اليقظة والانتباه، فوقع الفساد من وجه الصلاح، وأتى الخسران من حيث (ج/٢) الفلاح. (م/٢) فأردت الكلام على بعض ما يتعلق بحالهم[٥٦]، لاسيما أوراقٍ تشبه الطرر بعثها أبو الحسن الصغيّر المكناسي[٥٧] فطالعتُها فهالني ذلك منه لَمَّا وجدت فيها كلاما مكسوفةً

---

[٤٤] أي: المظهر الحسن.

[٤٥] في (س): "المغمور".

[٤٦] ساقط من (م) و (ج).

[٤٧] في (ج): "ويستظهرون بالشروق الفتاوي".

[٤٨] في (ج): "مفتون".

[٤٩] في (م) و (ج): "ذاهل".

[٥٠] في (س): "فهو".

[٥١] هذان البيتان لم يتناسبا مع أي بحر من البحور الشعرية. وكذلك ما وجد في النسختين الباقيتين مع اختلافهما لما أثبتناه هنا، ففي (م) و (ج):

سلم يا فقيه حالي *** عقلك بالمقال معقولا

عمرك قد مضى خالي *** ما فهمت معقولا ولا منقولا

[٥٢] في (م): "أن الشريعة من غير حقيقة زندقة وحقيقة من غير شريعة زندقة أيضا." وفي (ج): "أن شريعة بلا حقيقة زندقة وكذلك حقيقة بلا شريعة زندقة أيضا."

[٥٣] أي: تزيين.

[٥٤] ساقط من (ج).

[٥٥] في (م): "أهل علم الظاهر". وفي (ج): "أهل الفقه الظاهر".

[٥٦] في (م): "يتعلق به حالهم". وفي (ج): "يتعلق به".

[٥٧] لم يقف الباحث على ترجمته. واستفيد مما سيأتي من كلام الإمام السنوسي أن هذا الرجل معاصر له. فهو ليس أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي (ت. ٧١٩هـ) الذي لقب بأبي الحسن الصغير أيضا.

أنوارُه مطموسةً أقمارُه[٥٨]. فأمرتُ –بعد سرد الأوراق– بحضور[٥٩] طلبة تلمسان وعلمائها[٦٠] في الوقت (س/٢)، فحضروا وطالعوها[٦١] واتفقوا على حرقها، فأضرموا نارا فحرقتُ بعدما أخذت منها نسخة بقصد الاعتراض عليه في قوله الفاسد. واللهِ لقد يحرم النظر في خطوطه الجافية. فلقيت بها الشيخ الإمام أبا الحسن الحلوي[٦٢] نزيل تلمسان وأفضلها علما وأدبا، [وطالعتُه عليها][٦٣] فهاله ما رأى[٦٤] من تلك الأوراق، وقال: "اللهم أَنِلْهُ شرَّها في البلاد بالذل بين العباد."[٦٥]

فعند ذلك اعترضت عليه[٦٦] [بما يقمع[٦٧] به صدره ويجلي عن المؤمنين خطبه[٦٨] وشره.][٦٩] وسميته[٧٠] نصرة الفقيّر في الرد على أبي الحسن الصغيّر. وكنت والله[٧١] قبل ذلك أظنه من أهل علم الظاهر والباطن، وقد كان بعث لنا قبل ذلك بشرحه على رسالة الشيخ محمد[٧٢] بن أبي زيد [الذي يشبه الطرر][٧٣] وفرحت به. فلما وقعتْ بيدي هذه الأوراق التي اعترض فيها على أهل الطريق وسمَّاهم مبتدعة ولم يقيّد قوله بشيء وأطلق لسانه إطلاقا كليّا، نبذتُ والله تأليفه وراء ظهري، وبغضت فعله بسري. وكنتُ قبلُ أسمع من الطلبة يقولون: "أبو الحسن الصغير هذا

---

[٥٨] في (ج): "إشارة".

[٥٩] في (م): "بمحضر".

[٦٠] في (م) و (ج): "وبعض علمائها". ولفظ "في الوقت" بعده ساقط من كلا النسختين.

[٦١] في (م) و (ج): "فطالعها كل من حضر."

[٦٢] لم يقف الباحث على ترجمته.

[٦٣] ساقط من (م) و (ج).

[٦٤] في (ج): "فتأوه مما رأى".

[٦٥] في (م) و (ج): "اللهم ابلُ ناشره في البلاد بذل العباد."

[٦٦] أي: على أبي الحسن الصغير المكناسي صاحب تلك الأوراق.

[٦٧] في (م): "يقنع".

[٦٨] في (ج): "خصمه".

[٦٩] في (س): "بما يقع في صدره ويملأ على المؤمن نطقه ونثره."

[٧٠] ساقط من (س) مع وجود فراغ قدر أربع كلمات.

[٧١] ساقط من (س).

[٧٢] ساقط من (م) و (ج).

[٧٣] ساقط من (س).

عالم يشبه أبا الحسن الصغيّر شارح المدونة[٧٤]." وكنت أفرح بذلك. فلما لقيتُ الشاب [الفقيه العالم الحافظ الأديب الرباني][٧٥] أبا العباس أحمد البرنوسي الذي يُعرف بزروق[٧٦] وسألته عنه – لَمَّا قَدِمَ سنة ست وأربعين وثمانمائة قاصدا لحج بيت الله الحرام ولعله[٧٧] يلقى الكبريت الأحمر [والمسك الأذفر][٧٨] أبا العباس أحمد بن عقبة الحضرمي[٧٩]، فأخذ عنا علوما جمًا وأخذنا عنه أدبًا وسرًّا– فقلت له يوما[٨٠]: "ما بال أبي الحسن الصغيّر السوسي يقول ويعترض [على أهل الطريقة][٨١]؟!" فقال: "أبو الحسن ليس له إلا تزويق (ج/٣) الظاهر[٨٢] خاصة، وليس له[٨٣] في علم الباطن شيء."[٨٤] وقال بعبارته: "هو فقيه قُحٌّ، محجوب عن الحقائق والدقائق[٨٥]." [فعند ذلك خاطبته خطاب الحاضر][٨٦] لعل أن يقف عليه (م/٣) أو يصل إليه بواسطة بعض الرسائل.

---

[٧٤] هو الشيخ الإمام القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الصُّغيّر الزرويلي (ت٧١٩هـ). جمع بين العلم والعمل، ومقامه في التحقيق والتحصيل يضرب به المثل. له تقييد على المدونة وعلى التهذيب والرسالة، كلها في الفقه المالكي. وله أيضا فتاوى قيدها عنه تلامذته. تنظر ترجمته في: مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٠٩.

[٧٥] ساقط من (س).

[٧٦] في طرة (ج): "هو من تلامذة المؤلف السنوسي." سبقت ترجمته في معرض الحديث عن تلامذة الإمام السنوسي في الباب الثاني.

[٧٧] في (م): "وطالبا من الله لعله أن يلقى".

[٧٨] ساقط من (ج).

[٧٩] هو الشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عقبة اليمني الحضرمي. شيخ الشيخ زروق الفاسي في الطريقة. ولد في حضرموت سنة ٨٢٤هـ وتوفي في مصر سنة ٨٩٥هـ فدفن بتربة البرقوقة. تتصل طريقته إلى الشيخ أبي مدين الغوث. تنظر ترجمته في:محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق محمد بن حمزة الكتاني (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٨)، ص٢٢٤.

[٨٠] ساقط من (ج).

[٨١] ما بين المعقوفتين ساقط من (م) و (ج). والنص في (ج): "ما حال أبي الحسن الصغيّر السوسي الذي يقولون عنه ويقولون؟"

[٨٢] في (س): "إلا تزويق حفظ الظاهر" وفي (ج): "إلا لفظ الظاهر".

[٨٣] في (ج): "معه"

[٨٤] في (ج): "وليس له من الباطني شيء."

[٨٥] في (م) و (ج): "الدرقائق والرقائق."

[٨٦] في (م): "قلت: نخاطبه خطاب الحاضر.." وفي (ج): "فصرتُ أخاطبه خطاب الحاضر.."

**(رد اعتراض الصغير على المنتسبين إلى الفقر والطريق)**[٨٧]

أما اعتراضكم على[٨٨] المنتسبين[٨٩] إلى الفقر والطريق [إلى الله تعالى][٩٠] فمِن حمقكم وقلة عقلكم؛ إذ لو عقلتم عن الله ما أمركم[٩١] به لاشتغلتم بالإنكار[٩٢] على أنفسكم وأهليكم ومن لاذ بكم. وبعد ذلك تنهون عن [الفحشاء من][٩٣] الكبائر الظاهرة من شرب الخمر والزنى وعقوق الوالدين وأكل أموال اليتامى ظلما وشهادة الزور واليمين الغَمُوس[٩٤] واللواط والكذب والخيانة والربا. وما أخذه[٩٥] أصحابكم من الرُّشَى عند النوازل؛ إذ[٩٦] هو عين السحت. قال عليه الصلاة والسلام: "ألا إن الرّشى[٩٧] هو عين السحت." رواه البخاري.[٩٨] وذلك مما أنتم موصوفون به، فإن سَلِمَتْ نُفوسُكم فمَن لاذ بكم موسوم[٩٩] بذلك. وقد سئل[١٠٠] الشيخ تقي الدين السوسي[١٠١] [رحمه الله عن أبي الحسن هذا][١٠٢]، فقال: "أبو الحسن الصغيّر[١٠٣] ليس له إلا

---

[٨٧] العنوان الذي بين المعقوفتين وما يأتي من العناوين من وضع الباحث.

[٨٨] في (ج): "عن".

[٨٩] ساقط من (س).

[٩٠] ساقط من (س) و (ج).

[٩١] في (ج): "أمر".

[٩٢] في (ج): "بالأذكار".

[٩٣] في (ج): "الفواحش".

[٩٤] اليمين الغموس بفتح فضم هي اليمين الكاذبة.

[٩٥] في (م): "اتخذوه" وفي (ج): "تأخذه".

[٩٦] ساقط من (م).

[٩٧] في (س): "إن عين الرشى.."

[٩٨] والنص الذي في صحيح البخاري: "ولم ير ابن سيرين بأجر القسّام بأسا وقال: "كان يقال: السحت الرشوة في الحكم، وكانوا يعطون على الخرص." فما ذكره الإمام السنوسي مروي بالمعنى لا باللفظ. ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٢)، ٣: ٩٢.

[٩٩] في (ج): "موصوفون".

[١٠٠] في (م) و (ج): "سئل عنكم".

[١٠١] لم يقف الباحث على ترجمته.

[١٠٢] ساقط من (م) و (ج).

[١٠٣] ساقط من (س).

إتقان[١٠٤] الظاهر وليس له قدم في الباطن." وذلك هو الحق الذي لا خفاء فيه؛ إذ (س/٣) لو سلمت بواطنكم وعقلتم[١٠٥] عن الله ما أمركم[١٠٦] به لرأيتم[١٠٧] أن الخلق كله عيال الله، لاسيما أهل الانتساب إليه، سواء صدقوا أو كذبوا، تكفيهم النسبة. فلما أن عمي الباطن صدق الله أقوال المسلمين[١٠٨] فيكم مما نقل[١٠٩] عنكم من الاشتغال بأعراض الناس[١١٠] فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ألم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه."[١١١] لعمري لأيّ شيء[١١٢] استحللْتم أعراض المسلمين لاسيما[١١٣] الذاكرين الله كثيرا[١١٤] يا أحمق ويا أخرق. ألم تسمع قوله عز وجل:﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[١١٥]. قال عليه السلام: "كلاب[١١٦] في جهنم تنزع اللحم عن العظم."[١١٧] وأي عظم ولحم يقوى على هذا يا

---

[١٠٤] في (م): "تزويق".

[١٠٥] في (م) و (ج): "وعملتم".

[١٠٦] في (ج): "أمر".

[١٠٧] في (م) و (ج): "لعلمتم".

[١٠٨] في (م) و (ج): "المشايخ".

[١٠٩] في (م): " وما ذُكر" وفي (ج): "وما ذكروا".

[١١٠] في (م) و (ج): "المسلمين".

[١١١] مسلم بن الحجاج النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت)، ج٤، ص١٩٨٦.

[١١٢] في (م): "بأي وجه" وفي (ج): "وبأي شيء.."

[١١٣] ساقط من (م) و (ج).

[١١٤] ساقط من (م) و (ج).

[١١٥] النازعات: ٢.

[١١٦] في (ج): "كلاليب".

[١١٧] ولفظه عند الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: " ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار. قال الله تعالى: ﴿والناشطات نشطا﴾ أتدري ما هن يا معاذ؟ قلت: ما هن بأبي أنت وأمي؟ قال: كلاب في النار تنشط اللحم والعظم." ثم قال الحافظ المنذري: " رواه ابن المبارك في كتاب الزهد عن رجل لم يسمه عن معاذ، ورواه ابن حبان في غير الصحيح، والحاكم وغيرهما، وروي عن علي وغيره. وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وبجميع ألفاظه." ينظر: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧)، ج١، ص٣٩—٤٠.

مغرور؟! ألم تسمع قوله عليه الصلاة السلام: "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه."[١١٨] وقد اشتغلتم [في الفتيا][١١٩] بالغتب والكذب[١٢٠]، والتكلف في التأليف (ج/٤) بالخطأ، وإطلاق اللسان [وغير ذلك مما لا يعني][١٢١]. وقد روي أن إطلاق اللسان في أعراض المسلمين سبب يؤدي إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله. فاقبل الحق [إن بلغك هذا الاعتراض عليك، واعقله وتَفَهَّمْه][١٢٢] وطالع[١٢٣] الشيخ تقي الدين المكناسي[١٢٤] (م/٤) واشهد على نفسك بالتوبة، لعلك تُرحم تُرشد؛ لأنك في غضب من الله [حيث اعترضت لأوليائه][١٢٥]. فتب إلى الله وانظر بأي ذنب[١٢٦] وصّلك[١٢٧] إلى هذه المقالة الشنيعة التي تخمرت بها طبيعتك النفسانية[١٢٨]. [فارجع عنه وتب لعلك تفلح.][١٢٩] وما مثل العلم الذي[١٣٠] في صدوركم إلا كما قال رب العالمين في كتابه المبين: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.[١٣١]

---

[١١٨] وهو حديث صحيح مرسل رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق (رقم الحديث: ٣) وابن ماجه في السنن (رقم الحديث: ٣٩٧٦). ينظر: مالك بن أنس المدني، **موطأ الإمام مالك**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥)، ص٩٠٣؛ محمد بن يزيد ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج٢، ص١٣١٥.

[١١٩] ساقط من (س). وفي (ج): "بالفتيا".

[١٢٠] ساقط من (س).

[١٢١] في (م) و (ج) بدل هذه الجملة: "والأخذ والعطاء."

[١٢٢] في (م): "وإن بلغك اعتراضك فاعقله وتفهمه."

[١٢٣] في (س): "واطلع عليه".

[١٢٤] لم يقف الباحث على ترجمته.

[١٢٥] ساقط من (م) و(ج).

[١٢٦] في (م): "وجه".

[١٢٧] في (م) و (ج): "وصلتَ".

[١٢٨] ساقط من (م) و (ج).

[١٢٩] ساقط من (م) و (ج).

[١٣٠] ساقط من (س).

[١٣١] الجمعة: ٥.

وإياك ثم إياك ثم أياك والنكير على[١٣٢] الفقراء والمنتسبين[١٣٣] وإن كانوا جهالا بالآي والأحاديث[١٣٤]. فهم موصوفون بالإيمان من حيث الذكر، وأنت موصوف بالنفاق من حيث النكير؛ لأنك أردت أن تقطع طريق الذكر [على الفقراء][١٣٥]. فالذكر يشهد لهم بالإيمان، والنكير يشهد عليكم[١٣٦] بالنفاق، فتنبه. قال عليه السلام: "أكثر منافقي أمتي قراؤها."[١٣٧]

وما حملني على هذا إلا [أن أذكر وأحذر غيري من الاغترار بكلامك مخافة أن يسبق إلى قلوبهم فيصيرون مثلك ويحجبون عن الله بقولك.][١٣٨] وقد[١٣٩] قال عز وجل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٤٠]. فإن كنت مؤمنا موصوفا به نفع فيك[١٤١] التذكير، وإن كنت غير ذلك فنسأل الله العافية وأن يعظم لمن حذّرك الأجر[١٤٢]، [وصلى الله على سيدنا محمد آله وصحبه وسلم تسليما.][١٤٣]

---

[١٣٢] في (ج): "عن".

[١٣٣] ساقط من (م) و (ج).

[١٣٤] في (س): "الحديث".

[١٣٥] ساقط من (س) و (ج).

[١٣٦] في (س): "لك".

[١٣٧] رواه الإمام ابن المبارك في الزهد والرقائق، باب ذم الرياء والعجب وغير ذلك (رقم الحديث: ٤٥١) والإمام أحمد في مسنده (رقم الحديث: ٦٦٣٧). وحسن إسناده شهاب الدين البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، باب في القراء المنافقين (رقم الحديث: ١/٦٠٠٥). ينظر: أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك، **الزهد والرقائق** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص١٥٢؛ أحمد بن محمد ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥)، ج٦، ص١٩٥؛ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٩٩٩)، ج٦، ص٣٥١.

[١٣٨] في (م) و (ج): "تذكيرا لك -إن اطلعت- وتحذيرا من سوء كلامك لئلا يسبق إلى قلوب بعض الناس، فيصير مثلك ويحجب عن الله بقولك."

[١٣٩] في (م) و (ج): "أما التذكير فقد.."

[١٤٠] الذاريات: ٥٥.

[١٤١] ساقط من (س) و (م).

[١٤٢] في (م) و (ج): "لمن حضرك الأجر فيك."

[١٤٣] ساقط من (س).

**فصل[١٤٤] (في بيان حكم محدثات الأمور)[١٤٥]**

وأما إنكاركم على[١٤٦] الصوفية، وتسميتكم من انتسب إليهم مبتدعة[١٤٧]، [وردكم عليهم بما روي][١٤٨] عنه عليه الصلاة والسلام في الحديث[١٤٩]: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل [محدثة بدعة وكل][١٥٠] بدعة ضلالة [وكل ضلالة في النار.][١٥١]" رواه البخاري ومسلم.[١٥٢]

وقولكم[١٥٣]: "أفعالكم هذه [أيها الصوفية][١٥٤] لم تثبت عنه عليه السلام، وإنما أحدثتموها." قلت[١٥٥]: المحدثات اشترك[١٥٦] فيها أهل الظاهر والباطن، وهي (س/٤) أمور بعضها

---

[١٤٤] ساقط من (س) و (ج).

[١٤٥] من زيادة الباحث.

[١٤٦] ساقط من (س) و (ج).

[١٤٧] في (ج): "مبتدعا".

[١٤٨] في (م): "وردكم لما روي.."

[١٤٩] في (ج): "الصحيح".

[١٥٠] ساقط من (س) و (ج).

[١٥١] ساقط من (م) و (ج).

[١٥٢] لم يرد هذا الحديث في صحيح البخاري. ولفظه عند مسلم في باب تخفيف الصلاة والخطبة (رقم الحديث: ٨٦٧): "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة." وعند أبي داود في باب في لزوم السنة (رقم الحديث: ٤٦٠٧): "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة." وورد في سنن النسائي في باب الخطبة في العيدين بعد الصلاة (رقم الحديث: ١٥٧٨) مع الزيادة في آخر الحديث: " وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار." ينظر: النيسابوري، **صحيح مسلم**، د.ت، ج٤، ص٥٩٢؛ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت)، ج٤، ص٢٠٠؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **المجتبى من السنن**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦)، ج٣، ص١٨٨.

[١٥٣] في (م) و (ج): "وتقولون لهم".

[١٥٤] ساقط من (م) و (ج).

[١٥٥] في (ج): "قلنا".

[١٥٦] في (م): "اشتركوا".

أُحدث في زمان الصحابة [رضي الله عنهم][١٥٧] واستحسنوها[١٥٨] واستمر بها العمل إلى هلم جرا. وبعضها استحسنها التابعون وكذلك العلماء المجتهدون.

ألم تسمع يا بليد قول مولانا رسول الله (ج/٥) صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين [من بعدي عضوا عليها بالنواجذ][١٥٩].[١٦٠]" وقال أيضا عليه الصلاة السلام: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم."[١٦١] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح: "نعمت البدعة هذه."[١٦٢] (م/٥)

أما محدثات أهل الظاهر فمن ذلك الاشتغال بعلم النحو وحفظ غريب الكتب من اللغة، وتدوين أصول الفقه، والكلام في التجريح والتعديل[١٦٣]، وتمييز السقيم من الصحيح، والكلام في الصفة والموصوف والتغلغل في ذلك، والخانات[١٦٤] والمداريس والتدريس[١٦٥] فيها، والمحاريب [في المدارس والمساجد][١٦٦] وزخرفتها، والحمدلة في أول الرسائل، والاستدلال

---

[١٥٧] ساقط من (ج).

[١٥٨] في (س) زيادة: "وكذلك العلماء المجتهدون العاملون."

[١٥٩] ساقط من (ج).

[١٦٠] أخرجه أبو داود في باب في لزوم السنة (رقم الحديث: ٤٦٠٧)، والحاكم في المستدرك في كتاب العلم (رقم الحديث: ٣٣٣) وصححه. ينظر: السجستاني، **سنن أبي داود**، ج٤، ص٢٠٠؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ج١، ص١٧٧.

[١٦١] رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، وابن حزم في الإحكام، وأخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية، وابن عساكر في تاريخه، والديلمي في مسنده. ودرس الزيلعي أسانيده المختلفة في تخريجه للأحاديث الواردة في تفسير الكشاف ونقل فيه قول الإمام البيهقي في حق هذا الحديث حيث قال: "هذا حديث مشهور وأسانيده كلها ضعيفة لم يثبت منها شيء." ينظر: أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٢٢٩.

[١٦٢] رواه البخاري في صحيحه. وفيه قال سيدنا عمر بعد هذا اللفظ "والتي ينامون عنها أفضل" وهو موجود أيضا في نسخة (م). ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج٣، ص٤٥ (رقم الحديث: ٢٠١٠).

[١٦٣] ساقط من (س).

[١٦٤] في (م): "والخيلات".

[١٦٥] ساقط من (ج).

[١٦٦] ساقط من (س).

بالمسائل، وتزويق المصاحف، والتوسع في اللذيذ[١٦٧] من المأكل والمشرب والمسكن، ولبس البرود[١٦٨] والطيلسات[١٦٩]، وتوسيع الأكمام، وتزويق العمائم وتكويرها. هلا أنكرت هذا كله[١٧٠] ورددته كما رددت محدثات أهل الباطن التي توصل[١٧١] وتدل على الله[١٧٢] ومجالستهم معه. [قال تعالى في كلامه القديم: "أنا جليس من ذكرني."[١٧٣] ومن ذكر الله][١٧٤] الفاتحة أدبار الصلوات، وذكر الله بالجمع[١٧٥] والتداول به والإعلان به، [وإفراد كل بوقت من الأوقات][١٧٦]، والكلام في دقائق التصوف، والمصافحة في كل وقت، والسُّبُحات[١٧٧] والإعلان بذلك، [وكل ذلك مسند][١٧٨] إلى الأحاديث والآثار.

وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال. وهذه كلها[١٧٩] نوافل الخيرات[١٨٠] يتقرب بها إلى الله تعالى كما قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر عن الله تعالى: "لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت

---

[١٦٧] في (ج): "اللذائذ".

[١٦٨] البَرُودُ من الثِّياب: ما لم يكن دَقيقًا ولا لَيِّنا.

[١٦٩] في (ج): "والطيالس".

[١٧٠] في (م) و (ج) زيادة لفظ: "يا أحمق".

[١٧١] في (ج) زيادة لفظ: "إلى الله".

[١٧٢] في (ج): "عليه".

[١٧٣] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في شعب الإيمان ولم يحكما عليه بشيء. وذكر صاحب أسنى المطالب أن له طرقا ضعيفة. يراجع: عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٠٩)، ج٧، ص٧٣; أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)، ج٢، ص١٧١؛ محمد بن محمد الحوت الشافعي، **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ص٩٢.

[١٧٤] ساقط من (م) و (ج).

[١٧٥] في (ج): "في الجماعة."

[١٧٦] في (م): "وإفراد لكل ذي وقت وقته في كل الأوقات."

[١٧٧] في (م): "والتسبيحات".

[١٧٨] في (ج): "وهي كلها مستندة".

[١٧٩] ساقط من (س).

[١٨٠] في (ج): "نوافل وخيرات".

سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله[١٨١] التي يمشي بها، فإن سألني أعطيته، ولئن استعاذ بي لأعيذنه[١٨٢]." رواه البخاري.[١٨٣]

وأي قربة أفضل من هذه البدعة، وأي خير أعظم منها؟! وما أنت أيها المتفقه المتبلد إلا في غفلة استولت على قلبك فأَنْسَتْك ذكر الله. قال الله سبحانه: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.[١٨٤] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ وأي قرين وبئس القرين الذي لم يفارقك (ج/٦) [حتى اتبعت هواه وآثرته وصرت تنهى الخلق عن ذكر الله؟!][١٨٥] [قال سيدي أحمد بن عطاء الله رحمه الله تعالى في مفتاح الفلاح: "إياك ومعادات (س/٥) أهل (م/٦) لا إله إلا الله؛ فإن الله وليهم، ولله الولاية العامة، فهم أولياء الله. وإن أخطئوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا، لا يشركون بالله، لقيهم الله بمثلها مغفرة."[١٨٦] انتهى منه.][١٨٧] فلو كنت عاقلا منور البصيرة لاكتفيت منهم بالذكر على أي وجه ذكروا سواء كانوا صادقين أو كاذبين[١٨٨].

وأما البدعة فقد تكلم عليها أهل العلم المتفننون[١٨٩] وقسموها إلى أقسام الشريعة. قال الشيخ العالم الحافظ القدوة حجة الله في أرضه عز الدين بن عبد السلام[١٩٠] في آخر كتاب

---

[١٨١] في (س): "ورجلاه".

[١٨٢] في (ج): "لأعذته".

[١٨٣] محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٢)، ج٨، ص١٠٥.

[١٨٤] المجادلة: ١٩.

[١٨٥] في (م): "فأثبت هواه وأمره لنهي الخلق عن ذكر الله. فلو كنت عاقلا منور البصيرة أيها الفقيه البليد."

[١٨٦] ابن عطاء الله السكندري، **مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح**، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١)، ص٤٦.

[١٨٧] ساقط من (ج).

[١٨٨] في (م) و (ج): "مبتدعين".

[١٨٩] في (ج): "المتقنون".

[١٩٠] هو شيخ الإسلام والمسلمين، سلطان العلماء وإمام عصره، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها والعارف بمقاصدها. تفقه على الشيخ فخر الدين ابن عساكر والإمام سيف الدين الآمدي وغيرهما. ومن تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد وابن الفركاح والحافظ أبو محمد الدمياطي. وللإمام عز الدين تآليف نافعة منها القواعد الكبرى، وشجرة المعارف،

القواعد: "البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام: واجبة ومحرمة ومكروهة ومندوبة ومباحة."[١٩١] قال: "والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشرع، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.

أما البدعة الواجبة فلها أمثلة، منها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن احتيج إليه فهو[١٩٢] من قبيل الواجب، لاسيما الأعاجم الذين لا يعرفون اللسان العربي. وكذلك التعديل والتجريح، وتمييز الصحيح من السقيم. وهو فرض كفاية يحمله من قام به.

والبدعة المحرمة لها أمثلة، منها: مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة، كل ذلك حرام، والرد عليهم من الأمور[١٩٣] الواجبة يتعين على من قام به.

والبدعة المندوبة لها أمثلة، منها: إحداث نوافل الخيرات المستحسنة كمثل حزب الإرادة[١٩٤]، والاجتماع للذكر أدبار الصلوات بكيفية معلومة والتداول بذلك، وقراءة الفاتحة في كل شيء، والسبحة، وزيارة الإخوان، وجملة ما أحدثه المتصوفة من الأدب واستحسنه العلماء خلفا عن سلف[١٩٥].

والبدعة المكروهة لها أمثلة، منها: زخرفة المساجد، وتزويق العمائم وتكويرها، والتشديد في الفتيا والرخصة فيها.

---

وبداية السول في تفضيل الرسول. تنظر ترجمته في: عبد الوهاب بن تقي الدين تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، (جيزة: هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٢)، ج٨، ص٢٠٩ وما بعدها.

[١٩١] أبو محمد عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩١)، ج٢، ص٢٠٤.

[١٩٢] ساقط من (س).

[١٩٣] في (م) و (ج): "البدع".

[١٩٤] وهو الحزب الذي بتكراره صار الشخص صاحب إرادة حقيقية للوصول إلى الله تعالى؛ أي صار مريدا حقيقيا. هذا ما أفاده شيخ الباحث المحقق الدكتور خالد زهري المغربي حفظه الله.

[١٩٥] في (س): "سلفا عن خلف".

والبدعة المباحة لها أمثلة، منها: المصافحة عقب الصبح (م/٧) والعصر، واختار الشيخ محيي الدين [التفصيل؛ فإن كان صافح من كان معه قبل الصلاة فمباح][١٩٦]، وإن صافح من لم يكن معه قبل الصلاة فمندوب[١٩٧]، (ج/٧) لأن المصافحة عند اللقاء سنة[١٩٨] بالإجماع، ولا أعرف فيها تعارضا لأصحاب مالك؛ للأحاديث الصحيحة الثابتة الأسانيد فيها[١٩٩].

وأما[٢٠٠] إطعام الطعام عند رؤية المبشرة[٢٠١] كرؤيته عليه السلام ورؤية أصحابه –ويدخل في ذلك إطعام (س/٦) القادم من زيارته عليه السلام، وتوبة العاصي إن صح رجوعه، وأن يظهر بذلك فرحا وسرورا برجوعه[٢٠٢] لطريق الله عز وجل وشكرا[٢٠٣] فكيف يُنكر؟! فاعرف ذلك."[٢٠٤] انتهى كلام الشيخ عز الدين بلفظه من القواعد. فانظره لأن فيه زيادة اختصرتها خوف التطويل.

وانظر أيها المتفقه البليد هذا التقسيم السديد، واعرف البدع وكيف هي، وانظر بأي وجه تنكر به. لقد أوضحت لك الطريق حتى رجع ظلام ليلك شريقا. وصلى الله على سيدنا محمد وآله عدد نعم الله وأفضاله.

---

[١٩٦] ساقط من (م).

[١٩٧] في (م) و (ج): "فمستحب".

[١٩٨] في (س): "سنية".

[١٩٩] ساقط من (ج).

[٢٠٠] في (م) و (ج): "وكذلك".

[٢٠١] في (م): "المبشرات" وفي (ج): "البشارة".

[٢٠٢] ساقط من (م) و (ج).

[٢٠٣] في (م): "وشكره" وفي (ج): "وشكرا لله".

[٢٠٤] بعد ملاحظة النص الأصلي تبين للباحث أن كثيرا من الأمثلة التي ذكرها الإمام السنوسي وصيغ الجمل في هذا الكلام يختلف عما في الأصل. ولكن مفاد الكلامين واحد. ينظر للمقابلة: ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام**، ج٢، ص٢٠٤–٥.

**فصل[٢٠٥] (في رد اعتراض الصغير على الذكر والزيارة وإطعام الطعام وإفشاء السلام)[٢٠٦]**

وأما إنكاركم الاجتماع للذكر[٢٠٧] والمداولة عليه والتزاور في الله والإعلان بالذكر[٢٠٨] إن أشرفوا على منازل الإخوان، وفرحهم بتوبة العاصي واجتماعهم لذلك بإطعام الطعام[٢٠٩] وإفشاء السلام، فذلك كله أمر مستحب وإن لم يثبت به[٢١٠] عمل السلف [والجمع به][٢١١]. فهو أمر استحسنه المتأخرون، ولم يخض في شيء من ذلك السلف الماضون اكتفاء برؤيته عليه السلام والقرب[٢١٢] منه. ولا بد لها من أسانيد ثابتة[٢١٣].

روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكنية وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده." رواه البخاري.[٢١٤]

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجتمع مع أصحابه رضي الله عنهم أدبار الصلوات الخمس[٢١٥] للذكر، ويرفعون أصواتهم بذلك، حتى قال عمر رضي الله عنه: "كنا[٢١٦] نعرف إذا انصرفنا من المكتوبة برفع الصوت بالذكر."[٢١٧]

---

[٢٠٥] ساقط من (ج)، وبياض في (س) قدر ثلاث كلمات.

[٢٠٦] زيادة من طرف الباحث.

[٢٠٧] في (م): "والذكر".

[٢٠٨] في (م): "في الذكر"

[٢٠٩] في (م): "بالطعام".

[٢١٠] في (ج): "عليه".

[٢١١] هكذا في (س) و (م) ولم يتضح للباحث معناه.

[٢١٢] في (س): "وقربه"، وفي (م): "وقربا".

[٢١٣] في (ج): "إسناد ثابت."

[٢١٤] هكذا ذكره المؤلف. والصحيح أن الحديث في صحيح مسلم في باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (رقم الحديث: ٢٦٩٩). ينظر: النيسابوري، **صحيح مسلم**، د.ت، ج٤، ص٢٠٧٤.

[٢١٥] في (ج): "الخمسة".

[٢١٦] ساقط من (م).

[٢١٧] هكذا نسبه المؤلف الحديث إلى سيدنا عمر. والصحيح كما في صحيحي البخاري في باب الذكر بعد الصلاة (رقم الحديث: ٨٤١) ومسلم في باب الذكر بعد الصلاة (رقم الحديث: ١٢٢) أن الحديث لسيدنا ابن عباس. ولفظه: حدثنا

وثبت عنه عليه السلام أنه كان يرتجز بالأبيات[٢١٨] التي كان يقول فيهن[٢١٩] ابن رواحة[٢٢٠]: (م/٨)

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا (ج/٨)

فأَنْزِلَنْ سكينة علينا وثَبِّتِ الأقدام إن لقينا

إن البغاة[٢٢١] قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبَينا[٢٢٢]

[وذلك عند حفر الخندق.][٢٢٣] وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لقن علي بن أبي طالب رضي الله عنه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم ثلاثا[٢٢٤] مُغَمِّضًا

---

إسحاق بن نصر، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني عمرو، أن أبا معبد، مولى ابن عباس، أخبره: أن ابن عباس رضي الله عنهما، أخبره: «أن رفع الصوت، بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم» وقال ابن عباس: «كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته». وفي رواية أخرى عند مسلم في باب الذكر بعد الصلاة (رقم الحديث: ١٢١): حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي معبد، مولى ابن عباس أنه سمعه يخبر، عن ابن عباس، قال: «ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير» قال عمرو: " فذكرت ذلك لأبي معبد فأنكره، وقال: لم أحدثك بهذا، قال عمرو: وقد اخبرنيه قبل ذلك." ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٢)، ج١، ص١٦٨؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت)، ج١، ص٤١٠.

[٢١٨] في (م) و (ج): "الأبيات" بدون حرف الجر.

[٢١٩] في (ج): "قالها".

[٢٢٠] هو الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري، الأمير السعيد الشهيد الشاعر البدري. شهد بدرا والعقبة، وكان من كتاب الأنصار. توفي رضي الله عنه سنة ٨هـ. تنظر ترجمته في: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، ١: ٢٣٠ وما بعدها.

[٢٢١] في (م): "الذين" وفي (ج): "الكفار".

[٢٢٢] البخاري، **صحيح البخاري**، ج٥، ص١٠٩؛ النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٤٢٩.

[٢٢٣] في (م) و (ج): "وصحت مداولتهم بذلك في حفر الخندق."

[٢٢٤] ساقط من (م).

عينيه، وعليٌّ يسمع، ثم قالها علي رضي الله عنه ثلاثا [كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم][٢٢٥].[٢٢٦] ففي هذا الحديث[٢٢٧] كفاية. [وهذا كله][٢٢٨] على الإشارة والاختصار.

وأما التزاور في الله فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كان رجل فيمن[٢٢٩] كان قبلكم [خرج من منزله][٢٣٠] يريد زيارة أخيه في الله، فلقيه ملك في صفة رجل، فقال له: «إلى أين تريد؟» فقال: «إلى زيارة أخ لي في الله.» فقال: «هل أتيته بدين؟» فقال: «لا.» [فقال: «هل لك عنده حاجة؟» فقال: «لا.»][٢٣١] فقال: «أهو من قرابتك؟» (س/٧) فقال: «لا.» فقال له: «أبشر، إن الله بعثني إليك أبشرك بالجنة»."[٢٣٢]

وأما الإعلان بالذكر فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: "إذا أتيتم دياركم فأعلنوا بالذكر."[٢٣٣] يؤخذ من هذا جواز الإعلان بالذكر إن أشرفوا على المنازل لأمرين، منها التأسي ومنها تشويق السامع للقاء[٢٣٤]. فاعرف ذلك.

وأما فرحهم بتوبة الإخوان والإطعامُ على ذلك فيكفيك يا أحمق ما رواه مسلم عنه عليه الصلاة والسلام [أنه قال][٢٣٥]: "الله أفرح بتوبة عبده من رجل[٢٣٦] له بضاعة مال ليس له غيرها فنفقها وركب دابته يريد التجارة بذلك، فلما أتى صحراء نام عنها، وأطلقها على عادته، فلما

---

[٢٢٥] في (م) و (ج): "كما أمر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع".

[٢٢٦] محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي، **كفاية المستفيد لما على من الأسانيد**، تحقيق محمد ياسين الفاداني (بيروت: دار البشائر الإسلامية، د.ت)، ص٣٦–٣٨.

[٢٢٧] ساقط من (س).

[٢٢٨] في (م) و (ج): "لأننا بنينا هذا التأليف".

[٢٢٩] في (ج): "ممن".

[٢٣٠] في (م) و (ج): "أخذ الطريق".

[٢٣١] ساقط من (م) و (ج).

[٢٣٢] النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج٤، ص١٩٨٨.

[٢٣٣] لم يوجد له أصل في المصادر الحديثية. ولكن يعضده ما قاله سيدنا عكرمة رضي الله عنه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾: "هو التسبيح والتكبير ونحوه." ينظر: محمد بن عمر فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ٣ ط، م ٢٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠)، ص٣٥٧.

[٢٣٤] ساقط من (م).

[٢٣٥] ساقط من (ج).

[٢٣٦] في (ج): "برجل".

أفاق من نومه طلبها فلم يجدها، فطلبها يمينا وشمالا فلم يجدها، فأخذه النوم فنام[٢٣٧] فلما أفاق من نومه وجدها عند رأسه."[٢٣٨] فكيف يكون فرحه فالله أفرح بتوبة عبده من هذا بدابته وما عليها.

هذا رب العالمين يفرح هذا الفرح العظيم، فكيف بنا نحن؟! وفيه[٢٣٩] تلويح بل تصريح أنه ينبغي للمؤمن (م/٩) أن يفرح بتوبة أخيه ورجوعه إلى باب ربه بما أمكنه [من طعام أو شراب][٢٤٠] أو غير ذلك ما لم يخرج إلى المحرم (ج/٩) المنهي عنه.

قلت: لا ينكر هذا إلا جهول. والمنتسب إلى الله لا يُنكر عليه إلا المحرم المجمع على تحريمه. وغيره ينظر بحسب الاعتذار ويتغافل عما أمكن. ألم تسمع قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[٢٤١].

ألا[٢٤٢] وقد سمعنا عن الإمام جمال الدين الغرناطي[٢٤٣] يوصي أصحابه ويقول لهم: "من ثبتت إشارته ودلت عبارته ولاحت ولايته لا ينبغي الإنكار عليه في جل أفعاله كيف ما كانت."[٢٤٤]....[٢٤٥] يا بليد يا متفقه، هذه الأذكار والاجتماعات التي يتعاهدها الصوفية هل

---

[٢٣٧] ساقط من (ج).

[٢٣٨] رواه مسلم في باب في الحض على التوبة والفرح بها (رقم الحديث: ٢٧٤٤). ينظر: النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢١٠٣.

[٢٣٩] ساقط من (م).

[٢٤٠] في (م): "بطعام وشراب".

[٢٤١] النجم: ٣٢.

[٢٤٢] ساقط من (ج).

[٢٤٣] لم يقف الباحث على ترجمته.

[٢٤٤] لم يقف الباحث عليه.

[٢٤٥] كلمة غير واضحة في جميع النسخ. والتي أثبتها حسن حافظي علوي في تحقيقه: "وأنت بالله عليك يا بليد.." ولكن هذه الكلمات الكثيرة لا تتناسب مع تلك الكلمة الواحدة غير المقروؤة في النسخ المخطوطة، لذلك لم يثبتها الباحث في النص المحقق.

يعاقبون عليها أم[٢٤٦] يثابون؟ بل والله يثابون لأنهم يتزاورون في الله، ويجتمعون في ذات الله، ويتواصلون[٢٤٧] على طاعة الله، ويعلنون[٢٤٨] بذكر الله، ويرقصون ويصيحون من حب الله.

إياك ثم إياك ولحوم هذه الطائفة لأنها مسمومة، وآكلها يخاف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله. اللهم إني أبرأ إليك من مقالة أبي الحسن الصغيّر في أوراقه المكسوفة الأنوار الممحوة الآثار ليس لها معنى ولا أسرار. اللهم إننا ضاقت بها[٢٤٩] صدورنا. وما أتينا هنا إلا [بالإشارة التي][٢٥٠] يكتفي بها المؤمن العاقل. وأما المعاند الذي[٢٥١] لا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال في أمره وهواه فلا يرده ألف ألف مجلد لتراكم جيوش النفاق في قلبه. فهذا حالك يا أحمق ويا جهول.

فلو تحققت ودققت[٢٥٢] وذقت حلاوة طعم[٢٥٣] المنتسبين إلى الله ما أنكرت أفعالهم. ألم تسمع كلام أهل النور؟! [قال ابن عطاء الله[٢٥٤] في الحكم: "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع

---

[٢٤٦] في (م): "أو".

[٢٤٧] في (ج): "ويتواصون".

[٢٤٨] في (م): "ويلعبون".

[٢٤٩] ساقط من (ج).

[٢٥٠] في (م): "بإشارة".

[٢٥١] في (م): "التي".

[٢٥٢] ساقط من (ج).

[٢٥٣] ساقط من (ج).

[٢٥٤] هو الإمام أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بتاج الدين ابن عطاء الله السكندري (ت. ٧٠٩هـ). صاحب الحكم المشهورة. صحب شيخه أبا العباس المرسي تلميذ الإمام الشاذلي. شارك في الفقه والأدب ومزج كلام الصوفية بآثار السلف وفنون العلم، فكثر بذلك العامة والمتفقهة والأتباع في مجالسه. وكانت له جلالة عجيبة ووقع في النفوس ومشاركة في الفضائل. له مصنفات منها الحكم، ولطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن، والتنوير في إسقاط التدبير، وتاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس. وممن قرأ عليه رحمه الله الإمام تقي الدين السبكي؛ أبو الإمام تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع. تنظر ترجمته في: أحمد بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، (حيدر اباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢)، ج١، ص٣٢٤.

الله فيه، فإن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره."[٢٥٥][٢٥٦] وقيل لأبي يزيد البسطامي[٢٥٧] "إنا لنذكر الله والقلب غافل"، فقال: "احمد[٢٥٨] الله على ما[٢٥٩] أجرى على لسانك من ذكره، ولو أجرى مكانه غيبة أو نميمة (م/١٠) ماذا تفعل؟"[٢٦٠] فلو كنت عاقلا منور البصيرة لحمدت الله على المؤمنين الذين يتداولون بالذكر، ويجتمعون فيه، ويعرفون بالذكر ويعلنون به، ويغنون بالذكر ويرقصون له[٢٦١]؛ إذ لو كانوا معروفين بالمزامير والغناء والدف[٢٦٢] والطنبور ما وسعك الإنكار عليهم.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.[٢٦٣] إياك ثم إياك أن تكون كالصم البكم الذين لا يعقلون. (ج/١٠) فنسئل الله العظيم بفضله ألا يعاقبنا بالسلب بعد العطاء، وأن يمن علينا بحسن الخاتمة. آمين. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين.

فصل (في رد اعتراض الصغير على قراءة الفاتحة دبر الصلوات واتخاذ السبحة والمرقعات والعصا)[٢٦٤]

---

[٢٥٥] ابن عطاء الله السكندري، **الحكم العطائية**، تحقيق محمد عبد المقصود هيكل (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨)، ص٥٤.

[٢٥٦] ساقط من (ج).

[٢٥٧] هو الشيخ أبو يزيد طيفور بن عيسى من أهل بسطام. إخوته ثلاثة؛ هو وآدم وعلي كلهم زهاد عباد. لقبه الإمام الذهبي بسلطان العارفين. كان الشيخ أبو يزيد من أساطين الصوفية، وله كلام حسن نافع في باب المعاملات كقوله "لله خلق كثير يمشون على الماء، لا قيمة لهم عند الله، ولو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ الحدود والشرع." توفي سنة ٢٦١هـ. تنظر ترجمته في: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، **طبقات الصوفية**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ص٦٧؛ الذهبي، **سير الأعلام**، ج١، ص٨٦.

[٢٥٨] في (ج): "أحبب".

[٢٥٩] في (م): "من".

[٢٦٠] لم يقف الباحث عليه.

[٢٦١] في (م): "فيه".

[٢٦٢] ساقط من (ج).

[٢٦٣] فيه اقتباس من كلام الله في سورة ق: ٣٧.

[٢٦٤] ما بين المعقوفتين من زيادة الباحث.

وأما إنكاركم الفاتحة دبر الصلوات والسبحات والمرقعات والعكاكيز[٢٦٥] وإظهار ذلك في الأسواق روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نزلت علي سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها."[٢٦٦] وقال بعض التابعين رضي الله عنهم: "استنزل[٢٦٧] ما عند ربك وخالقك من خير[٢٦٨] وما تؤمله من هداية وبر بقراءة السبع المثاني والقرآن العظيم."[٢٦٩] وقد قال سبحانه مسليا لنبيه ومعظما لنعمته عليه بهذه السورة[٢٧٠]: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.[٢٧١]

وروى البخاري ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام: "إن العبد إذا قال «الحمد لله رب العالمين»، يقول الله «حمدني عبدي». وإذا قال العبد «الرحمن الرحيم»، يقول[٢٧٢] الله «أثنى علي عبدي». وإذا قال العبد «ملك يوم الدين» [يقول الله «مجدني عبدي». وإذا قال العبد

---

[٢٦٥] جمع عُكَّاز، وهو عصا يتوكأ عليه.

[٢٦٦] أخرجه أحمد في مسنده (رقم الحديث: ٨٦٦٧) والنسائي في السنن الكبرى (رقم الحديث: ١١١٤١) وأخرجه الطبري في تفسيره، ولفظه عنده: عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبيّ: "إنِّي أُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي الفُرْقانِ مِثْلُها. قال: نعم يا رسول الله. قال: إنِّي لأَرْجُو أنْ لا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا البابِ حتى تَعْلَمَها. ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني، فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ البابَ قبل أن ينقضي الحديث، فلما دنوت قلت: يا رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال: ما تَقرأُ فِي الصَّلاةِ؟ فقرأت عليه أمّ القرآن، فقال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنزلَ فِي التَّوْراةِ ولا في الإنْجِيلِ ولا في الزَّبُورِ ولا في الفُرْقان مِثْلُها، إِنَّها السَّبْعُ مِن المثاني والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ ". ينظر: محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠)، ج١٧، ص١٣٨; أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)، ج١٠، ص١٠٨; أحمد بن محمد ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥)، ج٨، ص٣٨٧.

[٢٦٧] في (م): "فاستنزل".

[٢٦٨] في (م) زيادة: "وإيجاب".

[٢٦٩] لم يقف الباحث على هذا الكلام عند التابعين. بل الذي توصل إليه الباحث من خلال بحثه أنه من كلام الإمام الغزلي في كتابه المعنون بـ"الانتصار لما في الأجناس من الأسرار" كما نقله منه الشيخ أحمد زروق في عدته. ينظر: زروق، **عدة المريد**، ص٥٥٢.

[٢٧٠] في (م) "بهذه السورة عليه".

[٢٧١] الحجر: ٨٧.

[٢٧٢] في (ج): "يقول".

«إياك نعبد وإياك نستعين»][273] يقول الله سبحانه «هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل». وإذا قال العبد[274] «اهدنا الصراط المستقيم» إلى آخر السورة يقول الله سبحانه «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»."[275]

ألا وقد قال الشيخ الإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الله ابن أبي جمرة الأزدي[276] رحمه الله وأعاد علينا من بركاته في شرحه لاختصار البخاري: "وقد روي أن تاليها يكون له من الخير [مثنى مثنى][277] على طريقين؛ من طريق (م/١١) الثناء عليه، ومن طريق الرجاء. الثاني أنها دلت مع قلة آياتها على[278] معاني الكتاب العزيز كله. الثالث أن الله عز وجل قد أعد لقارئها من الخير ما لا يحصى ولا يكيف بما تضمن[279] الحديث."[280] انتهى كلامه باختصار. ومن أراد العجب[281] فليطالع حديث الإسراء به[282] فانظره. وفي هذا تنبيه بل تصريح أن يكثر

---

[273] ساقط من (ج).

[274] ساقط من (ج).

[275] لم يوجد الحديث في صحيح البخاري. وأورده مسلم في صحيحه في باب وجوب قراءة الفاتحة (رقم الحديث: ٣٨) ينظر: النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج١، ص٢٩٦.

[276] هو الشيخ الإمام الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك المعروف بابن أبي جمرة المرسي. ولد سنة ٥١٨هـ وتوفي سنة ٥٩٩هـ. سمع من أبيه كثيرا وتفقه به واستجاز شيوخا كابن العربي المعافري والقاضي عياض والإمام المازري وأبي طاهر السلفي. وكان ابن أبي جمرة يولى الشورى وعمره لا يزيد على إحدى وعشرين عاما، ويفتي لمدة ستين عاما. وكان أسند من بقي بن مخلد بالأندلس. له تصانيف منها نتائج الأفكار ومناهج النظار في معاني الآثار وكتاب إقليد التقليد المؤدي إلى النظر السديد وله برنامج. تنظر ترجمته في: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٦)، ج٦، ص٥٥٦; مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٢٣٣.

[277] في (م): "شيء مثنى".

[278] ساقط من (م).

[279] في (ج): "بمضمون".

[280] لم يقف الباحث عليه.

[281] في (ج): "العجائب".

[282] ساقط من (ج).

منها لما تضمنته من الفوائد واختصت به من الذخائر والفرائد[٢٨٣] مما لو سطر لكان فيه أوقارُ الجمال.

قلت: فعلى هذا، من قام بها وأكثر من قراءتها كان شبيها[٢٨٤] بالمؤمنين. ومن أنف عنها واستخف بها كان شبيها بإبليس وهو له قرين. ومن أهملها فقد أخطأ (ج/١١) طريق الحق. وما سمعت ورأيت[٢٨٥] أحدا نهى عنها من ولاية هاشم إلى هلم جرا.

أما الآثار[٢٨٦] فلا أصل لها، وإنما هي بدعة مستحسنة، يستحب العمل بها في كل وقت، وتاليها وقارئها له من الخير ما لا يكيف ولا يحد. فما بالك دبر الصلوات التي هي محل إنابة وخشوع ودعاء واستغفار وذكر الله سبحانه. فاعرف ذلك.

وأما السبحات فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أقر أصحابه على التسبيح في نواة التمر وكانوا يفعلون ذلك[٢٨٧]، وكان أبو هريرة رضي الله عنه ربط في خيط خمسمائة عقدة

---

٢٨٣ في (م): "والفوائد".

٢٨٤ في (م): "تنبيها".

٢٨٥ ساقط من (ج).

٢٨٦ في (ج): "الأثر".

٢٨٧ فمن ذلك حديث أم المؤمنين صفية أنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَدَيْ أَرْبَعَةُ آلَافِ نَوَاةٍ أُسَبِّحُ بِهِنَّ، فَقَالَ: «يَا بِنْتَ حُيَيٍّ مَا هَذَا؟» قُلْتُ: أُسَبِّحُ بِهِنَّ، قَالَ: «قَدْ سَبَّحْتُ مُنْذُ قُمْتُ عَلَى رَأْسِكِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا» قُلْتُ: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُولِي سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ». ينظر: أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، **مسند أبي يعلى**، تحقيق حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤)، ج١٣، ص٣٥; سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٤)، ج٢٤، ص٧٤; أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ج١، ص٧٣٢; محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الكبير**، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨)، ج٥، ص٤٤٧.

وسبح فيها بين يديه صلى الله عليه وسلم وأقره على ذلك[٢٨٨]، ولم أر فيها تعارضا لأحد[٢٨٩] من أهل العلم إلى هلم جرا.[٢٩٠]

وأما المرقعات[٢٩١] فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة رضي الله عنها: "إن أردت اللحوق بي فلا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه."[٢٩٢] وقد كانت مرقعة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيها ثمانية عشر رقعة اثنان من....[٢٩٣] أدم.[٢٩٤] وأما العصا فهي سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم تخرج من يد[٢٩٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة[٢٩٦] حتى توفاهم الله.[٢٩٧]

---

[٢٨٨] ذكر هذا الحديث صاحب حلية الأولياء مع اختلاف عدد العقدة وبدون التصريح بإقرار النبي. ولفظه عنده: أَخْبَرَنِي نُعَيْمُ بْنُ الْمُحَرَّرِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي هُرَيْرَةَ، «أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَيْطٌ فِيهِ أَلْفَا عُقْدَةٍ، فَلَا يَنَامُ حَتَّى يُسَبِّحَ بِهِ» ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (محافظة مضر: دار السعادة، ١٩٧٤)، ج١، ص٣٨٣.

[٢٨٩] في (ج): "لواحد".

[٢٩٠] للمزيد من الأدلة على جواز اتخاذ السبحة وأن لها أصلا في الشريعة تطالع رسالة للإمام السيوطي جمع فيها الأحاديث الدالة على جوازها ومشروعيتها وسماها "المنحة في السبحة" وهي موجودة ضمن كتاب الحاوي للفتاوي. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤).

[٢٩١] في (ج): "المرقعة".

[٢٩٢] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بِي فَلْيَكْفِكِ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ، وَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ، وَلاَ تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ." قال الإمام الترمذي عقب هذا الحديث: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان وسمعت محمدا يقول: صالح بن حسان منكر الحديث." وقال الإمام البيهقي: "تفرد به صالح بن حسان وليس بالقوي." ينظر: محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الكبير**، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨)، ج٣، ص٢٩٧; أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)، ج٨، ص٢٥٠.

[٢٩٣] كلمة غير واضحة في (ج) وهي ساقطة من (م).

[٢٩٤] ينظر: أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، م ٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ص٢٥٠.

[٢٩٥] ساقط من (م).

[٢٩٦] في (م): "ولا أصحابه".

[٢٩٧] أورد البغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار حديثا عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء. كان صلرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على العصا."

وأما إظهار ذلك في الأسواق والطرق فبينهم وبين الله. ﴿ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۖ [وَإِن يَكُ صَادِقًا][٢٩٨] ﴾ الآية[٢٩٩]. فالتسليم يشهد لصاحبه بالإيمان والنكر يشهد لصاحبه بالخسران. ويرحم الله القائل [حيث قال][٣٠٠]: (م/١٢)

سَتَبْدُو لَكَ الأَسْرَارُ بَعْدَ اكْتِتَامِهَا[٣٠١] كَأَنَّ الَّذِي قَدْ صَانَهَا عَنْكَ مُخْبِرُ[٣٠٢]

فَسَلِّمْ لَهُمْ فَالْقَومُ أَهْلُ عِنَايَةٍ وَحَاذِرْهُمْ فَالوَصْفُ فِيهِمْ لَا يُحْقَرُ[٣٠٣]

فَإِنْ كُنْتَ يَا هَذَا بِهِمْ مُتَمَسِّكًا فَتَبْقَى[٣٠٤] بِطُولِ الدَّهْرِ لَا تَتَغَيَّرُ

وصلى الله على سيدنا محمد عدد نعم الله وأفضاله وسلم تسليما كثيرا.

## فصل[٣٠٥] (في رد زعم الصغير انعدام الصالحين في هذا الزمان والاستغناء عن الشيخ المرشد)[٣٠٦]

وأما إنكاركم وجود الصالحين في زمننا هذا، والتعلق بالاكتفاء بالكتاب[٣٠٧] في سلوك الطريق دون شيخ، فإذا ذكر المتقدمون قلتم: "نفعنا الله بهم"، وإذا ذكر أكابر أهل الوقت علما

---

وفيه راويان ضعيفان. وأورد الترمذي في الجامع الصغير حديث "حَمْلُ العَصا علامةُ المؤمنِ وَسُنَّةُ الأَنْبياءِ." وقال شارحه الإمام المناوي: "وفيه يحيى بن هاشم الغساني قال الذهبي في الضعفاء: قالوا كان يضع الحديث." ينظر: الحسين بن مسعود البغوي، **الأنوار في شمائل النبي المختار**، تحقيق إبراهيم اليعقوبي، (دمشق: دار المكتبي، ١٩٩٥)، ج١، ص٥٨٠; عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، *فيض القدير* **شرح الجامع الصغير**، تحقيق ماجد الحموي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦)، ج٣، ص٣٩٧.

[٢٩٨] زيادة من (م).

[٢٩٩] غافر: ٢٨. وتمام الآية: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾

[٣٠٠] ساقط من (ج).

[٣٠١] في (ج): "انكشافها".

[٣٠٢] في (ج): "يخبر".

[٣٠٣] في (م): "وخاملهم في الوصف لا يتحقر."

[٣٠٤] في (م): "فأنت".

[٣٠٥] ساقط من (ج)

[٣٠٦] ما بين المعقوفتين من زيادة الباحث.

[٣٠٧] ساقط من (م).

وحالا[٣٠٨] قلتم: "ما رأينا شيئا. هيهات (ج/١٢) أين الناس." أولم تعلم أن رب الأولين والآخرين واحد، وقدرته لا يعجزها شيء[٣٠٩] ولا تتوقف على شيء؟!

وروى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[٣١٠] قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله."[٣١١] وقد روي أن أولياء العدد[٣١٢] لا ينقصون[٣١٣]. ففي كل قطر قادة وفي كل زمان سادة، نسأل الله بفضله[٣١٤] التصديق بهم، وأن لا يحرمنا من بركاتهم في كل وقت وحين. وقد ينادي بلسان الخفاء ستر خصوصيتهم[٣١٥] لتقارب الزمان[٣١٦] وضعفه. فافهم.

وأما الاكتفاء بالكتاب[٣١٧] في سلوك الطريق[٣١٨] دون شيخ ولا رؤيته؛[٣١٩] أما الاكتفاء بالكتب [في سلوك الطريق][٣٢٠] فقد وقعت مشاجرة بين فقهاء الأندلس، وكتبوا بذلك كتابا إلى الشيخ الصوفي العالم الحافظ القدوة شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة أبي عبد الله محمد بن

---

[٣٠٨] في (ج): "حالا وعلما".

[٣٠٩] ساقط من (م).

[٣١٠] ساقط من (ج).

[٣١١] أخرجه البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم (رقم الحديث: ٧٣١١) ومسلم في باب قوله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم». ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ج٩، ص١٠١; النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٥٢٣–٢٤.

[٣١٢] هكذا في جميع النسخ.

[٣١٣] في (ج): "ينقطعون".

[٣١٤] ساقط من (م).

[٣١٥] في (م): "سترا لخصوصيتهم".

[٣١٦] في (ج): "الأزمان".

[٣١٧] في (م): "بالكتب".

[٣١٨] ساقط من (م).

[٣١٩] في (ج): "رواية".

[٣٢٠] ساقط من (م).

عباد[٣٢١] رضي الله عنه، فأجاب: "إن ذلك باعتبار الأحوال؛ فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب لمن له عقل وذكاء، وإلا فلا. وشيخ التربية واجب متأكد،....[٣٢٢] أنه إن قارب المنازل بلا شيخ لا تفارقه رعونة نفسه ولا غواية ولا شيطانية وإن بلغ ما بلغ."[٣٢٣] وقد ذكر الشيخ العارف بالله أبو حامد الغزالي في بداية الهداية له أن المريد إذا لم يكن له شيخ فلا يجيء منه شيء، كالشجرة (م/١٣) إذا نبتت بنفسها لم[٣٢٤] تنبت ولا يتم نتاجها.

قلت: وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه[٣٢٥]، لأن التقوى معلومة والسنة مشهورة وخبايا النفوس وتحف الحق غير معقولة ولا معروفة. ولا بد من عالم بالله وبطريقه ويرجع إليه في معالمها. وأصل ذلك رجوعه عليه الصلاة السلام في عرض ما أتحف في مبادئ الوحي على ورقة بن نوفل رضي الله عنه حيث كان عالما بذلك. والله أعلم.[٣٢٦]

## فصل[٣٢٧] (في رد اعتراض الصغير على تقبيل اليد والتبرك بآثار الصالحين)

وأما إنكاركم تقبيل اليد والتبرك بآثار[٣٢٨] أهل الخير كيف ما كانت فهذا شيء قد اختلف فيه أهل العلم[٣٢٩] بعد اجتماعهم على التبرك بآثار رسول (ج/١٣) الله صلى الله عليه وسلم وتقبيل

---

[٣٢١] في (ج): "محمد بن عبد الله عباد". وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الرندي النفزي المعروف بابن عباد. عارف بالله محقق متفنن صاحب العلوم الباهرة والكرامات الظاهرة. أخذ عن جماعة مثل أبي عمران الفاسي والشريف التلمساني والإمام المقري وشيخه في التصوف أبي العباس ابن عاشر، وأخذ عنه جماعة منهم لسان الدين ابن الخطيب. وللشيخ ابن عباد مؤلفات عجيبة في التصوف منها شرح الحكم العطائية ورسائل كبرى وصغرى. توفي سنة ٧٩٢هـ. تنظر ترجمته في: مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٤٣–٤٤.

[٣٢٢] كلمة غير واضحة في جميع النسخ.

[٣٢٣] زروق، **عدة المريد**، ص٤٤٠.

[٣٢٤] ساقط من (م).

[٣٢٥] في (م): "لا يزيد فيه".

[٣٢٦] زروق، **عدة المريد**، ص٤٤١.

[٣٢٧] ساقط من (ج).

[٣٢٨] في (م): "بأثر".

[٣٢٩] في (م): "بعض أهل العلم".

الأرض التي يمشي عليها صلى الله عليه وسلم. وقد سئل مالك رضي الله عنه عن ذلك فقال: "تركه أحب إلي."[٣٣٠]

قلت: قال ابن بطال في شرحه لجامع البخاري: "إنما يكره تقبيل يد الظلمة والجبابرة. وأما الأب والرجل الصالح ومن ترجى بركته فيجوز أن يقبل جميع جسده سوى العورة."[٣٣١] صح. فانظره في موضعه فإن فيه زيادة.

فإن قلتم: لِمَ (س/٨) لم يثبت عمل[٣٣٢] السلف بذلك. قلت[٣٣٣]: قد[٣٣٤] يجاب عن عدم عمل السلف بذلك اكتفاء برؤيته عليه الصلاة السلام، وسدا[٣٣٥] للذريعة في دعوى النبوة لتزلزل[٣٣٦] المنافقين، والآن[٣٣٧] قد ارتفعت العلة لاتساع بلاد الإسلام، فلا يضر ذلك. وظاهر مذهب الصوفية العمل بذلك، وهو الحق[٣٣٨] الذي لاخفاء فيه. فقد علم ما لهم في لبس المرقعة[٣٣٩]، ومناولة العصا والسبحة، والشرب من فضلة الرجل الصالح، والتمسح بريقه، والتبرك بملابسه كموضع جلس فيه[٣٤٠] أو إناء شرب منه، والتكفين في ثوبه، وأخذ اللقمة من يده، وقسمة شعره. كل ذلك ثابت من فعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

---

[٣٣٠] أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الجد، **المقدمات الممهدات**، تحقيق محمد حجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨)، ج٣، ص٤٤١.

[٣٣١] ونصه في شرحه: "وأما إذا قبل إنسان يد إنسان أو وجهه أو شيئًا من بدنه مالم يكن عورة على وجه القربه إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه، فإن ذلك جائز." ينظر: أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال، **شرح صحيح البخارى لابن بطال**، تحقيق ياسر بن إبراهيم أبو تميم، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)، ج٩، ص٤٥.

[٣٣٢] تكرار في (م).

[٣٣٣] ساقط من (ج).

[٣٣٤] ساقط من (م).

[٣٣٥] في (م): "وحسما" وفي (ج): "ولسد".

[٣٣٦] في (م) و (ج) زيادة لفظ "إيمان".

[٣٣٧] في (م): "ولأن".

[٣٣٨] ساقط من (م).

[٣٣٩] في (م) و (ج): "الخرقة"

[٣٤٠] في (ج): "كموضع جلوسه".

وقد روي عنهم [أن بعض الصحابة رضي الله عنهم ابتاع شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم بألف دينار[٣٤١]. ثم إن البائع بعدُ قال: "وددت لو كانت عندي شعرة واحدة.. خير لي من عشرة آلاف."][٣٤٢] وفي هذا دليل[٣٤٣] على جواز ذلك. فافهم ما لهم في[٣٤٤] ذلك (م/١٤) من البركات والخيرات[٣٤٥] عاجلا وآجلا. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

## فصل في الاعتقاد والانتقاد[٣٤٦]

اعلم أن الاعتقاد أصل في كل خير والانتقاد أصل في كل شر، وقد قال الشيخ أبو مدين[٣٤٧] رضي الله عنه: "اعتقد ولا تنتقد، ولا تطمئن[٣٤٨] لأحد." كذا سمعته من بعض السادات. وقال

---

[٣٤١] في (ج): "بألفي دينار شرعي"، وفي (م): "بألف دينار شعرية".

[٣٤٢] ساقط من (م) و (ج).

[٣٤٣] في (م): "أدل دليل".

[٣٤٤] في (م): "من".

[٣٤٥] ساقط من (م) و (ج).

[٣٤٦] ساقط من (ج). وفي (م) زيادة لفظ "والاستناد".

[٣٤٧] هو الشيخ الفقيه المحقق الواصل القطب سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي. أخذ التصوف عن شيوخ جلة كالشيخ أبي يعزى والشيخ أبي علي الدقاق والشيخ عبد القادر الجيلاني حين لقيه في الديار المقدسة فألبسه خرقة الصوفية. وقد تخرج على يده ألف تلميذ، ظهرت على كل واحد منهم كرامة. ومن تلامذته الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي. توفي رحمه الله سنة ٥٩٤هـ. تنظر ترجمته في: أحمد بن أحمد أبو العباس الغبريني، **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، تحقيق عادل نويهض (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩)، ص٢٢.

[٣٤٨] في (س): "ولا تضر".

الفقيه أبو عبد الله المقري[٣٤٩] رحمه الله: "الاعتقاد ولاية والاعتراض[٣٥٠] جناية. فإذا عرفت فاتبع وإذا جهلت فسلّم."

قلت: مبنى طريق [الصوفية كله][٣٥١] على التسليم والتصديق، كما أن مبنى الفقه على البحث والتحقيق. فالأصل عندهم[٣٥٢] حسن الظن والتسليم[٣٥٣] حتى يتحقق الصارف، و[بعد ذلك][٣٥٤] تلتمس له معاذير. ومبنى العلم[٣٥٥] عند أهل الظاهر على عكسه حتى يتبين[٣٥٦] الصارف.

قلت: والحذر من هذه الطائفة أهل الاستناد (ج/١٤) والانتساب إلى جانب الله، الراجعين إلى ولايته؛ لأنه هو الذي يتولى الصالحين أي المنقطعين إليه، الذين لا يعولون على غيره، فلم يدعهم إلى سواه؛ إذ لم تبق فيهم بقية رق لغيره. وقد[٣٥٧] قال الشيخ [الإمام القطب][٣٥٨] أبو العباس المرسي[٣٥٩] رضي الله عنه: "مثل الولي مع الله كمثل أولاد الليث مع أمهم؛ أتراها تاركتهم

---

[٣٤٩] هو الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقري. ولد بمدينة تلمسان وتتلمذ على أيدي علماءها كالشريف التلمساني. كان مشارا إلي بالمغرب اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا ونزاهة. وكان متمكنا في علوم العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث والأحبار والتاريخ. وله مشاركة في أصول الدين وأصول الفقه والجدل والمنطق. ويتكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين فيها. ومؤلفاته تشهد له بذلك كله مثل كتاب قواعد الفقه والحقائق والرقائق وحاشية مختصر ابن الحاجب الفقهي والجامع لأحكام القرآن. ومن تلامذته لسان الدين ابن الخطيب والعلامة ابن خلدون والإمام أبو إسحاق الشاطبي. تنظر ترجمته في: محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤)، ج٢، ص١١٦.

[٣٥٠] في (ج): "والانتقاد".

[٣٥١] في (م) و (ج): "التصوف كلها".

[٣٥٢] في (م) و (ج): "عندنا".

[٣٥٣] ساقط من (م) و (ج).

[٣٥٤] ساقط من (م) و (ج).

[٣٥٥] في (م) و (ج): "الأمر".

[٣٥٦] في (م) و (ج): "يتحقق".

[٣٥٧] في (م): "فقد" وهو ساقط من (ج).

[٣٥٨] ساقط من (س).

[٣٥٩] هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي. خليفة الإمام أبي الحسن الشاذلي في طريقته. ولد الشيخ أبو العباس في مدينة مرسية بالأندلس عام ٦١٦هـ. وكان أبوه تاجرا كبيرا فشارك

لمن يريد أن يقتلهم؟! قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٣٦٠] وقال عز من قائل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٣٦١] أي كافيه وواقيه وناصره."[٣٦٢]

والصالحون هم الذين صلحت أعمالهم وأحوالهم ولم[٣٦٣] تصلح قلوبهم لغيره ولا جوارحهم [لاتباع غيره][٣٦٤] في الغالب أبدا[٣٦٥]. فإن اقترفوا سيئة صغيرة أو كبيرة رجعوا القهقرا وعاينوا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ الآية. فيدخل فيهم الأعلى والأدنى والمنتسب والمتعلق. (س/٩) فافهم. وبالله تعالى التوفيق.

## خاتمة وتتمة[٣٦٦]

أول ما يعتني به[٣٦٧] الصادق مع الله اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بأصحابه الكرام، وشهود المنة منه[٣٦٨]، واجتناب البدعة المحرمة والعيب والآثام، ولا يدخل (م/١٥) طريق الذكر إلا بعد معرفته بمن[٣٦٩] يذكره ومعرفةِ أوصافه الجلالية والجمالية، ويكون عمدته في باب الذكر والاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن رب الأرباب صلى

---

معه في تجارته وأنفق أموالا كثيرة للفقراء والمساكين وأبناء السبيل واكتفى هو بما يحفظ حياته. ركب البحر مع والديه وأخيه لأجل الحج سنة ٦٤٠هـ، فلما قربوا من شاطئ تونس هبت ريح عاصفة وأغرقت الجميع إلا هو وأخاه. فاستقر بعد ذلك في تونس ولقي بشيخه أبي الحسن الشاذلي. وكان الإمام الشاذلي يقول له أول لقائه به: "عثرت على خليفة الزمان." ثم سأل اسمه فذكر أبو العباس اسمه ونسبه، فقال له الإمام: رُفعتَ إلي منذ عشر سنين." تنظر ترجمته في: السكندري، **لطائف المنن**.

[٣٦٠] المائدة: ٥٦.

[٣٦١] الطلاق: ٣.

[٣٦٢] لم يقف الباحث عليه.

[٣٦٣] في (م) و (ج): "فلم".

[٣٦٤] في (م) و (ج): "لغير اتباع أمره".

[٣٦٥] ساقط من (س).

[٣٦٦] في (م) و(ج): "وتتميم".

[٣٦٧] ساقط من (م).

[٣٦٨] ساقط من (م) و (ج).

[٣٦٩] في (م): "لمن" وفي (س): "ممن".

بنفسه عليه وأمر الملائكة الكرام أهل حضرته وقدسه بذلك[٣٧٠] فقال عز من قائل مخبرا وآمرا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٣٧١] نودي "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" من غير تحديد ولا تقييد. قال علماؤنا رضي الله عنهم: "كل أعمال بني[٣٧٢] آدم فيها [ما كان مردودا وفيها ما كان مقبولا][٣٧٣] إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها لا ترد." قلت: ورأيت لها فضائل وأسرارا عظيمة لا تفشى ولا تكيف [ولا تحد][٣٧٤]، ولا يحجب عنها من سبقت له السعادة، كما أنه لا يوفق إليها من سبقت له الشقاوة والعياذ بالله.

وقد حدثني بعض من أثق به عن هذا الفقيه[٣٧٥] المعترض لذكر الله ولطريق الله وأوليائه أنه يأمر من يلوذ[٣٧٦] به بعدم الجهر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول بتسويله الفاسد: "إن جهرتهم، وسمعكم[٣٧٧] من سمعكم ولم يصل عليه، أثم بسببكم." ويحتج بحديثه عليه الصلاة والسلام حيث قال: "البخيل [كل البخيل][٣٧٨] من سمع الصلاة علي ولم يصل علي"[٣٧٩] وحديث المنبر حيث دعا جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على من سمع الصلاة عليه ولم يصل.[٣٨٠]

---

[٣٧٠] ساقط من (م) و (ج).

[٣٧١] الأحزاب: ٥٦.

[٣٧٢] في (م): "ابن".

[٣٧٣] في (س): "مقبول ومردود".

[٣٧٤] بياض في (س) قدر كلمتين.

[٣٧٥] في (م) و (ج): "المتفقه".

[٣٧٦] في (م): "يعوذ".

[٣٧٧] في (م) و (ج): "وسمّعتم".

[٣٧٨] ساقط من (م).

[٣٧٩] أخرجه الترمذي (رقم الحديث: ٣٥٤٦) وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب." ولفظه في سننه: عن حسين بن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البخيل الذي من ذكرتُ عنده فلم يصل علي." ينظر: الترمذي، **سنن الترمذي**، ج٥، ص٤٤٣.

[٣٨٠] أخرجه البزار في مسنده (رقم الحديث: ٦٢٥٢) والشجري في ترتيب الأمالي (رقم الحديث: ٦٠٢) وأورده السخاوي في القول البديع وقال: " قال شيخنا إن إسناده حسن يعني لشواهده." ينظر: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، **مسند البزار**

قلت: وهذا ليس بحجة، بل والله هذا[٣٨١] عين الحرمان والعياذ بالله. ألم[٣٨٢] تسمع يا بليد يا غليظ الطبع قول مولانا [جلا وعلا][٣٨٣]: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٣٨٤] وقد روي أن هذه الآية لما نزلت ضجت ملائكة السماوات والأرضين والإنس والجن بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه سلم وهي تطوف حول العرش العظيم ولها دوي.

ألم تسمع يا بليد قوله عليه الصلاة والسلام: "البخيل كل البخيل من سمع الصلاة علي ولم يصل علي."[٣٨٥] [وهل يحصل السماع إلا بالجهر؟!][٣٨٦] فوالله لهذه منك بدعة محرمة مجمع على تحريمها [التي تشيطنت فيها][٣٨٧] حتى صرت شبيها بإبليس[٣٨٨] اللعين حيث أمر بالسجود فامتنع[٣٨٩]؛ لأن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في حقنا بمنزلة[٣٩٠] السجود لآدم عليه الصلاة والسلام. من قام بها كان شبيها بالملائكة، ومن أنف واستخف بها كان شبيها بإبليس اللعين، ومن لهى[٣٩١] عنها وأهملها فقد أخطأ (س/١٠) طريق الحق. فإن ثبت عنكم ما قيل فإنا لله وإنا إليه راجعون على كلمتي الشهادة التي نطقتم بها. لكن كما قال عليه الصلاة

---

**المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، (المدينة: مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩)، ج١، ص٣٥٤؛ يحيى بن الحسين الشجري، **ترتيب الأمالي الخميسية**، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١)، ج١، ص١٦١؛ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ** (عرمون: دار الريان للتراث، د.ت)، ص١٥٠.

[٣٨١] ساقط من (م) و (ج).

[٣٨٢] في (ج): "أولم".

[٣٨٣] في (م) و(ج): "جلت قدرته".

[٣٨٤] الأحزاب: ٥٦.

[٣٨٥] سبق تخريجه آنفا.

[٣٨٦] في (م) و (ج): "وهل تُسمع إلا جهرا".

[٣٨٧] ساقط من (م) و (ج).

[٣٨٨] في (م): "مثل إبليس".

[٣٨٩] في (م) و (ج): "فأبى".

[٣٩٠] في (م): "مثل".

[٣٩١] في (م): "نهى".

والسلام: "اعملوا فكل موفق لما خلق له."[٣٩٢] نسئل الله العافية وأن لا يعاقبنا بالسلب بعد العطاء بفضله ومنه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

هذا آخر ما انتهت إليه الإشارة باختصار. والله الموفق للعمل بما تضمنه هذا الفصل[٣٩٣] [من الحق والوصل][٣٩٤]. وأنا أستغفر الله من كل ما نقلته فيه محرفا، أو قلته عاجلا لا متوقفا[٣٩٥]. وأنا أطلب ممن وقف عليه أن يتأمله بإنصاف، ويصلح ما ظهر فيه من خلل وانحراف. [والله أسأل][٣٩٦] أن ينفع به من قرأه وتسبب في إفشائه[٣٩٧]، وأن لا يجعله حجة علينا، وأن يجعله في ميزان[٣٩٨] الصالحات [إذا ردت أعمالنا إلينا][٣٩٩].

قال واضعه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن يوسف السنوسي الحسني أصلح الله حاله وغفر ذنوبه: قد انتهى ما يسر الله لي في هذه العجالة، ولأهل العلم والفضل العذر في قبوله، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. والسلام. وكان بدؤه يوم الخميس والفراغ منه عشيته تلك تعليقا من أرض الزيرور من بلاد تلمسان خاتمة جمادى الأخير سنة خمس وستين[٤٠٠] وثمانمائة عرفنا الله خيره[٤٠١] وبركاته آمين. والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[٤٠٢]

---

[٣٩٢] محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ج٤، ص٢٠٤٠.

[٣٩٣] في (ج): "اللفظ".

[٣٩٤] ساقط من (س).

[٣٩٥] في (م) و (ج): "موفقا".

[٣٩٦] في (م) و (ج): "وإلى الله تعالى أرغب".

[٣٩٧] في (م): "إحشائه".

[٣٩٨] في (م): "زمام".

[٣٩٩] ساقط من (س).

[٤٠٠] في (ج): "وثمانين".

[٤٠١] في (ج) زيادة لفظ: "ووقانا ضيره".

[٤٠٢] بعد هذه الفقرة في (س): "قيده كاتبه ج القالي المريني في يوم الإثنين في ٢١ من رجب الفرد الحرام عام أربعة وسبعين ومائتين وألف." وفي (م): "انتهى بحمد الله والصلاة والسلام على مولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه. وكان الفراغ منه يوم الإثنين تاريخ ١٥ رمضان المعظم عام ١٣٣٧هـ."

## المبحث الثاني: نص كتاب المواهب القدوسية في المناقب السنوسية (احترام الأولياء والتوسل بهم وخدمتهم من تعظيم شعائر الله)[٤٠٣]

"قلت[٤٠٤]: ومن هذا المعنى ما رأيته مكتوبا بخط شيخنا سيدي محمد السنوسي رضي الله عنه وهو من كلامه. ونصه: "اعلم أن من احترم وليا أو[٤٠٥] توسل بولي فقد عظّم حرمات الله، وإكرامهم دليل على تعظيم شعائر الله. هذا للمتوسل[٤٠٦] بهم، فكيف المخصوص[٤٠٧] بحرمتهم المواظب على زيارتهم والمتضرع بالبكاء[٤٠٨] عند قبورهم وساحتهم المجاور بالسكنى قريبا[٤٠٩] من ناحيتهم. ولا شك أن من انتمى[٤١٠] إلى ولي أو[٤١١] جاوره فله الحرمة على كافة الأنام على ما ثبت من حديث[٤١٢] الجار عن سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام[٤١٣]. وقد أكد جبريل عليه السلام الوصية بذلك حتى ظن سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أن سيورثه كما ورث الآباء والأبناء والأعمام[٤١٤].[٤١٥]"

ثم قال بعد هذا[٤١٦]: "فحرمة أولياء الله تعالى لا يقدر قدرها إلا من نور الله تعالى بصيرته وطهّر من كبر الجهال والأغبياء سريرته؛ إذ هم القوم الذين لا يشقى جليسهم، وهم أحسن

---

[٤٠٣] المواهب القدوسية، (ر/ ص١٣) (ت/ ص١٣) (ح/ ص٦-٧).

[٤٠٤] والقائل هو الملالي.

[٤٠٥] في (ت): "و"

[٤٠٦] في (ت): "المتوسل"

[٤٠٧] في (ح): "المخصوص بهم"

[٤٠٨] في (ت) و(ح): "والتضرع والبكاء"

[٤٠٩] في (ت): "والمجاور قريبا بالسكنى.."

[٤١٠] في (ت): "انتهى"

[٤١١] في (ت): "و"

[٤١٢] في (ح): "حرمة".

[٤١٣] في (ت): صلى الله عليه وسلم

[٤١٤] خرم في (ح)

[٤١٥] وهذه الوصية مذكورة في حديث صحيح رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ما زالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجارِ حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ." ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ١٣١٢، ج٨، ص١٠.

[٤١٦] في (ت): "بعد ذلك".

الناس جوارا وإن طويت رموسهم.[٤١٧] وكيف يحرم جارهم وخديمهم من كراماتهم أو يخيب، وللأرض من كأس الكرام وأطعمتهم حظ ونصيب[٤١٨]. انتهى..".

**(لا يعطى العلم إلا لأهله)[٤١٩]**

قال الملالي: "حدثني عنه الشيخ[٤٢٠] رضي الله تعالى عنه قال: "كان سيدنا نصر رحمة الله عليه كثيرا ما ينهانا عن إعطاء العلم لغير أهله، ويقول: "كثير[٤٢١] من الناس يجيء إلى العالم فيسأله عن مسألة على وجه أنه يُري من نفسه أنه عارف[٤٢٢] بجوابها وأنه يلقيها -بزعمه- على العالم، ويقصد بذلك[٤٢٣] سرقة الجواب من العالم، حتى إذا أجابه العالم وأوضحها[٤٢٤] له أنكر عليه جوابه وربما يقول له "جوابك ليس بجواب أو[٤٢٥] ليس بصحيح"، وأدنى من ذلك أن[٤٢٦] يقول له "هذا الجواب ضعيف" أو ما[٤٢٧] في معناه. ثم إذا سئل هذا السائل المعنت في عين تلك المسألة أجاب بعين الجواب الذي أنكره على العالم." قال: "فيحرم على المسؤول إذا علم أن

---

[٤١٧] أي: قبورهم.

[٤١٨] في (ت): "والأرض من كأس الكرام نصيب".

[٤١٩] المواهب القدوسية، (ر/ص١٩) (ت/ ص١٧-١٨) (ح/ ص٩). تنظر أيضا هذه القضية في: السنوسي، **شرح الوسطى**، ص١٢٧-٣٠.

[٤٢٠] يعني الإمام السنوسي.

[٤٢١] في (ت): "كثيرا".

[٤٢٢] في (ح): "عارفا".

[٤٢٣] ساقط من (ت).

[٤٢٤] في (ح): "وأوضحت".

[٤٢٥] في (ح): "و".

[٤٢٦] في (ت): "كأن".

[٤٢٧] ساقط من (ت).

سائله معنت أن يجيبه[٤٢٨]؛ لأنه قد أعطى الحكمة لغير أهلها. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها."[٤٢٩] انتهى."

## (جواز اطلاع الغيب كرامة للولي)[٤٣٠]

قال الشيخ الملالي: "ورأيت مكتوبا بخط الشيخ سيدنا[٤٣١] محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه في معنى ما تقدم[٤٣٢] من الاطلاع على بعض المغيبات وهو من كلامه رضي الله تعالى عنه، ونصه: "قلت: ومما يدل على أن الصادر من بعض الأولياء من التبشير بالجنة ليس مخالفا للسنة صدورُ مثل ذلك من متبوعهم الذي[٤٣٣] إنما شرفوا بالتزام الاقتداء به سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه عليه الصلاة والسلام قد بشّر جماعة من الصحابة بدخول الجنة وكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم من جهة أن أولئك الذين أخبروا بدخول الجنة وفقوا للزوم الإيمان والأعمال الصالحة إلى الممات.

وقد ثبت من قول جمهور أهل السنة "أن كل ما صح معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي"، وإذا جاز أن يطلع الولي على عاقبة أمره عند جماعة من المحققين جاز أن يطلع على عاقبة غيره أحرى. وإنما كان أحرى لسلامته من مفسدة الأمن من مكر الله تعالى التي[٤٣٤] من أجلها منع بعضهم من اطلاع الولي على عاقبة نفسه وإن كان هذا الذي علل به غير مسلم؛ لأن الصحابة الذين أطلعهم النبي صلى الله عليه وسلم على عاقبة أمرهم من الفوز برضوان الله تعالى ودخول دار كرامته لم يوجب لهم ذلك أمنا، بل كانوا مع ذلك أشد الناس خوفا وأكثرهم

---

[٤٢٨] في (ت): "أن لا يجيبه" وهو خطأ.

[٤٢٩] أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ولم يخرجه، وأورده الديلمي في الفردوس وأسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه. ينظر: أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، **الفردوس بمأثور الخطاب**، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، م ٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦)، ص٢١٨؛ أبو عمر ابن عبد البر النمري، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، م ١ (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٩٩٤)، ص٤٥٠.

[٤٣٠] المواهب القدوسية، (ر/ص٦١ وما بعدها) (ت/ ص٤٩ وما بعدها) (ح/ ص٢٧-٢٨).

[٤٣١] في (ت): "سيدي".

[٤٣٢] في (ت): "في معنى متقدم".

[٤٣٣] في (ت): "الذين".

[٤٣٤] في (ت): "الذي".

اجتهادا في طاعة المولى تبارك وتعالى. ثم لو كان في اطلاع الولي على عاقبة أمره مفسدة تمنع منه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أحدا من أصحابه رضي الله تعالى عنهم بعاقبة أمره؛ لأن ذلك عين[٤٣٥] ما منع منه هذا القائل. وإذا عرفت من هذا أن التحقيق جواز اطلاع الولي على عاقبة أمره، عرفت منه جواز اطلاعه عاقبة غيره أحرى؛ إذ لا مفسدة[٤٣٦] تتوهم في هذا القسم أصلا.

فإن قلت: المفسدة في هذا القسم واقعة من جهة أن إطلاع الولي غيره على أنه من أهل الجنة قد يوجب له اتكاله على ذلك المقال وزهده في الأعمال واشتغاله بالبطالة في الأقوال والأفعال لعدم أهليته للاطلاع[٤٣٧] على هذه البشارة.

فالجواب: أن هذه المفسدة منفية؛ لأنه إذا كان المبشر بالجنة من أهلها كما أخبر به الولي كان محفوظا، لا يعمل إلا بأعمال أهل الجنة إلى الممات، وبذلك يتحقق صدق ما بشر به. ثم إن الولي محفوظ من أن يودع هذا العلم اللدني في هذه البشارة العظيمة[٤٣٨] لمن ليس أهلا لها[٤٣٩]. "لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها."[٤٤٠] والظلم مناف للولاية التي تنتهي إلى هذا القدر من الكرامة.

فإن قلت: السمح في مثل هذا يؤدي إلى تجاسر المخرقين[٤٤١] المتشبهين بالأولياء وليسوا منهم على جلب قلوب العوام بمثل هذه المقالة حُبًّا في الشهوات والرئاسات.

فالجواب: إنا إنما تكلمنا على حكم جواز هذه المقالة في حق الولي الحقيقي في نفس الأمر، وأما معرفة عينه والتمييز بينه وبين المتشبه الكاذب[٤٤٢] فيحصلان بعد معرفة السنة وشروط

---

[٤٣٥] في (ت): "غير".

[٤٣٦] في (ت): "لا فائدة".

[٤٣٧] في (ت): "أهلية الاطلاع".

[٤٣٨] ساقط في (ت)

[٤٣٩] في (ت): "إلا لمن ليس أهلا لها" وهو خطأ.

[٤٤٠] سبق تخريجه قريبا.

[٤٤١] أي: الكاذبين. وفي (ت): "المخربين".

[٤٤٢] في (ت): "الكذاب".

الولاية وأحوالها بالمخالطة الشديدة وقرائن الأحوال المحصلة للقطع أو الظن[٤٤٣]، ولا يخفى بعد ذلك حال الصادق والكاذب إن شاء الله تعالى.

وإذا صح هذا كله عرفت أن قول أئمتنا "إن ترك الحكم بالجنة والنار في حق من لم يخبر عنه بذلك[٤٤٤] الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم هو السنة" معناه أن[٤٤٥] السنة ألا يجزم في حق أحد بالجنة والنار[٤٤٦] باعتبار النظر إلى ظاهر عمله[٤٤٧] من الطاعة أو المعصية[٤٤٨]؛ إذ ذاك لا يحصل به قطع لاحتمال أمور لا تخفى. وأما الجزم بذلك من طريق الكرامة للأولياء لما أطلعهم الله تعالى عليه من غرائب ملكه وملكوته فليس بمرادهم. وإنما أطلقوا ولم يستثنوا هذا القسم نظرا منهم إلى الغالب، وندور من يصل من الأولياء إلى هذه الكرامة، [بل لندور[٤٤٩] من يتصف بأصل الولاية فضلا عن الاطلاع على هذه الكرامة][٤٥٠]، وأن حفظ إجماع العلماء يمنع هذا الحكم على العموم في غير الأنبياء، وأنه[٤٥١] لا فرق في المنع من ذلك بين الولي وغيره، فيجب حينئذ أن يتأول ما يصدر من هذا الحكم ممن عرف بالولاية[٤٥٢]؛ صدر منه ذلك وهو مغلوب مقهور بالحال مضطر للإخبار بذلك، ولا تكليف على مضطر[٤٥٣]، لا اكتساب له[٤٥٤] فيما صدر منه.

ونظير هذا ما ثبت عن بعض الأولياء وكان مهموما من أجل تكدر مقام من الولاية عليه، فرأى مغنيا بشبابة فأسرع وجلس إليه حتى فرغ فرجع وقد رد الله تعالى عليه المقام الذي

---

[٤٤٣] في (ت): "والظن".

[٤٤٤] ساقط من (ح).

[٤٤٥] في (ت): "أي".

[٤٤٦] في (ت): "أو بالنار".

[٤٤٧] في (ح): "علمه".

[٤٤٨] في (ت): "والمعصية".

[٤٤٩] في (ح): "بالندور".

[٤٥٠] زيادة في (ت) و (ح).

[٤٥١] ساقط من (ح).

[٤٥٢] في (ح): "الدلالة" وفي (ت) زيادة: "أنه".

[٤٥٣] في (ت): "لمضطر".

[٤٥٤] ساقط من (ت)

تكدر عليه، فلامه أصحابه على ما صدر منه وذكروا له حديث النبي صلى الله عليه وسلم المتضمن وعيد من جلس يسمع شبابة وأنه يصب في أذنه الآنُك[٤٥٥] يوم القيامة[٤٥٦]، فصاح عليهم وقال لهم: "إنما قال ذلك عليه الصلاة والسلام في حق من جلس، لا في حق من أجلس." يعني أن الأول مختار مكتسب فيتناوله الوعيد لأنه مكلف، والثاني مقهور مضطر لا تكليف عليه فلا وعيد يلحقه. فتأملوا هذا كله، والله تعالى أعلم، وبه التوفيق. انتهى كلام شيخنا وبركتنا سيدي محمد السنوسي قدس الله روحه وأسكنه من الفردوس فسيحه."

## (حكم التحدث بكرامات الأولياء)[٤٥٧]

قال الشيخ الملالي ما نصه: "..ثم قلت له[٤٥٨]: «يا مولاي، هل يجوز للإنسان أن يحدث بمثل هذه أو غيرها مما يظهر من الكرامات على الأولياء؟» فقال لي: «لا يجوز التحدث بالكرامات إلا بعد موت صاحبها.» فقلت له: «يا سيدي، هذا رجل شغف[٤٥٩] بحب ولي من أولياء الله تعالى فيريد أن يحدث بكل ما يراه أو يسمعه من محبوبه من الكرامات قاصدا بذلك تعظيمه وذكره.» فنظر إلي وهو يتبسم رضي الله تعالى عنه وقال لي: «إذا كان الرجل[٤٦٠] على هذه الصفة فلا عليه أن يحدث بذلك إذا علم بصحته..» أو كما قال رضي الله تعالى عنه. ثم قال

---

[٤٥٥] وهو الرصاص.

[٤٥٦] قال الإمام ابن الجوزي في العلل المتناهية: " رَوَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَلَبٍ عن المبارك عن مالك ابن الْمُنْكَدِرِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ جَلَسَ إِلَى قَيْنَةٍ صُبَّ في العقيلي الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." قال أَحْمَد بن حنبل: هَذَا حديث باطل." وقال الإمام ابن جزم في المحلى: " هذا حديث موضوع مركب فضيحة ما عرف قط من طريق أنس، ولا من رواية ابن المنكدر، ولا من حديث مالك، ولا من جهة ابن المبارك وكل من دون ابن المبارك إلى ابن شعبان مجهولون." ينظر: عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، تحقيق إرشاد الحق الأثري، م ٢ (باكستان: إدارة العلوم الأثرية، ١٩٨١)، ص٣٠٠؛ علي بن أحمد ابن حزم، **المحلى بالآثار**، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، م ٧ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ص٥٦٢.

[٤٥٧] المواهب القدوسية، (ر/ ص٧٠) (ت/ ص٥٤-٥٥) (ح/ ص٣١).

[٤٥٨] ساقط من (ت).

[٤٥٩] في (ت): "قد شغف".

[٤٦٠] في (ت): "الأمر".

لي رضي الله تعالى عنه: «قال بعض المحققين: إنما كرامة الولي في إجابة دعائه لا في غيره.» انتهى كلامه [رحمه الله تعالى][٤٦١] ورضي عنه ونفعنا به."

## (شروط الولي عند الإمام السنوسي)[٤٦٢]

قال الملالي: "فائدة. قال شيخنا وبركتنا الولي القطب العارف سيدنا محمد بن يوسف السنوسي رضي الله تعالى عنه في شرحه لعقيدته الوسطى[٤٦٣] وغيره في شروط الولي ما نصه: قال ابن دهاق في شرح الإرشاد: «للولي أربعة شروط؛

أحدها: أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمدعي.

الثاني: أن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما ليكتفي بنظره عن التقليد في الأحكام الشرعية كما اكتفى عن[٤٦٤] ذلك في أصول التوحيد. فلو أذهب[٤٦٥] الله تعالى علماء أهل الأرض لوجد عنده ما كان عندهم ولأقام قواعد الإسلام من أولها إلى آخرها، فإنه لا يفهم من قولنا "ولي" إلا الناصر لدين الله تعالى. وذلك ممتنع في حق من لا يحيط علما بدين الله قواعده[٤٦٦] وأصوله وفروعه.

الثالث: هو أن يتخلق بالخلق المحمودة[٤٦٧] الذي يدل عليه الشرع والعقل. فأما ما يدل عليه الشرع فالورع عن المحرمات وامتثال جميع المأمورات. وأما ما يدل عليه العقل فهو ما يثمره العلم بأصول الدين؛ وهو أنه إذا علم حدوث العالم بأسره لم يتعلق قلبه بشيء منه خوفا ولا طمعا لعلمه أنه في قبضة الله سبحانه. وإذا علم الوحدانية أخلص لله تعالى في سائر أعماله؛ إذ

---

[٤٦١] ساقط من (ت).

[٤٦٢] المواهب القدوسية، (ر/ ص٧٦-٧٧) (ت/ ص٦٠-٦١) (ح/ ص٣٤).

[٤٦٣] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٥١٩—٢١.

[٤٦٤] ساقط من (ت).

[٤٦٥] في (ر): "ذهب".

[٤٦٦] في (ت): وقواعده.

[٤٦٧] هكذا في جميع النسخ المخطوطة، ولعل الصواب: "..بالخلق المحمود الذي.." بتذكير لفظ المحمود؛ لأن "الخُلق" – الذي هو موصوفه– لفظ مذكر مفرد، وجمعه "الأخلاق". ويؤيد هذا التصويبَ إتيانُ الإمام السنوسي باسم الموصول للمفرد المذكر "الذي" بعده. فلعل ذلك واقع بسبب سبق القلم. والله أعلم.

الربوبية لا تحمل الشركة في شيء. وإذا علم أن القدر سابق بما هو كائن لم يخف فوت شيء مما قدر عليه ولم يرجُ نيل شيء مما لم يقدر. وهذا هو المعبر عنه بالرضى. وخرج من ذلك الرفق بالخلق والصفح عنهم عند إذايتهم لعلمه أنهم لا يستطيعون لأنفسهم فضلا عن غيرهم دفع ضرر ولا جلب نفع.

الرابع: أن يلازمه الخوف أبدا سرمدا ولا يجد لطمأنينة النفس سبيلا؛ فإنه لا يحيط علما بأنه من فريق السعادة في الأزل أو من فريق الشقاوة. ثم ينظر إلى أسباب الشقاوة وأمارتها فيجدها منحصرة في المخالفات فهو يخاف الوقوع فيها ويحتنبها، وهذا هو المعبر عنه بالورع. وما حصل له من الموافقة فهو يخاف زوالها بأضدادها حتى يخاف أن يبدل علمه وفهمه إلى الشك والجهل. وكذا يخاف أن يطالبه باريه بالقيام بشكره فيما أنعم عليه فلا يطيق ذلك.

[وكذا يخاف أن تخدعه نفسه فيحصل في علمه ما يفسده ويحيطه من الرياء والسمعة.][٤٦٨] وكذا يخاف من توجه حقوق عليه للآدميين تنقل له أعماله إلى صحائفهم. وهذه أحوالهم. وتفاوتهم على حسب الحضور مع الله في أبواب القربات وأعمال الخيرات. والله يرزق من يشاء بغير حساب.» انتهى كلام ابن دهاق رحمه الله تعالى."

## (الاعتراف بأن الأولياء غابوا في بحر التوحيد والعرفان وأن مقامهم فوق مقام أهل البرهان)[٤٦٩]

قال الملالي: "قال شيخنا سيدي محمد رضي الله عنه[٤٧٠] إثر كلام ابن دهاق ما نصه: «ونحن بالنسبة[٤٧١] إلى هذا المقام مقام أولياء الله تعالى وخاصة حضرته على ساحل التمني، نغترف من بحر التوحيد والعرفان الذي خاضوا لججه وغابوا فيه بقدر الإمكان، ونعترف لهم بأن ما هم فيه من درجة العيان أو ما[٤٧٢] يقرب منها فوق ما الكثير عليه من درجة البرهان»."

---

[٤٦٨] ساقط من (ر).

[٤٦٩] المواهب القدوسية، (ر/ ص٧٧) (ت/ ص٦١) (ح/ ص٣٤).

[٤٧٠] زيادة في (ت) و (ح): "عند".

[٤٧١] في (ح): "بهذا النسبة".

[٤٧٢] ساقط من (ح).

**(أفضل العلوم الظاهرة)[٤٧٣]**

قال الملالي: "وسَمعتُه رضي الله تعالى عنه يقول ما معناه: إنه ليس ثَمَّ علمٌ من العلوم الظاهرة يورث المعرفة بالله تعالى والخشية منه والمراقبة له إلا علم التوحيد، وبه يفتح اللهُ له في فهم سائر العلوم كلها، وعلى قدر معرفته به يزداد خوفُه من المولى تبارك وتعالى وقُربه منه."

**(لا حظ للولي الحقيقي إلا مولاه)[٤٧٤]**

قال الملالي: "و[٤٧٥] سمعت شيخنا سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه يقول ما معناه: «إن الولي الحقيقي هو الذي لو كشف له عن الجنان وما فيها من الحور والولدان وغير ذلك ما التفت إلى شيء من ذلك ولا مال إليه بالكلية. ومهما سكن إلى شيء من ذلك وركن إليه فقد ركن لغير الله تعالى.» ثم قال لي: «هذا هو العارف الحقيقي»."

**(جهاد النفس مثل جهاد الكافر الحربي)[٤٧٦]**

قال الإمام السنوسي كما نقله الملالي في المواهب القدوسية: "وحاصل الأمر في النفس أنها شبيهة [في حالها][٤٧٧] بالكافر الحربي الذي يريد أن تكون كلمة الكفر هي العليا وكلمة التوحيد هي السفلى. وكذلك النفس؛ تريد أن تكون كلمة باطلها[٤٧٨] –من الدعاء للحظوظ العاجلة المشغلة عن إخلاص العبودية لمولانا جل وعلا والقيام بوظائف تكاليفه على الوجه الذي أمر به– هي العليا النافذُ أمرُها ونهيها في مدن الأجسام وما تعلق بها بعد أن نزلت بساحة الأبدان[٤٧٩] واتصلت بها اتصالا عظيما لا انفكاك عنه إلا بالموت.

---

[٤٧٣] المواهب القدوسية، (ر/ ص٩٧) (ت/ ص٧٧-٧٨) (ح/ ص٤٤).

[٤٧٤] المواهب القدوسية، (ر/ ص١٢٨) (ت/ ص١٠٣) (ح/ ص٥٨-٥٩).

[٤٧٥] زيادة في (ت) و (ح): "قد".

[٤٧٦] المواهب القدوسية، (ر/ص١٤٥ وما بعدها) (ت/ ص١١٦ وما بعدها) (ح/ ص٦٥ وما بعدها).

[٤٧٧] ساقط من (ر).

[٤٧٨] في (ت) و (ح): "باطنها".

[٤٧٩] في (ح): "الإنذار".

فوجب بذلك على كل مؤمن يعظّم حرمات الله تعالى أن ينهض كل النهوض بغاية قواه العلمية والعملية لجهادها وقتالها. وفي مثل هذا القتال الذي نزل العدو فيه بساحة الأبدان – وهو فرض عين على كل مؤمن– يسقط استئذان الأبوين وغيرهما، ويجب على المؤمن أن ينوي في هذا الجهاد ما ينويه في جهاد الكفار؛ فينوي فيه امتثال أمر الله تعالى بأن يجاهد النفس حتى تكون كلمة الله تعالى –من الأمر بإخلاص العبادة له في الظاهر والباطن والسر والعلانية وعلى كل حال ورفض كل ما يشوش في ذلك– هي العليا النافذة عملا وامتثالا وتعظيما في جميع أجزاء البدن الظاهرة والباطنة.

وذلك لا يكون إلا بقتال النفس حتى تطمئن وتنقاد للحق طوعًا أو تُغلب[٤٨٠] وتستسلم لأداء جِزية الاستعانة بها على طاعة الله تعالى بشرط أن تنزل بموضع من الذِّلَّة والهوان بحيث تنالها أحكام الإيمان وتنفذ فيها طوعا أو كرها. ويكون أداؤها لجزية الاستعانة بها على الطاعة عن يدٍ لا تؤخر ولا يقبل عنها عذر ولا مماطلة، وهي صغيرة لا تحمد على ما بذلت من الاستعانة بها ولا يعبأ بها ولا ينظر إلى جهتها في ذلك ولا تنال بذلك البذل عزا ولا قدرا عند المؤمن أصلا. وإنما يرى المنة في ذلك للمولى الكريم وحده إذ هو الذي ذللها له ومكّنه من الاستعانة بها على طاعته طوعا أو كرها مع شدة شكيمتها وعظيم كفرها ومعارضتها بهواها وشهواتها أحكام الله تعالى.

ولا زال المؤمن ينظرها مع هذا نظر عداوة؛ إذ يعلم أنها لو وجدت سبيلا إلى خروجها عن هذا الأمر والذلة التي هي فيها ورجعت إلى وطن أخلاقها الذميمة لأهلكت الحرث والنسل. وبهذا تعرف أنه لا يتمكن المؤمن من الاستعانة بالنفس على ما يعينه من طاعة الله تعالى إلا أن يغلبها وتكون عنده في الذلة وعدم الإجابة إلى حظ من حظوظها بهذه المشاقة التي ذكرنا. وأما من استعان بها على ما يعنيه[٤٨١] وهي عزيزة عنده وحظوظها قائمة وأوامرها مطاعة وشهواتها حية فإنها تهلك ولا ينتفع بشيء من أعماله في الغالب."

---

[٤٨٠] في (ت): "تغلبا".

[٤٨١] في (ت): "يعينه".

## (كيفية تأديب الأولاد عند المؤدب السني)[٤٨٢]

قال الملالي: "وسمعته رضي الله تعالى يقول: لما أراد سحنون[٤٨٣] رضي الله تعالى عنه أن يدخل ولده للمسجد ويدفعه للمؤدب اشترط على المؤدب ألا يضربه وأنه مهما صدر منه شيء مما يستحق عليه الأدب أو ترك الدرس واشتغل باللعب تركه على حاله ولا يضربه أصلا، فرضي المؤدب بذلك، فحينئذ دفع ابنه إلى المؤدب. ثم قلت للشيخ: لأي شيء فعل ذلك[٤٨٤] سحنون رضي الله عنه بابنه؟ فقال لي: لأن كثرة الزجر والضرب مما يؤثر في نقصان العقل ولو بعد الكبر. قال: وأيضا[٤٨٥] لما رأى سحنون رضي الله أنه لا تأثير للضرب ولا للزجر في حفظ ولا اجتهاد عقلا، وأن الأمر بيد الله تعالى في جلب نفع ودفع ضر، وأن التوكل على الله سبحانه؛ إذ منه النفع والضر، سلّم أمر ابنه إلى الله تعالى واستودعه[٤٨٦] الله تعالى وعرف أنه لا يكون شيء بإرادة الله تعالى وقدره[٤٨٧].. أو كما قال رضي الله عنه. ثم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: هكذا يفعل المؤدب السني الطيب الذي يعلم أن كل شيء واقع بإرادة الله تعالى وقدره، وأنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما كضرب وزجر ونحو ذلك. فإذا رأى من الصبيان ما يستحقون عليه من الأدب ويعلم أن الضرب يفيد، تجده يضربهم ضربا معتادا على قدر ما يقع به الأدب مع قطعه بأنه لا تأثير للأدب في شيء. وإنما هو سبب عادي أجرى الله سبحانه العادة بأن النفع يحصل عند وجود الأدب، لا به. وقد يتخلف بأن يوجد الأدب ولا يحصل به نفع كما هو مشاهد بالضرورة في كثير من الصغار والكبار، بل لا يزيده التأديب إلا شرا وفتنة. وأما إذا ظن أن الضرب لا يفيد لم يجز ضربه أصلا؛ لأن الضرب[٤٨٨] حينئذ إنما هو لشفاء الغيظ، وهو

---

[٤٨٢] المواهب القدوسية، (ر/ ص٢٠٩) (ت/ ص١٧٠-١٧١) (ح/ ص٩٦-٩٧).

[٤٨٣] هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي. ولد سنة ١٦٠هـ. وكان من من أشهر فقهاء المالكية في المغرب العربي، و"سُحْنُون" لقبه الذي اشتهر به، ويرجع نسبه إلى قبيلة تنوخ. من أشهر مؤلفاته: "المدونة الكبرى" التي جمع فيها مسائل الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس. ينظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ص٢٦٣.

[٤٨٤] ساقط من (ر).

[٤٨٥] في (ح): "قال أيضا".

[٤٨٦] في (ت): "واستودعه إلى".

[٤٨٧] في (ت): "بإذن الله تعالى وقدرته".

[٤٨٨] في (ح): "الضر".

حرام بإجماع. فمثل هذا السني الذي يقف عند أوامر الله تعالى ونواهيه به ينفع الله تعالى من يؤدبه، ويجعل الله البركة فيمن يقرأ عليه؛ لأنه لا يرى النفع والضر إلا من الله تعالى ولا يتوكل إلا عليه. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٤٨٩] بخلاف ذلك الفظ الغليظ الجاهل المجنون؛ لا ينفع الله به أحدا."

**(شرح أبيات لبعض العارفين مطلعها "تطهر بماء الغيب")[٤٩٠]**

قال رضي الله تعالى عنه في معنى الأبيات التي تنسب لبعض العارفين وهي:

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر *** وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر

وقدم إماما كنت أنت إمامه *** وصل صلاة الفجر في أول العصر

فهذي صلاة العارفين بربهم *** فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

ما نصه: "الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله. هذه الأبيات أشار صاحبها -والله تعالى أعلم- إلى أن غفلة القلب جنابة في حق المريد تمنعه من الدخول في حضرة الله تعالى؛ أي دائرة ولايته، والتمتع بجمال ذاته وصفاته. ولا مطمع للمريد في دخول[٤٩١] هذه الحضرة المقدسة حتى يتطهر من هذه الجنابة[٤٩٢] بعد إعراضه عن المعاصي والشهوات.

وقد أشار الشيخ ابن عطاء الله[٤٩٣] إلى هذا المعنى في قوله: "كيف يشرق قلب صور الكائنات منطبعة في مرآته؟! أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته؟! أم كيف يطمع أن يدخل في حضرة الله[٤٩٤] وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟!"

---

[٤٨٩] الطلاق: ٣.

[٤٩٠] المواهب القدوسية، (ر/ ص٣٥٤ وما بعدها) (ح/ ص١٦٤ وما بعدها)، (ت/ ص٢٩٨ وما بعدها).

[٤٩١] ساقط من (ت).

[٤٩٢] في (ت): "الجناية".

[٤٩٣] سبقت ترجمته.

[٤٩٤] ساقط من (ح).

وكما أن التطهر من الجنابة المعروفة يكون بأصل وهو استعمال الماء الطهور الذي يرفع الحدث وينظف البدن، وببدل وهو[٤٩٥] التيمم بالتراب أو الصخر الذي تستباح به العبادة ولا يرفع حدثا[٤٩٦] ولا يوجب نظافة، فكذلك التطهر من هذه الجنابة المعنوية المنسوبة للغفلة؛ يكون بأصل وهو عمارة للقلب[٤٩٧] بضد الغفلة مما يطردها ويرفع حدثها[٤٩٨] من الذكر والفكرة والمعارف الربانية والفتوحات اللدنية. وهذه طهارة العارفين لصفاء أسرارهم وبعدها عن كل شاغل.

وببدل وهو عمارة الجوارح الظاهرة بالمجاهدة والرياضة والزهد وإدمان الذكر اللساني. وهذه طهارة المريد الذي لم يصل إلى درجة أهل المعرفة. وهو مطلوب بهذه الطهارة؛ لأن انتظاره بالعبادة صفاءَ سره يؤدي إلى تأنس النفس بكمال الغفلة عن العبادة فيعسر رجوعها إلى الخير بعد ذلك ولو في حال صفاء السر، كما أن انتظار المحدث الفاقد للماء بالعبادة وجود الماء الطهور يوجب له تأنس النفس بالراحة والبطالة فيعسر إذعانها للمحافظة على الصلاة ولو وجد الماء الطهور.

وإذا[٤٩٩] تطهر العارف لصفاء سره بما يليق به من مياه المعارف الربانية –وذلك مبادي[٥٠٠] أحوال النهاية، ولم يصل بعد إلى رتبة الفناء والبقاء اللذين هما منتهى سفر السالك– لم ينبغ له أن يترك كل ما كان يعمل في مبادي سلوكه من الأعمال المتعلقة بالظاهر. ومبدأ سلوكه شبيه بوقت صلاة الفجر لأنه أول انتباه من نوم الغفلات وقريب من ظلمة الليل ولم يخل من شيء منها. وكذلك أعمال البداية قريبة من ظلمات النفس ولم تخل[٥٠١] من بعضها.

---

[٤٩٥] في (ح): "ويبدل وهو".

[٤٩٦] في (ت): "الحدث".

[٤٩٧] ساقط من (ت).

[٤٩٨] زيادة في (ت) و (ح): "وأثرها".

[٤٩٩] في (ت): "ولذا".

[٥٠٠] خرم في (ح).

[٥٠١] في (ت): "ولم يخل".

وأول مقامات العارف شبيه بوقت صلاة العصر لأنه آخر النهار ومحل حط الرحال[٥٠٢].
وهذه الأعمال الابتدائية وإن كان[٥٠٣] كل من المبتدي والعارف مطلوبا بها وبعملها فالفرق بينهما أن المبتدي يعملها في أوائل الانتباه وعلى القرب من الظلمات فلا [٥٠٤]تصفو له كل الصفاء، والعارف يعملها في أواخر النهار وبعد كمال الانتباه ومشاهدة امتلاء الآفاق بضوء الشمس. فلهذا قال مخاطبا للعارف: "وصل صلاة الفجر في أول العصر." وجعل الصلاة في هذا الوقت صلاة العارفين –وهو كذلك– لأن من دونهم إنما يعمل[٥٠٥] تلك الأعمال قبل أن يشاهد أوائل [طلوع شمس المعارف فضلا عن انتهائها][٥٠٦].

وأما قوله: "وقدم إماما كنت أنت[٥٠٧] إمامه". فتوصية[٥٠٨] منه نافعة جدا هلك بعدم مراعاتها كثير ممن ضل. وهو أنهم إذا لاح لهم شيء من روائح أهل[٥٠٩] المعرفة اغتروا بذلك وتركوا الاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام وابتدعوا[٥١٠] أمورا لأنفسهم فهلكوا بسبب ذلك. فلذلك أوصى في هذه الأبيات العارفَ أن يقدم في جميع أعماله الرسول عليه الصلاة والسلام إماما له ليقتدي بأقواله وأفعاله ويرتبط به ولا يخالفه بوجه.

وأما قوله: "أنت[٥١١] أنت إمامه" فمعناه أن العارف كان بعقله حال الابتداء وعند جهله البرهان القطعي[٥١٢] على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام [إمامَ الرسول؛ لأنه...[٥١٣] منه الحكم والاستدلال على صدقه. والحاكم إمام المحكوم له وعليه. فلما حكم العقل أولا ونظر

---

٥٠٢ في (ح): "حظ الرجال".

٥٠٣ ساقط من (ت).

٥٠٤ من هنا ضاعت صفحتان من نسخة (ح).

٥٠٥ في (ت): "تعمل".

٥٠٦ ساقط من (ت).

٥٠٧ ساقط من (ر). ولعل الصواب ما في (ت) بلفظ: "كنت أنت".

٥٠٨ في (ت): "فوصية".

٥٠٩ ساقط من (ت).

٥١٠ في (ت): "وتبدعوا".

٥١١ في (ت): "كنت".

٥١٢ في (ت): "البرهان العقلي".

٥١٣ كلمة لا يستطيع الباحث قراءته في (ر).

واهتدى بالبرهان القطعي إلى صدق الرسول عليه الصلاة والسلام][٥١٤] وعرف شريف رتبته عند الله تعالى احتشم في تقدمه[٥١٥] أولا وتقهقرى إلى وراء وعزل نفسه عن كل نظر وأسلم نفسه إلى الرسول وقدمه أمامه وحكّمه في ظاهره وباطنه.

وأما قوله: "فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر"، فيعني به -والله أعلم- إن كنت من العارفين فلا تترك الجمع بين الشريعة والحقيقة. والشريعة بر والحقيقة بحر؛ لأن السير بها يوم بشهر بل أكثر منه بخلاف البر. ولا شك أن ظاهر الشريعة لِمَا يوجد فيها من الإسناد للأعمال والسيئة[٥١٦] لها شركٌ، فإذا نضح ظاهرها بماء الحقائق التوحيدية كملت محاسنها واستقام للعارف أعمالها، وبالله تعالى التوفيق. انتهى كلامه[٥١٧] رضي الله تعالى عنه.

## (شرح قول بعض العارفين "إن شمس النهار تغيب")[٥١٨]

قال الملالي: "وقال رضي الله تعالى عنه فيما أنشده بعض العارفين:

إن شمس النهار تغيب بليل *** وشمس القلوب ليست تغيب

[إلى آخر البيتين ما نصه: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله. قوله: "إن شمس النهار تغيب بليل وشمس القلوب ليست تغيب][٥١٩] يعني بهذا البيت -والله تعالى أعلم- تشريف ما يتقلب له[٥٢٠] من اللذات أولياءُ الله تعالى الذائقون للذيذ محبته تعالى وجليل[٥٢١] معرفته تبارك وتعالى على ما يتقلب فيه أبناء الدنيا من لذائذ شهواتهم الفانية الناقصة وسرورها المنكدر[٥٢٢] الكثير الكسوف والخسوف. وذلك أن أضوأ ما يأنس به أبناء

---

[٥١٤] ساقط من (ت).

[٥١٥] في (ت): "تقديمه".

[٥١٦] هكذا في جميع النسخ، ولم يتضح للباحث معناه.

[٥١٧] في (ت): "كلام الشيخ".

[٥١٨] المواهب القدوسية، (ر/٣٥٧ وما بعدها) (ت/ ص٣٠٠ وما بعدها) (ح/ ص١٦٥ وما بعدها).

[٥١٩] ساقط من (ت).

[٥٢٠] في (ت): "فيه". ولعل هذا هو الصواب، إلا أن الباحث آثر في النص المحقق كلمة "له" نظرا لكونه هو المثبت في النسخة التي قوبلت على نسخة المؤلف.

[٥٢١] في (ت): "ودليل".

[٥٢٢] في (ت): "المكرر".

الدنيا في هذه العاجلة ضوء الشمس الحسية؛ إذ قلوبهم مظلمة لا شمس فيها، فإذا طلعت عليهم الشمس الحسية انتعشوا وتحركوا لأغراضهم وطار عليهم النوم والكسل وفارقتهم الوحشة. فبينما هم كذلك إذ جنح الليل بظلامه وغربت شمس نهارهم وفارقهم أنسهم واستوحشوا الطرق والفجاج، كل واحد منهم إلى بيته ولزمه وفترت أعضاؤه وكسلت جوارحه وأدركه النوم أخو الموت فغيّبه عن إدراكه ومحسوساته ولذاته وتعطلت منه بسبب ذلك خيرات الدنيا وخيرات الآخرة.

أما أولياء الله تعالى الذين طلعت على قلوبهم شموس المعرفة الذوقية وأحييت[٥٢٣] نفوسهم بأرواح المحبة الشوقية[٥٢٤] فهؤلاء لا غروب لأضواء قلوبهم التي بها يأنسون، وفي ليل غيرهم يزداد نشاطهم وأنسهم وتتضاعف لذاتهم وتتقوّى أعضاؤهم وهممهم[٥٢٥]، وبين رياض تلك المعارف الذوقية ومحاسن أزهارها وسلسبيل مياهها العذبة المطردة وتغريد نغمات أطيارها يجيئون ويذهبون ويقومون ويقعدون، ومن سورات لذائذ ذلك كله والشوق إلى محبوبهم المنعم عليهم بجلائل تلك النعم[٥٢٦] تتطاير عقولهم[٥٢٧] ويكادون يموتون. هذا حالهم في حياتهم، وأما حالهم بعد مماتهم[٥٢٨] فذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾.[٥٢٩]

فأين الشمس التي استضاءت لبصائر قلوب هؤلاء الأولياء رضي الله تعالى عنهم من[٥٣٠] الشمس المحسوسة التي أضاءت لأبصار أبناء الدنيا؟! وأين الحياة من الحياة وأين الممات من الممات، وأين اللذات من اللذات؟! فقد خرج والله أبناء الدنيا من دنياهم ولم يذوقوا لذة قط.

---

٥٢٣ في (ت): "وحيت".

٥٢٤ في (ت): "الشرفية".

٥٢٥ في (ت): "وهمتهم".

٥٢٦ ساقط من (ت).

٥٢٧ في (ت): "قلوبهم".

٥٢٨ في (ت): "موتهم".

٥٢٩ السجدة: ١٦-١٧.

٥٣٠ في (ت): "ومن".

فقد استبان لك بهذا أن شمس النهار الحسية التي أضاءت لأبصار أبناء الدنيا –وقلوبهم مظلمة– تغيب بالليل[٥٣١] ويغيب بغيبتها عن ظواهر أبناء الدنيا وبواطنهم كلُّ ما كانوا فيه معها، وأن شموس القلوب التي أضائت لبصائر أهل المعرفة والمحبة لله تعالى لا تغيب في ليلهم ولا في نهارهم [ولا في حياتهم][٥٣٢] ولا بعد مماتهم.

قوله:

طلعت شمس من أحب بليل *** فاستضاءت وما لها من غروب

يعني أن المولى الكريم قد تفضل علي بما تضمنه[٥٣٣] البيت الأول من شمس[٥٣٤] القلوب، فأطلع سبحانه بمحض فضله على أفق قلبي شمس معرفة محبوبي الذي هو ذاته تبارك وتعالى فملأت ظاهري وباطني بأضواء الهداية، وانكشف لي عيانا كل المحاسن وكل ما هو نقص أو غواية، وأبصرت عندها[٥٣٥] بصيرتي محاسن جمال الذات والصفات، وتطاير بسطوع ضوءها على بعضي وكلي جميع ظلم الأوهام والخيالات، فحييتُ وطبتُ وبرئتْ[٥٣٦] واستراحتْ جوارحي من أثقال ما كانت تكابده في العمل، وطار عنها لما شاهدت ما كنت أعهده فيها من التثاقل والعجز والنوم والكسل، فطاب وقتي ونزهت بصري وبصيرتي ودام سروري وتزايد على مر[٥٣٧] الأوقات تنعمي وحبوري. وعلمت حينئذ علم يقين أن الناس كلهم من أبناء الدنيا ومن لم ينعم عليه بهذا الخير العظيم في سرف الظلام، ونحن بفضل الملك الوهاب مولانا العظيم جل وعلا في ضوء النهار على الدوام. وتحقق عندي لما جعل لنا المولى العظيم على غيرنا من الشفوف أن الملوك لو ذاقوا ما نحن فيه من اللذائذ لزاحمونا عليها وجالدونا في نيلها بالسيوف.

---

٥٣١ في(ت): "في الليل".

٥٣٢ ساقط من (ت).

٥٣٣ في (ت) و (ح): "تضمنته".

٥٣٤ في (ت): "شموس".

٥٣٥ في (ت): "عندهم".

٥٣٦ في (ت): "وبريق".

٥٣٧ في (ت): "ممر".

وإنما طلعت هذه الشمس[٥٣٨] على قلبه بالليل لا بالنهار لأن الليل هو وقت عرض جواهر الأعمال النفيسة مع قلة المزاحمين عليها وموسم أفراح عظيمة وأرباح جسيمة وسوق متجر في أرواح المعاني ولذيذ المناجات، ينادي في جوفه الخالي وهو الثلث الأوسط وما يقرب منه على شموس المعارف الذوقية والمواهب الربانية، فلا يتهيأ للتعرض لتلك الذخائر المصونة من أول الليل خوف الفوات إلا ناس قليلون ذو همم عالية زهدت في الراحات الخاوية والشهوات الناقصة الفانية، فما زالوا بفضل الله تعالى المنعم عليهم يصبرون ويصابرون أنفسهم ويتعرضون لنفحات المولى العظيم الوهاب التي[٥٣٩] تجلى بصفة الكرم في تلك الأوقات....[٥٤٠] السائلين. وقد دعاهم بفضله لذلك حتى صادفوا منه جل وعلا نظرة عطف ورحمة، فمنحهم من تلك الدخائر المكنونة وأطلع في قلوبهم من شموس معرفته الذوقية ما انجلى[٥٤١] لهم به عيانا كل المحاسن وكل شين، وسقاهم من كأس محبته شربة سرت في ظواهرهم وبواطنهم، فسكروا ثم صحوا وظفروا بملك الدارين وأورثتهم مجاهدتهم الدائمة التي منّ بها عليهم الرب المفضل جل وعلا قرة النفس والعين.

وأيضا الليل يجد فيه العقل النفوذ إلى حضور سوق تلك الذخائر ولا يقف أمامه من يدفع في نحوه[٥٤٢] عنها مِن مشوش منفصل كشياطين الإنس والجن ومشوش متصل كإدراكات[٥٤٣] حواسه التي تعمي[٥٤٤] أو تغشي[٥٤٥] من القلب عين الناظر. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[٥٤٦].

---

[٥٣٨] في (ت): "الشموس".

[٥٣٩] هكذا في (ر)، ولعل الصواب ما ثبت في (ت): "الذي".

[٥٤٠] توجد في (ر) كلمة غير مقروء بعضها: "...جات". وفي (ت): "لعقاب" وهذا اللفظ غير مناسب لسياق الجملة وغير موافق لما في (ر) التي هي نسخة مقابلة على نسخة المؤلف.

[٥٤١] في (ت): "تجلى".

[٥٤٢] في (ت): "نحره".

[٥٤٣] في (ت): "إدراك".

[٥٤٤] في (ت): "تعمى".

[٥٤٥] في (ت): "تغشى".

[٥٤٦] المزمل: ٦.

وأيضا فالليل وقت أسري فيه بالنبي المصطفى الحبيب، فبقي موسم ضيافة لكل من قام في جوف رواقه المنسدل على الآفاق من كل ذي همة قوي القلب عارف بما يطلب [وكيف يطلب][٥٤٧] زاهد فيما يفنى فتى نجيب. ومن نام أو تثاقل حتى رفع ذلك الرواق بطلوع الفجر ورفعت برفعة[٥٤٨] تلك الذخائر والفوائد أصبح خبيث النفس محروما من خيرات الملك الوهاب الرب الواحد. انتهى كلام الشيخ الولي القطب العارف قدس الله روحه وأسكنه من[٥٤٩] الفردوس فسيحه."

**(شرح قول الإمام الغزالي "ليس في الإمكان أبدع مما كان")[٥٥٠]**

قال الملالي: "وقال رضي الله تعالى عنه في قول الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه: "ليس في الإمكان أبدع مما كان" ما معناه أن ذلك في علم الباري سبحانه؛ لأن كل ممكن معلوم له عز وجل، ويستحيل[٥٥١] خروجه عن علمه تعالى. ويكون مساق هذا الكلام الرد على جهم الذي يزعم[٥٥٢] أن علمه سبحانه يتجدد بتجدد الممكنات تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: "ويحتمل هذا الكلام وجها[٥٥٣] آخر وهو أن يكون المراد به أجناس الجواهر والأعراض والأرواح على قول من قال إن الروح ليس بجرم ولا عرض، فيكون المعنى: أن كل ممكن يقدر وجوده لا يخرج عن هذه الثلاثة بدليل إجماع أهل السنة رضي الله عنهم على ذلك، والله تعالى أعلم."

قال: "ويحتمل أن يكون "أبدع[٥٥٤] مما كان" أي في الأزل وهو ذات مولانا وصفاته العلية، ويكون مساقه الرد على المعتزلة الذين يزعمون أن العباد يخلقون أفعالهم ويخترعونها كاختراع

---

[٥٤٧] في (ت): "عفيف".

[٥٤٨] ساقط من (ت).

[٥٤٩] في (ت): "في".

[٥٥٠] المواهب القدوسية، (ر/ ص٣٦٤-٣٦٥) (ح/ ص١٦٨) (ت/ ص٣٠٦).

[٥٥١] في (ت): "يستحيل".

[٥٥٢] في (ح): "زعم".

[٥٥٣] في (ت): "وجه".

[٥٥٤] ساقط من (ت).

الإله، فنفى ما يتوهم [من تعدد][٥٥٥] المخترعين للأفعال وأنه لا مخترع إلا الله تعالى." انتهى بالمعنى."

**(معنى قول الإمام الجنيد البغدادي "فتور الرجل عن العبادة لحظة أعظم من عبادته قبله مائتي سنة")[٥٥٦]**

قال الملالي: "وقال رضي الله تعالى عنه في معنى قول بعض العارفين "لو عبد المريد الله سبحانه مائتي سنة ثم فتر عن العبادة لحظة لكان ما فاته من الثواب في تلك اللحظة أكثر من ثواب مائتي سنة"[٥٥٧] ما حاصله "أنه لما كان هذا المريد في ابتداء أمره عزم على عبادة الله سبحانه ما عاش من غير فترة –والثواب على قدر النية– استوجب بنيته ثواب ما لا نهاية له كما ورد في خلود أهل الجنة أن العلة في ذلك نياتهم، فإذا فتر المريد عن عبادته سبحانه لحظة فقد رفض تلك النية المستلزمة ثواب ما لا نهاية له، وبالضرورة أن ثواب ما لا نهاية له أفضل وأكثر من ثواب ما له نهاية وهو ثواب مائتي سنة، وثمرة ذلك تظهر بعد دخول الجنة، كل يرزق على قدر نيته." انتهى بالمعنى.

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: "وأجاب بعض الأئمة عن هذا الإشكال بأن تلك اللحظة يضاف ثوابها لو عمل فيها إلى ثواب مائتي سنة، ولا شك أن ثواب تلك اللحظة مع ثواب مائتي سنة أكثر من ثواب مائتي سنة مجردة عن اللحظة." قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: "ولا يخفى ضعف هذا الجواب؛ لأن هذا لا يجهل، والحق في الجواب ما ذكرناه. والله تعالى أعلم."

---

[٥٥٥] ساقط من (ت).

[٥٥٦] المواهب القدوسية، (ر/ ص٣٦٥) (ت/ ص٣٠٦) (ح/ ص١٦٨).

[٥٥٧] هذا كلام أصله لسيد الطائفة الإمام الجنيد البغدادي. وقد ذكره الإمام القشيري في رسالته حين تعرضه لترجمة هذا الإمام العظيم القدر. ونص كلامه فيها: "لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله." ينظر: القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج١، ص٧٨.

**خاتمة**

بعد التجوال الفكري الطويل في مضمون مخطوط "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية" تجلت للباحث موسوعية الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، وقدرة هذا الإمام على ربط التصوف بالفقه كما في نصرة الفقير ودمج التصوف بالعقيدة كما في المواهب القدوسية، حتى أصبحت مظاهر التوفيق بينهما أمرا جليا لكل من يقف على نصوص كلامه. وهذا الأمر لا يتأتى إلا ممن رزقه الله عقل الفقيه وقلب الصوفي وفكر المتكلم في نفس الوقت.

أما "عقل الفقيه" الذي تمتع به هذا الإمام وله أوفر نصيب منه فيتجلى منذ بداية حديثه في كتاب نصرة الفقير حيث بدأ الفصل الأول منه ببيان حكم محدثات الأمور التي هي محل النزاع بين أهل الطريقة وبين خصومهم. ولا شك أن تحرير محل النزاع هو أول خطوة خطاها الفقيه في عملية مناقشة قضية مختلف فيها. ثم أورد الإمام السنوسي نصا ثمينا في الموضوع نقله من سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، مفاد هذا النص أن الأمور المحدثة تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة من وجوب وحرمة وندب وكراهة وإباحة، ليتوصل بذلك إلى الحكم على كل واحد من الأمور التي قيل إنها بدعة بحكم مستقل ودليل مستقل. فبدأ يستدل على كل مسألة بدليلها من القرآن والسنة إلى آخر الكتاب.

ومما ينبغي الالتفات إليه والتمعن فيه في كتاب نصرة الفقير –وله وزن كبير في تفسير علاقة الإمام السنوسي بالصوفية، بل له وزن كبير في فهم فكره التوفيقي– ما أقره الإمام من وجوب اتخاذ الشيخ المربي وعدم استقلال الشخص بنفسه لتربية نفسه، وسيأتي الحديث عن هذا الأصل العظيم في الباب اللاحق.

أما "قلب الصوفي" الذي تنور بنور المعرفة الإلهية فقد لاح نوره في كتاب المواهب القدوسية، هذا الكتاب الذي يجلي طول باع الإمام الولي أبي عبد الله السنوسي في علم التصوف ويظهر رسوخ قدمه فيه. وذلك ظاهر في تنوع القضايا والمباحث الصوفية التي ناقشها الإمام السنوسي في المواهب القدوسية، بعضها تتناول بدقة قواعد أهل التصوف وأسسهم مثل كلامه في الشريعة والحقيقة، وكلامه في تقديم الرسول وكمال الاتباع له صلى الله عليه وسلم. ويعتبر الباحث مبدأ اتباع الرسول الذي أخذ به الإمام السنوسي من أهم أسس تصوفه كما سيأتي تفصيله في الباب الرابع.

ثم الإمام السنوسي أيضا قد تصدى لبيان أقوال أئمة الصوفية التي ظاهرها مشكل. مثال ذلك شرحه لكلام سيد الطائفة الإمام الجنيد البغدادي (ت. ٢٩٨هـ)، وتفسيره للكلام المشهور عن الإمام أبي حامد الغزالي "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، وشرحه للأبيات التي نسبت إلى بعض الصوفية. وهذا، إن دل على شيء فإنه يدل على سعة اطلاع هذا الرجل، وسعة علومه ومداركه، وحسن اعتقاده بأئمة القوم، كما أنه أيضا يدل على أن كلام الصوفية قابل للتأويل عند إمام من أئمة متكلمي أهل السنة والجماعة. فكأن الإمام السنوسي أراد أن يشير إلى أن من حسن الاعتقاد بالله حسن الاعتقاد بأهل الله رضوان الله عليهم.

هذا، ولم يكن مظهر التوفيق بين العقيدة والتصوف عند الإمام السنوسي في كتاب المواهب القدوسية ينحصر في هذا الوجه وحده، بل هناك مظاهر للتوفيق يجدها القارئ لنصوص كلام الإمام السنوسي السابق تحقيقها، وسيأتي إيضاح هذه المظاهر في بابه إن شاء الله تعالى. وبالجملة، فالكتابان "المواهب القدوسية" و"نصرة الفقير" يستحقان إعادة التحقيق لما تضمناه من أصول وقواعد لتصوف الإمام السنوسي، كما أنهما أيضا تضمن مظاهر كثيرة لفكرة التوفيق بين العقيدة والتصوف عنده. وإذا أدرك القارئ هذه الحقيقة، واستشعر أهمية معرفة قواعد التصوف وأسسه الموجودة في كثير من كلام الإمام السنوسي، حان الآن للباحث أن يشرع في استخراج أسس تصوف هذا الإمام الجليل ومناقشتها. وذلك في الباب الرابع الآتي.

# الباب الرابع

# أسس التصوف عند الإمام السنوسي في الكتابين "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية" وتطبيقها في قضايا صوفية معاصرة

**مقدمة**

يشتمل هذا الباب على فصلين؛ الأول منهما مخصص للحديث عن أسس التصوف لدى الإمام السنوسي، بينما الثاني يخصه الباحث لمناقشة قصيرة حول تطبيق هذه الأسس في قضايا صوفية معاصرة. وهذه الأسس استفادها الباحث من خلال كلام الإمام في الكتابين نصرة الفقير والمواهب القدوسية. وقد تم للباحث استخراج خمسة أسس لتصوف الإمام من خلالهما، وهي:

١. التصوف مبني على العقيدة النقية.
٢. تقديم السنة واتخاذها ميزانا لمعرفة الصوفية الحقة.
٣. وجوب ملازمة الحقيقة للشريعة.
٤. حسن الظن بأهل الله الصادقين.
٥. وجوب اتخاذ الشيخ المربي.

والناظر في هذه الأسس سيجزم بأنها هي الأسس التي لا تُقبل ولا يُعمل بها عند الصوفية فقط، بل يقبلها ويعمل بها كل مسلم منصف لما تمتاز به هذه الأسس من موافقتها لقواعد الشرع وضوابطه. وهذه الأسس مع قلتها تشمل أهم أركان التصوف الصحيح كما سيراه القارئ فيما بعد.

أما بخصوص قضايا صوفية معاصرة فقد جمعها الباحث في مبحثين تحت الفصل الثاني من هذا الباب. وذلك لأن قضايا التصوف بطبيعتها تنقسم إلى ما يمس الجانب النظري وما يمس الجانب العملي، وعليه صنّف الباحث هذه القضايا التي سيناقشها بعد، فجعل لها مبحثين؛ الأول منهما للحديث عن كيفية تطبيق أسس التصوف السنوسي في القضايا النظرية، والثاني للقضايا العملية. ثم النظر إلى أفراد القضايا النظرية في المطلب الأول سيبين للقارئ مدى سعة

آفاق قضايا صوفية معاصرة حيث إن بعضها يتعلق بالتوحيد، وبعضها يتعلق بأحوال الأولياء من الكرامات وغيرها، وبعضها يتعلق بنظرية العلم. ولا شك أن تنوع هذه القضايا يدل أوّلًا على ثروة موضوع التصوف في عصرنا الحاضر وكثرة المناقشة التي تدور حوله، ويدل ثانيا على وقوع خلاف بين الباحثين المعاصرين في شتى مواضع مهمة للتصوف حيث إن القضايا التي يتم اختيارها في هذا الباب إنما هي التي وقع فيها خلاف بينهم. كما أن قدرة أسس تصوف الإمام السنوسي لمناقشتها أيضا تدل على واقعية تصوف الإمام في هذا الزمان.

ثم الكلام في المبحث الثاني من هذا الفصل لا يبعد عما كان في المطلب الأول. وقد تم اختيار الباحث فيه لأعمال قام عليها جميع الطرق الصوفية، وبدأ الباحث بمناقشة سؤال مهم وهو سنية الأعمال الصوفية وبدعيتها. ومن خلاله تعرض الباحث لقضايا ساخنة كمفهوم "محدثات الأمور"، واحتمال وقوع البدعة في التصوف، وتلقين الذكر ولبس الخرقة. ثم تأتي قضية التوسل الذي دار حوله نقاش طويل، وقضية الخلوة الصوفية. وتمت مناقشة كلها تحت ضوء أسس تصوف الإمام السنوسي وعلى ميزانه لأجل أن يصل الباحث إلى نقطة مهمة وهي واقعية هذه الأسس وقادريتها على إجابة أسئلة تصوفية حديثة. وفي الأخير، يذكر الباحث ما استنتجه هذا الباب. ودونكم أيها القارئ مضامين هذا الباب بالتفصيل.

## الفصل الأول: أسس التصوف لدى الإمام السنوسي

من خلال دراسة الباحث لكتابي "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية" وقف على خمسة أسس تُعدّ عند الباحث من أهم أسس التصوف لدى الإمام السنوسي. وتفصيل هذه الأسس الخمسة كما يلي:

### الأس الأول: التصوف مبني على العقيدة النقية

لا شك أن العقيدة هي أولى وأهم أسس التصوف عند الإمام السنوسي خصوصا وعند جميع أهل التصوف الحق على سبيل العموم، حيث إن الباحث يرى أن هذا الأس ثابت ولازم عند الإمام بشهادته بنفسه فيما نقله غيره عنه. قال محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الملك في رسالته في العقائد نقلا عن الإمام السنوسي أنه قال: "التوحيد أشرف من الفقه والتصوف

وجميع العلوم؛ لأنه لا يصح علم ولا عمل بدونه."[1] ونقل عنه تلميذه الملالي ما نصه "أنه ليس ثَمَّ علمٌ من العلوم الظاهرة يورث المعرفة بالله تعالى والخشية منه والمراقبة له إلا علمَ التوحيد، وبه يفتح اللهُ له في فهم سائر العلوم كلها، وعلى قدر معرفته به يزداد خوفُه من المولى تبارك وتعالى وقُربه منه."[2] فمن خلال هذين النصين فهم الباحث أفضلية علم العقيدة على علم التصوف عند الإمام السنوسي، وأن علم العقيدة عنده هو أساس للتصوف وطريق موصلة إليه.

وكيف لا يقدّم الإمام السنوسي العقيدةَ على التصوف مع أن صحة الاعتقاد شرط لصحة العلوم والأعمال كما قاله هو، والشرط يجب أن يتقدم وجوده على وجود المشروط. أما توقف صحة الأعمال على صحة الاعتقاد فلأن الأعمال لا تقبل ممن لم يؤمن بالله ولم يتبع شريعته كما صَرَّح به قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.[3] وأما توقف صحة العلوم على صحة الاعتقاد فلأن العلوم التي أريد بها في كلام الإمام ليست بمجرد المعلومات التي يتيسر لكل أحد ولو كان غير معتقد لحقية علمه كعلم المستشرقين بشريعة الإسلام؛ فمثل هذا العلم لا يشترط فيه صحة الاعتقاد. بل المراد بالعلوم هنا العلم الخاص الذي يورث صاحبه خشية الله. وهو العلم الذي وصف الله أصحابه بالخشية حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.[4] ولا شك أن هذا العلم مشروط بصحة الاعتقاد بالله وبرسله إذ لا يتصور أن يخشى الله من لا يعرفه.

ثم هناك شيء آخر يتعلق بقول الإمام السنوسي "لا يصح علم ولا عمل بدونه" (أي بدون التوحيد). وذلك أن الإمام الغزالي -الذي هو معتمَد السنوسي في طريقته[5]- قد قسم التصوف في مقدمة الإحياء إلى قسمين؛ علم المكاشفة وهو الشق العلمي النظري للتصوف،

---

[1] محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الملك، "رسالة في العقائد" (مخطوط، الخزانة الحسنية، د.ت)، ٢٨أ-٢٩أ.

[2] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص٩٧; محمد بن إبراهيم الملالي، "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية" (مخطوط، دار الكتب الوطنية بتونس، د.ت)، ص٧٧—٧٨؛ الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٤٤.

[3] إبراهيم: ١٨.

[4] فاطر: ٢٨.

[5] وقد لاحظ الباحث ذلك من خلال كلام الملالي حيث قال: "فإن شيخنا رضي الله تعالى عنه قد سلك طريقة الإمام الغزالي في مواعظه وتوبيخه للنفس." ينظر: **الملالي، "المواهب (ر)"**، ص١٩٠.

وعلم المعاملة وهو الشق العملي التطبيقي له.[٦] وهذا التقسيم الثنائي للتصوف إذا طبّقه الباحث على قول الإمام السنوسي آنفا أنتج أن التصوف بشقَّيه لا يصح إذا لم يتأسس على قواعد التوحيد. فحينئذ يجب تقديم علم التوحيد على علم التصوف، كما يجب أن توزن مسائل التصوف بمعيار العقيدة. فما كان موافقا للعقيدة الصحيحة النقية قبِلناه وما كان مخالفا لها رددناه.

ولذلك قال أحد أبرز رجال التصوف؛ وهو الإمام أبو القاسم القشيري (ت. ٤٦٥هـ) في رسالته: "اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة."[٧] فصرّح بأن العقيدة الصحيحة هي أصل الأصول عند جميع الصوفية، وعلى هذا الأصل النقي تأسس تصوفهم وطريقتهم.

ولاح أثر هذا الأس المتين في تعاليم الإمام السنوسي حين يتصفح الباحث كتبه، فوجد أن الإمام أورد شروطا أربعة لصحة اعتبار شخص وليا من أولياء الله تعالى. ويهمّ الباحثَ هنا الشرطان الأولان. ذكر الإمام أنه يشترط للولي أن يكون أولًا "عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمدعي."[٨] وأن يكون ثانيا "عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما."[٩] وأن يبلغ في هذين الشرطين إلى حد أنه لو أذهب الله علماء أهل الأرض لوُجد عنده ما كان عندهم ولأقام قواعد الإسلام من أولها إلى آخرها؛ لأنه لا يفهم من إطلاق "الولي" إلا الناصرُ لدين الله تعالى. ولا يكون الناصر من لا يحيط علما بدين الله قواعده وأصوله وفروعه.[١٠] هذه الشروط في الحقيقة نقلها الإمام السنوسي من كلام الإمام ابن دهاق (ت. ٦١١هـ). ولكن هذه الحقيقة لا تمنع الباحث من نسبة الأفكار الواردة فيه إلى الإمام السنوسي من حيث إنه

---

[٦] عرف الإمام الغزالي علم المكاشفة بأنه ما يطلب منه كشف المعلوم فقط، وعرف علم المعاملة بأنه ما يطلب منه مع الكشف العملُ به. ينظر: الغزالي، **الإحياء**، ج١، ص١٣.

[٧] عبد الكريم بن هوازن القشيري، **الرسالة القشيرية**، تحقيق عبد الحليم محمود، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ج١، ص١٩.

[٨] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ٧٦. السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٥١٩.

[٩] المرجع نفسه، ص٧٦.

[١٠] المرجع نفسه، ص٧٦.

نقل هذا الكلام، وبثّه في كتبه، ثم أقرّ به، وهو ما يدل على تبنّيه لهذه الأفكار الحسنة. ويعني الباحث بهذه الأفكار نقاطا ثلاثة؛

الأولى: أن كلامه هذا في شروط مصححة للولاية. والولاية موضوع له تعلق شديد بالتصوف حيث إن شيوخ أهل التصوف كانوا كلهم أولياء بشهادة مشايخهم وأصحابهم ومريديهم. وهذا أمر لا غبار عليه كما هو مشاهد في ثنايا كتبهم.[١١] ثم اشتراطه للولي أن يكون عارفا بعلم أصول الدين –وهو ما يسمى بعلم العقيدة أو التوحيد– أمر يدل على صحة النقطة الرئيسية في هذه الفقرات وهي أن الإمام السنوسي يقول بتقديم العقيدة النقية على التصوف وانبنائه عليها.

الثانية: ليس الشرط الذي اشترطه الإمام السنوسي هو مجرد معرفة علم العقيدة، بل الشرط هو التمكن في علم العقيدة. وذلك يفهم من كون الشرط مغيًّا بحدٍّ وهو أنه لو أذهب الله علماء أهل الأرض لوجد عند هذا الولي من علم الأصول والفروع ما كان عندهم. فكأن الحد المطلوب من تمكنه في علم الشريعة حد المجتهدين، وكأن الحد المطلوب من تمكنه في علم العقيدة حد المجدّدين.

بل لا مبالغة إذا قال الباحث بأن الحد الذي يجب أن يبلغه هؤلاء الأولياء في علم التوحيد أعلى وأكبر بصريح شهادة الإمام السنوسي إثر هذا الكلام حيث قال ما نصه: "ونحن بالنسبة إلى هذا المقام مقام أولياء الله تعالى وخاصة حضرته على ساحل التمني، نغترف من بحر

---

[١١] ومن حسن ثناءهم على شيوخهم الدال على علو مكانتهم ورفعة منزلتهم وتحققهم برتبة الولاية قول الإمام أبي القاسم القشيري: "ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم، إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا وتبركوا به. ولو لا مزية وخصوصية لهم، وإلا كان الأمر بالعكس." وأوضح من ذلك في الدلالة على أن هؤلاء القوم وشيوخهم هم المعنيون بالأولياء ما ذكره أبو نعيم الأصبهاني في مقدمة كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: "أما بعد، أحسن الله توفيقك. فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم." فتصريحه بأن الكتاب موضوع للحديث عن الصوفية مع أنه في الوقت نفسه يسمي كتابه بحلية الأولياء يؤذن بأن هؤلاء الصوفية هم الأولياء في نظره. ينظر: القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج٢، ص٥٧٢؛ الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج١، ص٣–٤.

التوحيد والعرفان الذي خاضوا لججه وغابوا فيه بقدر الإمكان، ونعترف لهم بأن ما هم فيه من درجة العيان أو ما يقرب منها فوق ما الكثير عليه من درجة البرهان."[١٢]

الثالثة: فهم الباحث من الشرط الثاني الذي هو التمكن في علوم الشريعة أن التصوف في نظر الإمام السنوسي لا يُبعِد أهله من الالتزام بأحكام الله. بل التصوف الذي يراعي شرط صحة العقيدة وصحة الشريعة يجعل أهله متورعا ومحافظا لأحكام الله في جل أفعاله وأقواله. وسيأتي مزيد بيان عن هذا في الأس الثالث.

**الأس الثاني: تقديم السنة واتخاذها ميزانا لمعرفة الصوفية الحقة**

يأتي في الدرجة الثانية في قائمة أسس تصوف الإمام السنوسي الأس القائل بوجوب تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم ووجوب كمال الاتباع له. ولا شك أن الإيمان لا يُقبل ممن أقرّ بوحدانية الله ولم يقرّ برسالة ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الإيمان لا يُقبل من مثل هذا الشخص، فكيف يُقبل تصوفه؟ فظهر بهذا وجه التوفيق بين التصوف والعقيدة من هذا الأس. وقد أبان الإمام السنوسي ضرورة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أثناء شرحه لأبيات بعض الصوفية، حيث قال مبينا لمعنى البيت "وَقَدِّمْ إِمَامًا كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ":

"وأما قوله «وقدم إماما كنت أنت إمامه» فتوصية منه نافعة جدا هلك بعدم مراعاتها كثير ممن ضل. وهو أنهم إذا لاح لهم شيء من روائح أهل المعرفة اغتروا بذلك وتركوا الاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام وابتدعوا أمورا لأنفسهم فهلكوا بسبب ذلك. فلذلك أوصى في هذه الأبيات العارفَ أن يقدم في جميع أعماله الرسول عليه الصلاة والسلام إماما له ليقتدي بأقواله وأفعاله ويرتبط به ولا يخالفه بوجه."[١٣]

تبين للمتأمل لهذا النص كيف يعامل الإمام السنوسي بالقسوة أهل الضلالة الذين يدعون التصوف وهم يدبرون عن الاقتداء بالرسول واتباع السنة، فوصفهم بالغرور والبدعة والهلاك. وفي الآن نفسه يحذر أهل التصوف الحق من مخالفة الرسول بوجه ما، ويؤكد عليهم ضرورة تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا الأسلوب الشديد في توصيل الفكرة يتناسب

---

[١٢] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص٧٧.

[١٣] المرجع نفسه، ص٣٥٤ وما بعدها.

مع شدة أمر اتباع السنة، ويُعلِم القراء والباحثين بأن التصوف الحقيقي عند الإمام السنوسي – الذي هو أحد كبار المتكلمين– لا يخرج عن نهج السنة النوبية الشريفة قيد أنملة. وأوضح من النص السابق في استبانة هذا الأس ما ذكره الإمام في خاتمة كتاب نصرة الفقير حيث قال: "أول ما يعتني به الصادق مع الله اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بأصحابه الكرام، وشهود المنة منه، واجتناب البدعة المحرمة والعيب والآثام."[١٤] ولا شك أن هذا الكلام نص صريح منه رحمه الله على وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

ويؤيد كلامه هذا ما ذكره الإمام أبو إسحاق الشاطبي[١٥] (ت.٧٩٠هـ) في كتابه الاعتصام حيث قال: "الوجه الرابع من النقل ما جاء في ذم البدع وأهلها عن الصوفية المشهورين عند الناس. وإنما خصصنا هذا الموضع بالذكر، وإن كان فيما تقدم من النقل كفاية، لأن كثيرا من الجهال يعتقدون فيهم أنهم متساهلون في الاتباع، وأن اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه، وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به، فأول شيء بنوا عليه طريقتهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها، حتى زعم مذكرهم وحافظ مأخذهم وعمود نحلتهم؛ أبو القاسم القشيري، أنهم إنما اختصوا باسم التصوف انفرادا به عن أهل البدع."[١٦] فهذه شهادة عظيمة من أكبر أئمة الأصوليين بأن أهل التصوف الحق يبنون طريقتهم على اتباع السنة. وبهذه الشهادة وما قرره الإمام السنوسي آنفا امتنعت نسبة الطرق الضالة والمبتدعة إلى التصوف.

أما شهادة أهل الحديث على صحة هذا الأس، فقد ذكر الإمام أبو زكريا يحي بن شرف النووي المحدث الفقيه في كتابه "المقاصد" خمسة أصول لطريق التصوف، فذكر من بينها

---

[١٤] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ص٩.

[١٥] أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، من علماء الأندلس. توفي في ٧٩٠هـ. من مؤلفاته: "الإفادات والإنشادات"، وفيه تحف ومدائح أدبية وإنشاءات، "كتاب الاعتصام في أهل البدع والضلالات"، "كتاب الموافقات في أصول الفقه"، "كتاب المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية". ينظر: مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٣٦.

[١٦] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، **الاعتصام**، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، (السعودية: دار ابن عفان، ١٩٩٢)، ج١، ص١١٩.

"اتباع السنة في الأقوال والأفعال".[١٧] وعلى هذا، يكون هؤلاء الأعلام الثلاثة؛ الإمام السنوسي والإمام الشاطبي والإمام النووي، قد مثّلوا الفرق الثلاثة؛ المتكلمين والأصوليين والمحدثين، في اتفاقهم على أن تقديم السنة واتباعها أمر لازم لدى الصوفية، وبه عرفت حقية مذهب التصوف.

ولأجل الاعتناء بهذه القاعدة والتمسك بها التزم الإمام السنوسي نهج اتباع السنة في تصوفه كما هو ملاحظ في كتاب نصرة الفقير حيث أورد في جميع الأعمال الصوفية التي استشكلها أبو الحسن الصغير أحاديث تدل بجملتها على صحة هذه الأعمال. مثال ذلك أنه لما تعرض لبيان صحة الذكر جماعة استدل على ذلك بأحاديث، منها ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجتمع مع أصحابه رضي الله عنهم أدبار الصلوات الخمس للذكر، ويرفعون أصواتهم بذلك، حتى قال عمر رضي الله عنه: "كنا نعرف إذا انصرفنا من المكتوبة برفع الصوت بالذكر."[١٨] وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لقن علي بن أبي طالب رضي الله عنه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم ثلاثا مُغَمِّضًا عينيه، وعليٌّ يسمع، ثم قالها علي رضي الله عنه ثلاثا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١٩]

ولما تعرض لمسألة استخدام السبحة، استدل على جواز ذلك بالسنة التقريرية حيث قال: "وأما السبحات فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أقر أصحابه على التسبيح في نواة التمر وكانوا يفعلون ذلك، وكان أبو هريرة رضي الله عنه ربط في خيط خمسمائة عقدة وسبح

---

[١٧] أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **المقاصد**، تحقيق برهان محمد بدر الدين الشاعر (دمشق: مكتبة الغزالي، ٢٠٠١)، ص٥٦.

[١٨] هكذا نسبه الإمام السنوسي الحديث إلى سيدنا عمر. والصحيح كما في صحيحي البخاري في باب الذكر بعد الصلاة (رقم الحديث: ٨٤١) ومسلم في باب الذكر بعد الصلاة (رقم الحديث: ١٢٢) أن الحديث لسيدنا ابن عباس. ولفظه: حدثنا إسحاق بن نصر، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني عمرو، أن أبا معبد، مولى ابن عباس، أخبره: أن ابن عباس رضي الله عنهما، أخبره: «أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم» وقال ابن عباس: «كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته». ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج١، ص١٦٨; النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج١، ص٤١٠.

[١٩] الترمسي، **كفاية المستفيد**، ص٣٦–٣٨.

فيها بين يديه صلى الله عليه وسلم وأقره على ذلك[٢٠]، ولم أر فيها تعارضا لأحد من أهل العلم إلى هلم جرا."[٢١]

فهذا النوع من الاستدلال بالسنة مما يكثر في كتاب نصرة الفقير الذي هو الكتاب الوحيد للإمام السنوسي في باب انتصار أهل التصوف. وفيه أمارة واضحة على أن اتباع السنة هو الميزان الأكبر والقسطاس المستقيم لمعرفة هوية الصوفية الحقة. ونفس الأمر يقال للمواهب القدوسية حيث إن الإمام السنوسي حينما يناقش قضية صوفية صعبة في ذلك الكتاب –وهي قضية اطلاع الغيب للولي– ويقرر جواز ذلك، وكأنه سبق إلى ذهنه أن تجويزه لهذا الأمر سيفتح ذريعة للمدعين بالباطل أن يكذبوا باسم التصوف، سرعان ما يذكّر القارئ والمطلع لكلامه بأن كرامة اطلاع الغيب إنما يجوز وقوعه على أيدي الأولياء الحقيقيين، وأنه إنما جوّز ذلك في حقهم. ثم بدأ يذكر طريق معرفة هؤلاء الأولياء الحقيقيين ويقول بأن معرفتهم إنما تحصل بعد معرفة السنة، ومعرفة شروط الولاية، ومعرفة أحوال الأولياء بشدة مخالطتهم.

فلا يكفي مخالطتهم والتعرف على شروط أهليتهم فقط من دون معرفة السنة النبوية، كما أنه لا يكفي معرفة السنة النبوية من غير مخالطة القوم. فمعرفة السنة وصحبة الأولياء مطلوبان لأجل أن يعرف الشخص تطابق أحوال هؤلاء رجال التصوف للسنة المطهرة. إذا كان الأمر هكذا، أمكن للباحث أن يقول بأنه من الضروري عند الإمام السنوسي أن يكون هؤلاء الأولياء الصوفية أحوالهم كلها اتباع للسنة واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم عملا بمبدأ تقديم السنة واتخاذها ميزانا لمعرفة الصوفية الحقة.

وإليك نص كلام الإمام السنوسي في هذه القضية: "إنا إنما تكلمنا على حكم جواز هذه المقالة (يعني كرامة اطلاع الغيب) في حق الولي الحقيقي في نفس الأمر، وأما معرفة عينه والتمييز بينه وبين المتشبه الكاذب فيحصلان بعد معرفة السنة وشروط الولاية وأحوالها بالمخالطة الشديدة وقرائن الأحوال المحصلة للقطع أو الظن، ولا يخفى بعد ذلك حال الصادق والكاذب

---

[٢٠] ذكر هذا الحديث صاحب حلية الأولياء مع اختلاف عدد العقدة وبدون التصريح بإقرار النبي. ولفظه عنده: أَخْبَرَنِي نُعَيْمُ بْنُ الْمُحَرَّرِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي هُرَيْرَةَ، «أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَيْطٌ فِيهِ أَلْفَا عُقْدَةٍ، فَلَا يَنَامُ حَتَّى يُسَبِّحَ بِهِ» ينظر: الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج١، ص٣٨٣.

[٢١] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ٧.

إن شاء الله تعالى."[٢٢] ولعل ما ساقه الباحث في هذه الفقرات كافٍ للدلالة على صحة هذا الأس القائل بأن التصوف الصحيح لدى الإمام السنوسي مبني على تقديم السنة.

**الأس الثالث: وجوب ملازمة الحقيقة للشريعة**

قال الإمام السنوسي: " ألا وقد أجمع أهل الظاهر والباطن أن الشريعة من غير حقيقة فسقية، وحقيقة من غير شريعة زندقة."[٢٣] صرح الإمام في هذا النص المنقول من كتابه نصرة الفقير بأن هذا الأس مما وقع عليه الإجماع من قبل علماء الظاهر وعلماء الباطن؛ فلا بد للمؤمن من أن يتحقق بالشريعة والحقيقة في الآن الواحد. وذكر الإمام أن العلماء حكموا على من تفرد بالشريعة دون الحقيقة بالفسق، وحكموا على من تفرد بالحقيقة وتجرد عن الشريعة بالزندقة.

ولا شك أن الاختلاف بين الحكمين يلوّح للباحث والقراء إلى أن الضرر في الاكتفاء بالشريعة أخف من الضرر في الاكتفاء بالحقيقة حيث إن الأول يحكم عليه بالفسق الذي لا يُخرج عن الدين. وأما الثاني فحكمه الزندقة التي هي عين الكفر. وبهذا يُعلم أن تصوف الإمام السنوسي ليس فقط ينبني على أساس ملازمة الحقيقة للشريعة، بل هذا التصوف متأسس على تعظيم هذه الشريعة وتقديمها؛ إذ لا يتصور تصوفٌ حقيقيٌّ بدونها.

ولعل الإمام السنوسي استفاد هذا الأس من إمامه في الفقه؛ وهو الإمام مالك بن أنس (ت.١٧٩هـ) رضي الله عنه، حيث أُثر منه كلام يشير إلى هذا المعنى، ولكنه أوضح مما ذكره الإمام السنوسي هنا. وممن نقل كلام الإمام مالك واستشهد به على صدق هذه القاعدة وفصّله بأحسن تفصيل معاصر الإمام السنوسي وتلميذه؛ محتسب الصوفية الإمام أحمد زروق الفاسي رحمه الله حيث قال في كتاب قواعد التصوف: "فلا تصوف إلا بفقه؛ إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه. ولا فقه إلا بتصوف؛ إذ لا عمل إلا بصدق توجه. ولا هما إلا بإيمان؛ إذ لا يصح واحد منهما بدونه. فلزم الجميع لتلازمها في الحكم، كتلازم الأرواح للأجساد؛ إذ

---

[٢٢] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٦٢–٦٣.

[٢٣] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص١.

لا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة لها إلا بها، فافهم. ومنه قول مالك رضي الله عنه: "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق."[٢٤]

استفاد الباحث مما أوضحه الإمام زروق من أنه لا وجود للفقه والتصوف إلا بالإيمان، أنه يتعيّن وضع العقيدة النقية كالأس الأول للتصوف كما صنعه الإمام السنوسي في تعداد شروط الولاية حيث قدم شرط معرفة علم أصول الدين على معرفة أحكام الشريعة. وقد سبق للباحث سوق هذين الشرطين في الأس الأول.

ثم من خلال الشرطين يمكن أن يقال بأن الإمام السنوسي دائما يذهب إلى القول بتلازم علم أحكام الشريعة وعلم أصول الدين، كما أنه أيضا يستقيم على القول بتلازم الشريعة والحقيقة، أو تلازم الفقه والتصوف، أو تلازم علم الظاهر وعلم الباطن. أما اصطلاحَا الشريعةِ والحقيقةِ فقد عُرفا من استخدام الإمام السنوسي لهما في نص نصرة الفقير السابق. وأما مرادفتهما للفقه والتصوف فهي معلومة بالمقارنة بين كلام الإمام السنوسي وكلام الإمام مالك الذي نقله زروق آنفا.

وأما مصطلح علم الظاهر والباطن فمستفاد من كلام الإمام السنوسي نفسه حيث استخدم مصطلح "أهل الظاهر والباطن" في النص المنقول سابقا، واستخدم في الفقرة التي سبقت هذا المنقول عبارةَ "الذين يدعون معرفة علم الظاهر" وعبارة "تمسكوا بظاهر الشريعة" وقابل هذه العبارات بعبارة "تركوا ما كانت عليه بواطن الصحابة" وعبارة "رفضوا الحقيقة وأسبابها". وإليك أيها القارئ نصه: "وبعد، فإني لما رأيت الهِمَمَ قاصرةً عن الله تعالى وعن طريق الوصول إليه سبحانه، ورأيت لها شعوبا قواطع عن الله تعالى، وأكثرهم الذين يدّعون معرفة علم الظاهر –إذ هم في حجاب عن الله تعالى– تمسكوا بظاهر الشريعة وتركوا ما كانت عليه بواطن

---

[٢٤] أبو العباس أحمد زروق، **تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في أمور أعمها التصوف وما فيه من وجوه التعرف المسمى اختصارا قواعد التصوف وشواهد التعرف**، تحقيق نزار حمادي (تونس: دار الإمام ابن عرفة، ٢٠١٥)، ص٢٥.

الصحابة رضوان الله عليهم، واتخذوا الظواهرَ عمادًا والإنكارَ على أهل الباطن وِسادًا، والتشدق[٢٥] والتخرق[٢٦] مهادا، ورفضوا الحقيقة وأسبابَها.."[٢٧]

ويعضد مرادفة مصطلح علم الظاهر والباطن لمصطلح الشريعة والحقيقة ما أورده الإمام زروق في قواعد التصوف حيث قال: "قال (يعني به الإمام أبا عبد الله ابن عباد الرندي): ولا تجعلوا لأحد من أهل الظاهر حجة على أحد من أهل الباطن. قلت (يعني الإمام رزوق نفسه): بل يحرصوا على أن يجعلوا أهل الظاهر حجة لهم لا عليهم؛ إذ كل باطن مجرد عن الظواهر باطل، وجيده من الحقيقة عاطل. والحقيقة ما عقد بالشريعة، فافهم."[٢٨] فيفهم من استخدام الإمام زروق مصطلح الظاهر والباطن في أول النص واستخدامه لمصطلح الشريعة والحقيقة آخره أنهما مترادفان.

ثم هذا النص يحمل في طيه إفادة أخرى، وهي في رأي الباحث مهمة للغاية، حيث إنه يمنع الصوفية من مخالفة علم الظاهر، ويحرّضهم على أن يحرصوا على موافقة علماء الظاهر لهم. فلا بد للصوفية من التوفيق بين علم الباطن والظاهر والالتزام بالحقيقة والشريعة في وقت واحد.

ولذلك قال الإمام السنوسي في شرحه لأبيات بعض العارفين عند قوله "فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانْضَحِ البَرَّ بِالبَحْرِ" ما نصه: "فيعني به -والله أعلم- إن كنت من العارفين فلا تترك الجمع بين الشريعة والحقيقة. والشريعة بر والحقيقة بحر؛ لأن السير بها يوم بشهر بل أكثر منه بخلاف البر. ولا شك أن ظاهر الشريعة لِمَا يوجد فيها من الإسناد للأعمال والسيئة[٢٩] لها شركٌ، فإذا نضح ظاهرها بماء الحقائق التوحيدية كملت محاسنها واستقام للعارف أعمالها، وبالله تعالى التوفيق."[٣٠] تبين من خلال هذا الكلام أن الجمع بين الشريعة والحقيقة والتلازم بينهما مطلوب من العارفين الذين هم كمّل الصوفية. ففيه برهان قوي على بطلان من ادعى أن

---

[٢٥] أي: الاستهزاء والسخرية.

[٢٦] أي: الاختلاق.

[٢٧] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص١.

[٢٨] زروق، **قواعد التصوف**، ص٢٥-٢٦.

[٢٩] هكذا في جميع النسخ، ولم يتضح للباحث معناه.

[٣٠] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٣٥٦-٥٧.

الصوفي إذا بلغ مرتبة ما سقطت عنه مطالبات الأحكام التكليفية. بل هذا القول الذي يفصل بين الحقيقة والشريعة ويصوّر للناس جواز انفكاك الشريعة عن الحقيقة هو بعينه عين الكفر.

قال الإمام أبو بكر الدقاق –وكان من أقران سيد الطائفة الجنيد البغدادي– مبينا وجوب ملازمة الحقيقة للشريعة وخطورة توهم تباينهما: "كنت مارا في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة، فهتف بي هاتف: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر."[٣١] وقال الإمام القشيري في رسالته مؤسِّسا لهذه القاعدة ومقرّرا لها: "الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية؛ فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول."[٣٢] هكذا يرى أكابر الصوفية أن انفصال الحقيقة عن الشريعة موجب للكفر ولا يرجى من ورائه أي حاصل. وبهذا تحقق ما قاله الإمام السنوسي من وجوب الجمع بينهما وظهر أن عدم مراعاة هذا الأس سيؤدي إلى الفصل بين التصوف والعقيدة.

**الأس الرابع: حسن الظن بأهل الله الصادقين**

سبق في الباب الثاني من هذه الرسالة أن سلامة الصدر من الأوصاف التي وُصف بها كثير من شيوخ الإمام السنوسي، وهو وصف لازم للصوفية كما قرر ذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني؛ أحد أئمة الصوفية الكبار، حيث قال: "واعلم أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر."[٣٣] ولا جرم أن سلامة الصدر سيورث صاحبها سلامة الاعتقاد لأهل الله وحسن الظن بهم.

وقد تخفى ضرورة حسن الظن بأهل الله عن بعض الباحثين؛ لأنهم يرون أن التصوف مادة يمكن إجراء البحث والتحقيق عليها ويمكن مناقشة قضاياها وفق معايير وضوابط معروفة في مجال البحث العلمي. والباحث يرى أن هؤلاء أصابوا في قولهم إذا نظرنا إلى بعض قضايا التصوف، ولكنهم أخطأوا فيه إذا نظرنا إلى قضايا أخرى. وهذا الوهم والخطأ سببه عدم معرفة

---

[٣١] الشاطبي، **الاعتصام**، ج١، ص١٢٣.

[٣٢] القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج١، ص١٩٥.

[٣٣] الكيلاني، **تاريخ النقباء في سيرة الإمام عبد القادر الكيلاني وذريته ونقباء أشراف بغداد**، ص٥٦.

طبيعة علم التصوف؛ فإن علم التصوف أو علم طريق الآخرة –كما سماه حجة الإسلام الغزالي– ينقسم إلى قسمين؛ علم مكاشفة وعلم معاملة.

فالقسم الثاني الذي هو علم المعاملة يُعنى بأحوال القلب كالصبر والشكر والزهد والكبر والرياء والغضب وما أشبهها. ومعرفة هذه الأحوال بحدودها وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها فرض عين في فتوى علماء الآخرة.[٣٤] ولا شك أن هذه العلوم والمعارف والحدود والأسباب والحقائق خاضعة لمعايير وقواعد البحث العلمي.

وأما القسم الأول من قسمي علم التصوف الذي هو علم المكاشفة فهو –في نظر الإمام الغزالي– نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وتحصل به المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته، وبأفعاله وحكمته في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة الحقيقية بمعنى النبوة والنبي والوحي والملك، والمعرفة الحقيقية بملكوت السماوات والأرض، والمعرفة الحقيقية بالآخرة والجنة والنار وما إلى ذلك، حتى تكون هذه الأمور عند صاحب هذا العلم تجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه.[٣٥] وهذه المعرفة الحقيقية وصفها الإمام الغزالي بكونها علم الصديقين والمقربين، وأن من لم يكن له نصيب منها خيف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب من هذه المعرفة التصديق بها وتسليمه لأهلها.[٣٦]

تبين من خلال تقسيم الإمام الغزالي وبيانه لقسمي علم التصوف أن علم المكاشفة أو المعرفة الحقيقية التي لا تحصل إلا بتزكية النفس وتطهيرها من جميع الصفات المذمومة أمر لا يتيسر حصوله لكل أحد، وأنه يتطلب ممن لم يظفر به أن يصدّق بمن ظفر به ويعتقد حقيته ويسلّم له قوله وحاله ولا ينكر عليه ذلك. فثبت بهذا أن حسن الظن وتسليم الأمر لأهله مطلوبان في بعض قضايا علم التصوف.

---

[٣٤] الغزالي، **الإحياء**، ج١، ص٧٩–٨٠.

[٣٥] المرجع نفسه، ج١، ص٧٦–٧٨.

[٣٦] المرجع نفسه، ج١، ص٧٥.

وقد سار على هذا النهج وقال به إمامنا السنوسي حيث قال في نصرة الفقير: "اعلم أن الاعتقاد أصل في كل خير والانتقاد أصل في كل شر، وقد قال الشيخ أبو مدين[٣٧] (ت.٥٩٤هـ) رضي الله عنه: "اعتقد ولا تنتقد، ولا تطمئن لأحد." كذا سمعته من بعض السادات. وقال الفقيه أبو عبد الله المقري[٣٨](ت.٧٥٩هـ) رحمه الله: "الاعتقاد ولاية والاعتراض جناية. فإذا عرفت فاتبع وإذا جهلت فسلم."[٣٩] يفهم من هذا الكلام أن الإمام السنوسي كان يعتبر اعتقاد صدق أهل الله أصلا ينبني عليه كل خير، كما أنه يعتبر انتقادهم أصلا يتفرع منه كل شر. ولا شك أن ما قاله الإمام يدل دلالة واضحة على أن تصوفه مبني على مبدأ حسن الظن بأهل الله.

ثم استشهاده بكلام الإمام أبي مدين الغوث –الذي هو من كبار صوفية بلدته– وبكلام الإمام أبي عبد الله المقري –الذي هو من كبار فقهائها– ينبئ لنا مدى تطابق العلماء على هذا الأس. إضافة إلى ذلك، أن كلام المقري "الاعتقاد ولاية والاعتراض جناية" يحمل في ضمنه معنى التحريض على حسن الظن وحسن الاعتقاد بأهل الله ومعنى التحذير من الإنكار عليهم وسوء الظن بهم. وهو ما يؤكد ضرورة هذا الأس للتصوف السنوسي خصوصا وللتصوف الحق على وجه العموم.

ثم الإمام السنوسي لم يكتفِ بهذا النقل، بل تكلم بعد ذلك كمؤسسٍ لقواعد علم التصوف وكأصوليٍّ يتحمل مسؤولية بيان الفرق بين مباني علم التصوف ومباني علم الفقه،

---

[٣٧] هو الشيخ الفقيه المحقق الواصل القطب سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي. أخذ التصوف عن شيوخ جلة كالشيخ أبي يعزى والشيخ أبي علي الدقاق والشيخ عبد القادر الجيلاني حين لقيه في الديار المقدسة فألبسه خرقة الصوفية. وقد تخرج على يده ألف تلميذ، ظهرت على كل واحد منهم كرامة. ومن تلامذته الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي. توفي رحمه الله سنة ٥٩٤هـ. تنظر ترجمته في: الغبريني، **عنوان الدّراية**، ص٢٢.

[٣٨] هو الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقري. ولد بمدينة تلمسان وتتلمذ على أيدي علماءها كالشريف التلمساني. كان مشارا إليه بالمغرب اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا ونزاهة. وكان متمكنا في علوم العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث والأخبار والتاريخ. وله مشاركة في أصول الدين وأصول الفقه والجدل والمنطق ويتكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين فيها. ومؤلفاته تشهد له بذلك كله مثل كتاب قواعد الفقه والحقائق والرقائق وحاشية مختصر ابن الحاجب الفقهي والجامع لأحكام القرآن. ومن تلامذته لسان الدين ابن الخطيب والعلامة ابن خلدون والإمام أبو إسحاق الشاطبي. تنظر ترجمته في: لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص١١٦.

[٣٩] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص٨.

حيث قال: "قلت: مبنى طريق الصوفية كله على التسليم والتصديق، كما أن مبنى الفقه على البحث والتحقيق. فالأصل عندهم حسن الظن والتسليم حتى يتحقق الصارف، وبعد ذلك تلتمس له معاذير. ومبنى العلم عند أهل الظاهر على عكسه حتى يتبين الصارف."[٤٠]

بيّن الإمام في هذا النص الفرق بين العلمين؛ التصوف والفقه، من حيث أصولهما، وكيف يؤثر هذا الفرق الأصولي في كيفية التعامل مع الصنفين؛ أهل التصوف وأهل الفقه. فقال بأن أصل التصوف وأسّه حسن الظن والتصديق بأهله حتى يتحقق الصارف الموجب لخطأ الشخص الْمُحْسَن إليه الظنُّ قبلُ، ولكن وجود هذا الصارف لا يوجب إسقاطه، بل غاية الأمر أن يبحث له معاذير. وهذا يكون كذلك لوجوب الأخذ بأساس حسن الظن بأهل التصوف الصادقين. وأهل التصوف كيف ما كانوا وإلى أي حد بلغوا فهم ليسوا أنبياء؛ فالخطأ عارض لهم لا محالة. ولكن هذا الخطأ يجب أن لا يعارض عقيدته وشريعته وأن لا يهدمهما كما سبق تقرير وجوب صحة ذلك في الأسس السابقة. فما دام لم يعارض خطأه هذين الجانبين تأتى لنا إيجاد العذر له.

فعرف من هذا أن وقوع الخطأ في حق أهل الله الصادقين لا يوجب إسقاطهم لبقاء ولايتهم بمراعاتهم وحفاظهم على شروط الولاية. ومن هنا أيضا، اتضح أن موضع حسن الظن بأهل الله عند الإمام السنوسي إنما هو في حق من استوفى شروط الولاية الأربعة التي هي التمكن في أصول الدين، والتمكن في أحكام الشريعة، والتخلق بالأخلاق المحمودة التي يدل عليها الشرع والعقل، وملازمة الخوف أبدا لأنه لا يدري أنه من فريق السعادة في الأزل أو من فريق الشقاوة.[٤١]

ويدل على وجوب مراعاة شروط الولاية في الأخذ بمبدأ التسليم وحسن الظن ما نقله الإمام السنوسي عن الإمام جمال الدين الغرناطي[٤٢] عندما يوصي أصحابه ويقول لهم: "من ثبتت إشارته ودلت عبارته ولاحت ولايته لا ينبغي الإنكار عليه في جل أفعاله كيف ما

---

[٤٠] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص٨.

[٤١] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٧٦–٧٧.

[٤٢] لم يقف الباحث على ترجمته.

كانت."[٤٣] ولا شك أن نقل الإمام السنوسي لهذا النص مستشهدا به يعتبر إقرارا منه على صحة مضمونه. فعدم الاعتراض وتحسين الظن والاعتقاد عند الإمام السنوسي إنما هو في حق الصوفية الذين تحققوا بشروط الولاية.

وأما الفقه فأصله وأسه عند الإمام السنوسي البحث والتحقيق والتدقيق والإتيان بالأدلة التي تساند هذا القول المعيّن أو تعانده وتُظهر خلله خطأه. وبعد ذلك، إذا تبين الدليل المؤيد لهذا القول وتحقق وجود الصارف لتلك الحجج المعارضة له، فحينئذ يجب الأخذ بذلك القول والفقه.

هذا، وقد لخّص الإمام أحمد زروق هذه القاعدة الصوفية المهمة وأوضح سبيل تطبيقها بقوله: "مبنى العلم على البحث والتحقيق، ومبنى الحال على التسليم والتصديق؛ فإذا تكلم العارف من حيث العلم نظر في قوله بأصله من الكتاب والسنة وآثار السلف؛ لأن العلم معتبر بأصله. وإذا تكلم من حيث الحال سلم له ذوقه؛ إذ لا يوصل إليه إلا بمثله، فهو معتبر بوجدانه. فالعلم به مستند لأمانة صاحبه، ثم لا يقتدى به لعدم عموم حكمه إلا في حق مثله."[٤٤]

فتبين بهذا أن حسن الظن بأهل الله الصادقين معمول به في التصوف خصوصا فيما يتعلق بأحوالهم وأذواقهم ومكاشفاتهم. وأما ما كان في التصوف مما يتعلق بالفقه والعلم والمعاملة فلا بد فيها من الاعتماد على الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح. وأهل التصوف الحق مثل الإمام السنوسي كانوا على بصيرة بهذا التفريق؛ لذا أتقنوا علوم الشريعة أيما إتقان حتى يستطيعوا التمييز بين الشيوخ الملتزمين بالشريعة وبين المدعين، وبعد أن تحققوا من استقامة شريعة هؤلاء الشيوخ وصحة عقيدتهم سلّموا الأمر إليهم لأجل حسن شريعتهم وحسن اعتقادهم. فكان حسن ظن الصوفية تجاه شيوخهم مبني على حسن عقيدة وشريعة شيوخهم. وبهذا ظهر التوفيق بين حسن الظن الصوفي وبين حسن الاعتقاد في الله.

---

[٤٣] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص٧.

[٤٤] زروق، **قواعد التصوف**، ص٧٤.

**الأس الخامس: وجوب اتخاذ الشيخ المربي**

يرى بعض الناس أن دراسة الكتب ومطالعتها وقراءة البحوث والإنجازات في مجال التصوف كافية لتؤهله كمتخصص في التصوف. وهذا في الحقيقة غير مقبول ولا معقول؛ إذ لا تتصور معرفة معالم طريق وعقباتها ممن لم يسلكها. وكيف تتصور معرفة علم الطب ممن يكتفي بقراءة كتبه وما عالج مريضا قط؟ وإذا عرفه بذلك فمعرفته ناقصة وغير معتد بها عند المتخصصين في مجال الطب.

وكذلك التصوف الذي هو بمثابة دواء أمراض القلوب، والاشتغال بهذا العلم الذي هو السير إلى ملك الملوك. فلا بد للمريد السالك من الدليل والطبيب.[٤٥] وقد اختصر هذا المعنى صاحب "المباحث الأصلية" حيث قال:

وَالسَّفَرُ الْمَذْكُورُ بِالْقُلُوبِ *** وَالشَّيْخُ فِي مَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ

قال الإمام ابن عجيبة (ت. ١٢٢٤هـ) من الصوفية المتأخرين عند شرحه لهذا البيت: "وكما أن الشيخ بمنزلة شيخ الركب في معرفة الطريق، هو أيضا بمثابة الطبيب للذوات، فهو طبيب القلوب بما علم وعرف من أحوالها وعالج من أمراضها، ربما شاهد وذاق من أنوارها وأسرارها."[٤٦]

ثم مما لا شك فيه أن أغلب الناس مصابون بأمراض القلوب من الرياء والحقد والحسد والإعجاب بالنفس وغير ذلك، ومعالجة هذه الأمراض من فروض الأعيان عند علماء الآخرة كما سبقت الإشارة إليه[٤٧]، واجتناب مكايد الشيطان في تمكين هذه الأمراض صعب للغاية. إذن لا بد من شيخ يربيه ويدله على سواء السبيل كما قال الإمام الغزالي: "المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيل. فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه، قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة... ويكون

---

[٤٥] وممن أشار إلى هذا المعنى جلال الدين الرومي حيث قال: "إذا أردت علاج علل نفسك فاتخذ شيخا." ينظر: William C. Chittick, *The Sufi Path of Love: The Spiritual Teachings of Rumi* (Albany: State University of New York Press, ١٩٨٣), p١٣٨.

[٤٦] أحمد بن محمد ابن عجيبة، **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)، ص١٠٧.

[٤٧] الغزالي، **الإحياء**، ج١، ص٨٠.

المريد المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها؛ فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر، وإن أثمرت فمرٌ ثمرها، فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد."[٤٨]

فتبين من خلال هذا النقل أن اتخاذ الشيخ المربي من ضرورات سلوك طريق التصوف ولوازم متبغي التمكن والتخصص في هذا المجال، وأن التمسك بهذا الشيخ البصير بطريق الآخرة ومكايد النفس والشيطان واجب، وهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ لأن تزكية النفس من أمراضها واجبة، ولا سبيل إلى ذلك عادةً إلا بمساعدة شيخ مرشد. وقد قرر فرضية اتخاذ الشيخ المربي كل من الغزالي والعز بن عبد السلام (ت.٦٦٠هـ) والسبكي (ت.٧٧١هـ) والسيوطي (٩١١هـ) من الشافعية، وشيخ الإسلام الهروي[٤٩] (ت.٤٨١هـ) وابن النجار[٥٠] (ت.٩٧٢هـ) من الحنابلة، وزروق الفاسي والناصر اللقاني[٥١] (ت. ٩٥٨هـ) من سادات المالكية، وخير الدين الرملي[٥٢] (ت.١٠٨١هـ) والحموي[٥٣] (ت.١٠٩٨هـ) من السادة

---

[٤٨] الغزالي، *الإحياء*، ٥: ٢٦٦.

[٤٩] هو شيخ الإسلام الإمام الحافظ الزاهد أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي. من ذرية أبي أيوب الأنصاري. صاحب كتاب منازل السائرين الذي شرحه ابن قيم الجوزية. كان حافظا للحديث وبارعا في اللغة وآية في التصوف والوعظ. تنظر ترجمته في: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **طبقات الحفاظ** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣)، ص٤٤٠.

[٥٠] هو تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي المصري. قال عنه الإمام الشعراني: "صحبته أربعين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه، وما رأيت أحدا أحلى منطقا منه ولا أكثر أدبا مع جليسه." تنظر ترجمته في: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ج٦، ص٦.

[٥١] هو الإمام العلامة المحقق النظار الفهامة أبو عبد الله محمد بن حسن الشهير بناصر الدين اللقاني. إليه انتهت رئاسة العلم بمصر. من مؤلفاته حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع وحاشية على شرح التفتازاني على العقائد النسفية. تجرد في آخر عمر وتصدق بماله. تنظر ترجمته في: مخلوف، **شجرة النور**، ج١، ص٣٩٢.

[٥٢] هو الشيخ الفقيه خير الدين بن أحمد بن علي الأيوبي العليمي الفاروقي الرملي من أهل الرملة بفلسطين. من أشهر كتبه الفتاوي الخيرية وكتاب مظهر الحقائق وحاشية على البحر الرائق في الفقه الحنفي. تنظر ترجمته في: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص٣٢٧.

[٥٣] هو الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد مكي الحسيني الحموي. من علماء الحنفية وتولى إفتاء الحنفية. صنف كتب كثيرة منها غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر لابن نجم، ونفحات القرب والاتصال، وشرح منظومة ابن شحنة في التوحيد، وتذييل وتكميل لشرح البيقونية. تنظر ترجمته في: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٢٣٩.

الحنفية.[٥٤] وبلغ اهتمام أهل التصوف والطريق بهذا الأصل العظيم إلى حد الإجماع على وجوبه.[٥٥] وحذروا الناس من الاستبداد بأنفسهم وعدم اتخاذ الشيخ المربي، فقال أحد رجالهم وهو أبو يزيد البسطامي (ت.٢٦١هـ): "من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان."[٥٦]

وإمامنا السنوسي ممن يقول بوجوب اتخاذ الشيخ المربي، وأن الاكتفاء بالكتب لا يصح في هذا المجال. قال في نصرة الفقير: "وأما الاكتفاء بالكتاب في سلوك الطريق دون شيخ ولا رؤيته؛ أما الاكتفاء بالكتب في سلوك الطريق فقد وقعت مشاجرة بين فقهاء الأندلس، وكتبوا بذلك كتابا إلى الشيخ الصوفي العالم الحافظ القدوة شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة أبي عبد الله محمد بن عباد رضي الله عنه، فأجاب: "إن ذلك باعتبار الأحوال؛ فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب لمن له عقل وذكاء، وإلا فلا. وشيخ التربية واجب متأكد،...."[٥٧] أنه إن قارب المنازل بلا شيخ لا تفارقه رعونة نفسه ولا غواية ولا شيطانية وإن بلغ ما بلغ." وقد ذكر الشيخ العارف بالله أبو حامد الغزالي في بداية الهداية له أن المريد إذا لم يكن له شيخ فلا يجيء منه شيء، كالشجرة إذا نبتت بنفسها لم تنبت ولا يتم نتاجها."[٥٨]

فهم الباحث من هذا النص أن الإمام ابن عباد كان يفرق بين ضرورة الشيخ في التعلم وضرورته في التربية والسلوك، فقال بالضرورة المطلقة في الثاني دون الأول. وعلّل ذلك بكون الإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة فإنه لا يأمن رعونة نفسه وغواية الشيطان. فلذلك يتحتم اتخاذ الشيخ في مجال التربية والسلوك حتى يسلم من هذه الأمور. فالنظر في هذه المسألة –عند ابن عباد– منصب إلى أحوال الشيخ؛ هل هو شيخ التعليم أم شيخ التربية؟ إذا كان شيخ التعليم فقد يستغنى عنه عند العاقل اللبيب، وإذا كان شيخ التربية فملازمته واجبة على المريد.

ثم أتبع الإمام السنوسي هذا الرأي بقوله: "قلت: وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لأن التقوى معلومة والسنة مشهورة. وخبايا النفوس وتحف الحق غير معقولة ولا معروفة، ولا بد من

---

[٥٤] عبد المحمود بن نور الدائم الطيبي، **روض المعاني ومجالس الأنس والتهاني شرح الحكم الطيبية**، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: كتاب ناشرون، ٢٠١٩)، ص٢٢٦.

[٥٥] المرجع نفسه، ص٥٤-٢٢٦.

[٥٦] القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج٢، ص٥٧٤.

[٥٧] كلمة غير واضحة في جميع النسخ.

[٥٨] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص٧.

عالم بالله وبطريقه ويرجع إليه في معالمها. وأصل ذلك رجوعه عليه الصلاة السلام في عرض ما أتحف في مبادئ الوحي على ورقة بن نوفل رضي الله عنه حيث كان عالما بذلك. والله أعلم."[٥٩]

وإذا أمعن القارئ نظره في هذا النص تبين له أنه لم يتوافق ولم يترابط مع ما سبق في كلام الإمام ابن عباد وإن كان مضمونه يحوم حول وجوب اتخاذ الشيخ المربي. ولعل هناك احتمال سقوط فقرة عند نسخ هذا الكتاب على أيدي النساخ، أو أن الإمام السنوسي كان ينقل من غيره فسقطت منه فقرة بين النصين المنقولين آنفا.

ويتقوى ظن الاحتمال الأول حينما يتصفح الباحث كتاب "عدة المريد الصادق" للإمام زروق حيث يتبين من خلاله أنه يوجد نص لابن خلدون بعد كلام ابن عباد وقبل قوله "وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لأن التقوى معلومة والسنة مشهورة.. الخ". وإليك أيها القارئ نص ابن خلدون: "وأجاب ابن خلدون بأن ذلك يختلف باختلاف المجاهدات؛ فمجاهدة التقوى لا يحتاج فيها إلى شيخ، ووجوده أحسن. ومجاهدة الاستقامة يكون فيها ذلك. ومجاهدة الكشف -أعني تجريد الحقيقة النفسانية لتمكين الحقيقة الإيمانية- هو فيه واجب؛ لعدم العلم بهما ولما يطرأ فيهما من شبه ووقائع."[٦٠] ثم يأتي بعد هذا الكلام مباشرة ما نصه: "وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه.. الخ"

ولا شك أن انعدام لفظة "قلت" قبل قوله "وهذا هو الحق.." في نص عدة المريد، ووجودها في نصرة الفقير، يدل دلالة واضحة على أن الكلام في الأصل للإمام السنوسي، وإنما نقله الإمام زروق منه. واستفادة العلماء بعضهم بعضا ونقل بعضهم عن بعض من دون إحالة إلى مصدر النقل شيء غير مخفي لدى الباحثين في الدراسات الإسلامية.

وبناء على ما قاله ابن خلدون، اتضح للباحث معنى كلام الإمام السنوسي سابقا؛ وهو أنه رحمه الله تعالى كان يرجح رأي ابن خلدون ويؤيده فقال بأن هذا الرأي هو الحق، وأن النظر في مسألة اتخاذ الشيخ المربي لا بد من أن ينصب إلى أحوال المجاهدات. فمجاهدة التقوى التي هي مجاهدة النفس لأجل أن تختار ما يقيها من الإثم ومما يترتب عليه من عذاب الآخرة كاختيار الإيمان على الكفر واختيار الطاعة على المعصية لا تحتاج فيها إلى شيخ. وعلل ذلك الإمام

---

[٥٩] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص٧.

[٦٠] زروق، **عدة المريد**، ص٤٤١.

السنوسي بأن التقوى معلومة والسنة مشهورة؛ فالطريق فيها واضحة. أما مجاهدة الاستقامة التي هي أن يستقيم الشخص على ما هو خير وأصلح لدينه، وكذا مجاهدة الكشف والترقية التي تتعلق بالمكاشفات والفتوحات، فلا بد فيهما من الشيخ المربي. والسبب في ذلك كما قال الإمام السنوسي أن "خبايا النفوس وتحف الحق غير معقولة ولا معروفة، ولا بد من عالم بالله وبطريقه، ويرجع إليه في معالمها. وأصل ذلك رجوعه عليه الصلاة السلام في عرض ما أتحف في مبادئ الوحي على ورقة بن نوفل رضي الله عنه حيث كان عالما بذلك."[٦١]

هذا ما ينتهي إليه بحث الباحث فيما يتعلق بكلام الإمام السنوسي حول مسألة اتخاذ الشيخ المربي. وكيفما كان الأمر سواء وجدت فقرة ساقطة من كلامه أو لا، فجملة كلامه صريحة في الالتزام بهذا الأس العظيم القائل بوجوب اتخاذ الشيخ المربي في سلوك طريق التصوف. كيف لا يكون ذلك وكلام الإمام كان في صدد اعتراضه على أبي الحسن الصغير الذي قال بالاكتفاء بالكتب في هذا المجال. ولم يوافقه الإمام السنوسي؛ لأنه يخالف ما أجمع عليه أهل الطريق من وجوب التمسك بأصل اتخاذ الشيخ المربي في السلوك كما سبق تقريره آنفا.

هذا، وقد يتسائل بعض الناس ما الذي يجعل الصوفية مجمعين على هذا الأصل؟ وما هو سندهم في هذا الإجماع؟ لعل الجواب لهذا السؤال المهم يكمن فيما قاله الإمام ابن أبي جمرة (ت. ٦٧٥هـ) في كتابه المسمى ببهجة النفوس عند شرحه للحديث الذي رواه الإمام البخاري والذي يحدث فيه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن حال رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أحي والداك؟" قال: "نعم." قال: "ففيهما فجاهد."[٦٢] قال الإمام ابن أبي جمرة: "الوجه العاشر: فيه دليل على أن الدخول في السلوك والمجاهدات، السنة فيه أن يكون على يد عارف به، فيرشده إلى ما هو الأصلح فيه والأسدّ بالنسبة إلى حال السالك؛ لأن هذا الصحابي رضي الله عنه لما أن أراد الخروج إلى الجهاد لم يستبد برأي نفسه في ذلك حتى استشار من هو أعلم منه وأعرف. هذا ما هو في الجهاد الأصغر، فكيف به في الجهاد الأكبر. وهذا أدل دليل لأهل الصوفية المتحققين الذين

---

[٦١] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ص٧.

[٦٢] محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، م ٤ (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٢)، ص٥٩.

لا يدخلون في المجاهدات والسلوك إلا تحت يد شيخ عارف بالسلوك. ويقولون بأن من دخل في ذلك دون شيخ قل أن يجيء منه شيء، وإن جاء فلا يصل إلى مقام المربي ومعرفته وفطنته."[٦٣]

ثم الصوفية الحقة عندما يشترطون للمريد أن يتخذ شيخا صوفيا يربيه في سلوك طريق الآخرة، لم يتركوه يخبط خبط عشواء في اختياره لهذا الشيخ. ولذلك نرى بعضهم يذكرون شروطا وضوابط لمعرفة الشيخ المربي كما فعله الإمام أحمد زروق الفاسي في مقدمة التصوف[٦٤] وفي عدة المريد الصادق[٦٥] والإمام الباجوري (ت. ١٢٧٦هـ) في حاشيته على جوهرة التوحيد.[٦٦] أما إمامنا السنوسي فيمكن استخراج الشروط التي يجب توفرها عنده في الشيخ المربي من خلال شروط الولاية الأربعة التي سبق ذكرها في الأس الرابع، ثم تنضاف إليها الأسس الخمسة التي ناقشها الباحث في هذا الفصل. فتحصل للشيخ المربي تسعة شروط حسبما وقف عليه الباحث من كلام الإمام السنوسي، وهذه التسعة هي:

١. أن يتمكن في أصول الدين.
٢. أن يتمكن في أحكام الشريعة.
٣. أن يتخلق بالأخلاق المحمودة التي يدل عليها الشرع والعقل.
٤. أن يلازم الخوف أبد الدهر.
٥. أن يكون تصوفه مبنيا على العقيدة النقية الصحيحة.
٦. أن يقدم السنة في جل أفعاله ويتخذها ميزانا للتصوف الحق.

---

[٦٣] عبد الله بن سعد ابن أبي جمرة الأندلسي، **بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها**، ٣ ط، م ٣ (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ص١٤٦.

[٦٤] ذكر فيها خمسة شروط ينبغي تحققها في الشيخ المقتدى به. ينظر تفصيلها في: أبو العباس أحمد زروق، **مقدمة التصوف وحقيقته ونتيجته**، تحقيق نزار حمادي (تونس: دار الإمام ابن عرفة، د.ت)، ص٢٧.

[٦٥] قسم فيه الشيوخ إلى ثلاثة أصناف، وذكر لكل صنف شروطا ثلاثة. ينظر تفصيل ذلك في: زروق، **عدة المريد**، ص٣٩٥–٩٩.

[٦٦] قال الإمام الباجوري: "وإذا كانت المجاهدة على يد شيخ من العارفين كانت أنفع لقولهم "حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل" فينبغي للشخص أن يلزم شيخا عارفا على الكتاب والسنة بأن يزنه قبل الأخذ عنه؛ فإن وجده على الكتاب والسنة لازمه وتأدب معه، فعساه يكتسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه، والله يتولى هداه." ينظر: إبراهيم بن محمد الباجوري و محمد علي جمعة، **تحفة المريد على جوهرة التوحيد** (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٢)، ص٣٤١.

٧. أن يجمع بين الحقيقة والشريعة، فلا يكتفي بإحداهما دون الأخرى.

٨. أن يحسن الظن بأولياء الله، فيتحرى حمل كلامهم المشكل على محمل صحيح موافق للشريعة.

٩. أن يكون قد سلك الطريق تحت يد شيخ مربي قبل أن يتأهل لتربية مريديه.

وبهذا يعرف الشخص أن اتخاذ الشيخ في التربية وسلوك طريق التصوف أصل عظيم ومهم عند جميع الصوفية –ومن بينهم إمامنا السنوسي– وأنه لا ينبغي أن يُتخذ ذريعة للتمشيخ، بل يجب أن تراعى فيه الشروط التي ذكرها الصوفية. والباحث لا يتردد في أن الإمام السنوسي نفسه قد استجمعت له هذه الشروط وتأهل ليكون شيخا للتربية. وذلك بما لاح للباحث من مجموع كلامه المقرّ والمؤسس للأسس الخمس السابقة، وإضافة إلى ذلك ما قاله تلميذه البار من أن الإمام قد تحققت فيه شروط الولاية الأربعة التي نقلها من الإمام ابن دهاق وأقره. قال الملالي في المواهب القدوسية: " قلت: ولا خفاء أن الشيخ رضي الله تعالى عنه قد خصه الباري سبحانه بهذه الشروط الأربعة وزاد عليها زيادة لا يمكن وصفها ومنحه سبحانه معارف ربانية وأنوارا إلهية حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة."[٦٧]

وخلاصة القول في هذا الفصل، أن التصوف الصحيح في نظر الإمام السنوسي هو التصوف الذي يتأسس على قاعدة العقيدة النقية الصحيحة، ويجعل السنة شِرْعَتَه ومنهاجه، ويقول بوجوب ملازمة الحقيقة للشريعة، ويدعو صاحبه إلى حسن الظن بأهل الله، ويحذّره من سلوك طريق الآخرة بدون شيخ متمكن يرشده إلى سواء السبيل. وبعد هذا التجوال العلمي النفيس في أسس تصوف الإمام السنوسي، ينتقل الباحث إلى مناقشة وجيزة لقضايا عصرية ذات صلة بهذه الأسس. وبالله التوفيق.

## الفصل الثاني: مناقشة قصيرة حول تطبيق أسس التصوف السنوسي في قضايا صوفية معاصرة

ينقسم الكلام في هذا الفصل إلى مبحثين؛ أولهما للكلام عن كيفية تطبيق أسس تصوف الإمام السنوسي في قضايا صوفية نظرية، وثانيهما للكلام عنها في قضايا صوفية عملية.

---

[٦٧] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٧٧–٧٨.

## المبحث الأول: مناقشة قضايا نظرية في التصوف المعاصر

### المطلب الأول: مراتب التوحيد

استشكل بعض الباحثين قول أهل التصوف بأن للتوحيد أقساما ومراتب، وزعموا أن بعض الصوفية يقسمون الناس إلى ثلاثة أقسام وجعلوا لكل قسم من هذه الثلاثة نوعا من التوحيد؛ فقالوا بأن هناك توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة.[٦٨] وقد أُثير هذا الموضوع في ماليزيا في سنة ٢٠١٨ ووُجِّهَ الاعتراض إلى الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي حيث إنه قسم العقيدة في كتابه "الفتوحات المكية" إلى أربعة أقسام[٦٩]؛ وهي "عقيدة العوام من أهل الإسلام" التي هي عبارة عن سرد للمعتقدات الموافقة لمعيار أهل السنة والجماعة من دون تعرض لأدلتها، و"عقيدة الناشية الشادية" التي هي عبارة عن اختصار الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، و"عقيدة خواص أهل الله" وهم أهل الكشف والوجود، و"عقيدة الخلاصة" التي اعتبرها الإمام ابن عربي عِلْمًا حقًّا وقولا صدقا، إلا أنه يعتريه الغموض.[٧٠]

فقام موجّه الاعتراض بطرح سؤال مهم وهو "أي واحدة من هذه العقائد هي التي تمسك بها الإمام ابن عربي؟" وزعم أنه من المستحيل أن يقسم ابن عربي التوحيد على هذه المراتب الأربع ثم يكتفي بعقيدة العوام لنفسه. وقال أيضا بأن هناك تصريحا من الإمام ابن عربي بأنه يلتزم عقيدة الخلاصة، إلا أن المعترض لم يأتِ بأي نص وقع فيه ذلك التصريح.[٧١] ولأجل تبين هذه القضية يجب على الباحث أن يوضح أمورا ثلاثة؛ أولها: هل التوحيد أو العقيدة أو الإيمان يقبل التنويع والترتيب؟ وثانيهما: هل مبادئ تصوف الإمام السنوسي وأسسه تؤيد القول بمراتب التوحيد؟ وثالثها: الجواب عن مشكلة اعتقاد الإمام ابن عربي الحاتمي.

أما سؤال قابلية التوحيد للتقسيم والترتيب فلا بد من إجابته أولًا بجواب شافٍ إذ مسألة مراتب التوحيد عند الصوفية في الحقيقة مبنية على القول بقابلية ذلك. والباحث يرى أن الرجوع

---

[٦٨] *دروس في العقيدة*، ج ٧، تاريخ الوصول ١٨ أكتوبر، ٢٠١٩، https://ketabonline.com/ar/books/٤٣٣٦.

[٦٩] *Diskusi Ibn Arabi: Sidang Kalam - ARG* (UNIRAZAK Jalan Ampang, ٢٠١٨), https://www.youtube.com/watch?v=MbnV٨١٤UJJw.

[٧٠] محمد بن علي محي الدين بن عربي الحاتمي، **الفتوحات المكية**، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب، (تريم: وزارة الثقافة، د.ت)، ج١، ص١٤٠.

[٧١] *Diskusi Ibn Arabi*.

إلى القواعد الكلامية التي أسسها الإمام السنوسي هو خير منهج في هذه المشكلة؛ لأن بذلك يكون الباحث قد طبّق الأس السنوسي القائل بأن التصوف يجب أن يكون مبنيا على العقيدة النقية الصحيحة. ولا شك أن العقيدة التي أعلى الإمام السنوسي رايتها هي عقيدة نقية صحيحة. فالواجب على الباحث في هذا الصدد أن يوضح معنى التوحيد عند الإمام المتكلم أبي عبد الله السنوسي حتى يظهر للباحث والقراء مدى صحة قول أهل التصوف بتعدد أنواع التوحيد ومراتبه، وحتى نعرف هل أولئك الصوفية بنوا مذهبهم على أساس العقيدة النقية أم لا.

إن التوحيد والاعتقاد والعقيدة والمعرفة في نظر الإمام السنوسي كلها تدل على مسمى واحد وهو الإيمان.[٧٢] وإن الإمام السنوسي قد بيّن هذا التوحيد أو الإيمان بأنه معرفة ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله وفي حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام. [٧٣] ثم فسّر هذه المعرفة بقوله: "حقيقة المعرفة الحادثة: الجزم المطابق عن ضرورة أو برهان".[٧٤] يعني بذلك أن الإيمان أولًا هو الجزم على هذه الأمور الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الله ورسله؛ فلا يُقبل فيها ظن ولا شك ولا وهم. وأنه ثانيًا يجب أن يكون مطابقا للواقع؛ فلا يقبل في الإيمان جزمُ شخص على أمر غير مطابق لنفس الأمر، وهو الذي يقال له جهل مركب. وأنه ثالثًا يجب أن يكون منشأ هذا الجزم وسببه أحد أمرين وهما الضرورة أو البرهان. ويعني بالضرورة هنا الجزم

---

[٧٢] يفهم الباحث ترادف هذه الكلمات من خلال دراسته لكتب الإمام السنوسي في علم الكلام، فيجد الإمام كان يستعمل لفظة "العقيدة" في جل سلسلة كتبه العقدية كالعقيدة الكبرى والعقيدة الوسطى والعقيدة الصغرى، ولا شك أن هذه الكتب تبحث عن القضايا الإيمانية. وأما مصطلح "التوحيد" فقد استعمله الإمام في العقيدة الكبرى حيث عنونها باسم آخر وهو "عقيدة أهل التوحيد"، كما أن الإمام استخدم أيضا هذا المصطلح ومصطلحي "الاعتقاد" و"المعرفة" في صدد كلامه عن حكم إيمان المقلد. فاستخدامه لهذه المصطلحات لمؤدى واحد يدل على ترادفها. ومن صور استخدامه لها قوله في شرح العقيدة والوسطى (ص١٥٠): "أن المعرفة فرض على الأعيان وأنها نفس الإيمان كما يقوله الشيخ الأشعري"، وقوله في شرح العقيدة الكبرى (ص١٤٢): "اختلفوا في الاعتقاد الصحيح الذي حصل بمحض التقليد.."، وقوله فيه (ص١٤٤): وفي وجوب المعرفة على الأعيان بالدليل الإجمالي.." وقوله: "أن التقليد لا يكفي في العقائد"، وقوله فيه (ص١٤٦): "التقليد في علم التوحيد محال". ينظر: السنوسي، **شرح الكبرى**، ص٨١-١٤٢-١٤٤-١٤٦؛ السنوسي، **شرح الوسطى**، ص١٥٠.

[٧٣] محمد بن يوسف السنوسي، **شرح صغرى الصغرى**، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي (دمشق: دار التقوى، ١٤٤١)، ١٢٦.

[٧٤] المرجع نفسه، ص١٢٦.

الذي يحصل بإلجاء الله النفس على ذلك، فلا تجد النفس سبيلا لتشكيكه. ويعني بالبرهان الدليل المركب من مقدمات قطعية ضرورية في نفسها أو منتهية في الاستدلال عليها إلى علوم ضرورية.[٧٥] وعلى هذا، لم يسمَّ جزم المقلد معرفة وإن كان مطابقا لما في نفس الأمر؛ لأنه لم ينشأ عن ضرورة أو برهان.

ومن خلال هذا التعريف للمعرفة –التي هي مرادفة للتوحيد والإيمان– يمكن للباحث أن يقول بأن التوحيد عند الإمام السنوسي يتكون من أمور ثلاثة وهي "الجزم" و"المطابقة للواقع" و"الضرورة أو البرهان"، وأن النظر إلى المكوّنين الأوّلين للتوحيد يفيد الباحث أنهما لا يقبلان التنويع؛ فإن "الجزم" في حد ذاته شيء واحد لا يقبل تقسيما كما أن "المطابقة" كذلك. وإذا وقفنا إلى هذا الحد فهمنا أن التوحيد لا يقبل التقسيم فضلا عن أن يقبل وجود المراتب التي لا تتصور إلا بعد قبول التوحيد للتقسيم والتنويع. ولكن النظر إلى الجزء الأخير من مكونات التوحيد الذي هو "الضرورة أو البرهان" يعطي للباحث نتيجة مخالفة لما سبق حيث إن كلمة "أو" التي وردت في هذا التعريف تفيد التنويع. ومن ثم، تفيد هذه اللفظة أن هناك جزءا من مكونات التوحيد قابلا للتقسيم. ويترتب على قبوله للتقسيم والتنويع قبول هذه الأقسام والأنواع للترتيب، فصح بذلك وجود المراتب للتوحيد عند الإمام السنوسي.

ثم وجود التنويع والتقسيم في "الضرورة" و"البرهان" دون "الجزم" و"المطابقة" يدل على أن اختلاف أنواع التوحيد واختلاف مراتبها لا يعني اختلاف المعتقدات بين أصناف المؤمنين؛ لأن المطابقةَ الحاصلةَ بالجزم والواقعةَ على ما في نفس الأمر لا تتغير ولا تقبل التغيير، وإنما الذي يقبل التغير والتعدد هو الأدلة والطرق التي نشأ وتسبب منها ذلك الجزم. فحينئذ يكون اختلاف أنواع التوحيد ومراتبه باختلاف الحجج والطرق الموصلة إليه. وقد أشار الإمام السنوسي إلى وجود المراتب في التوحيد بسبب تنوع الطرق الموصلة إليه كطريقة العيان وطريقة البرهان، وصرح بأن درجة العيان تفوق درجة البرهان، فقال: "ونحن بالنسبة إلى هذا المقام مقام أولياء الله تعالى وخاصة حضرته على ساحل التمني، نغترف من بحر التوحيد والعرفان الذي خاضوا لجه وغابوا

---

[٧٥] السنوسي، **شرح صغرى الصغرى**، ص١٢٧.

فيه بقدر الإمكان، ونعترف لهم بأن ما هم فيه من درجة العيان أو ما يقرب منها فوق ما الكثير عليه من درجة البرهان."[٧٦]

وبهذا قد استوفى الباحث الإجابة عن السؤال الأول الذي هو "هل يقبل التوحيد التقسيم والترتيب؟" ولا يخفى للمتأمل أن هذه الإجابة تتضمن أيضا جوابا للسؤال الثاني الذي هو "هل أسس تصوف الإمام السنوسي تعضد فكرة وجود المراتب في التوحيد؟" ويضيف الباحث هنا أسًّا آخر للإمام السنوسي في تصوفه، يؤيد هذه الفكرة. وهذا الأس هو الأس الثاني القائل بوجوب اتخاذ السنة ميزانا للتصوف الصحيح؛ فإن فكرة مراتب التوحيد فكرة مستخرجة من النصوص الشرعية النبوية. وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم الإيمان على عدة شعب، وصنف هذه الشعب على مراتب، فعدّ بعضها من أعلى شعب الإيمان وبعضها من أدناها. أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان."[٧٧] فهذا نص صريح في وجود المراتب للإيمان، وقد سبق بيان ترادف الإيمان للتوحيد والعقيدة.

ثم هذه المراتب والأنواع للإيمان والعقيدة لا تعني أنه لا يمكن جمعها في شخص واحد؛ فقد يكون الشخص يشهد بكلمة لا إله إلا الله، ويبعد الأذى عن الطريق، ويتصف بخُلق الحياء. ومثله يقال في توحيد البرهان وتوحيد العيان؛ فقد يجمع الشخص بين المنح الإلهية في التوحيد وبين معرفته بالأدلة العقلية والنقلية. وكذلك قد يتكلم الشخص بـ"عقيدة العوام من أهل الإسلام" مجردة عن الدليل، وقد يتكلم هو نفسه بـ"عقيدة الناشية الشادية" التي هي طريقة المتكلمين، وقد يكون في قلبه أيضا "عقيدة خواص أهل الله" التي تتلقى من طريق الكشف. فلا مانع من الجمع بين هذه المراتب لكون الاختلاف في الطرق والوسائل لا يوجب الاختلاف في الغايات والمقاصد. وبهذا يمكن للباحث أن يجيب عن السؤال الثالث القائل "أيّ واحدة من هذه العقائد تعتبر عقيدة الإمام ابن عربي؟" بأنه لا يلزم أن يلتزم الإمام ابن عربي بعقيدة واحدة ما دام الجمع بينها متسعا. ثم يزيد الباحث بيانا بأن الإمام ابن عربي نفسه قد شهد على نفسه

---

[٧٦] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص٧٧.

[٧٧] النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج١، ص٦٣.

وأشهد الله وملائكته وجميع خلقه ومن سمع منه وقرأ كتابه "الفتوحات المكية" بأنه يقول ويعتقد جميع ما ضمّنه "عقيدة العوام من أهل الإسلام".[٧٨] فثبتت بهذه الشهادة عقيدته واتضح بما أسلفه الباحث صحة نظرية مراتب التوحيد عند الصوفية عموما وعند الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي على سبيل الخصوص.

هذا، وقد قال بنظرية مراتب التوحيد كبار الصوفية الذين شهد الفقهاء بولايتهم ورسوخهم في الدين، ومن بينهم سيد الطائفة الإمام أبو القاسم الجنيد البغدادي (ت. ٢٩٨هـ) والإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ). فقال الجنيد بأن للتوحيد أربعة أوجه؛ توحيد للعوام، وتوحيد لأهل الحقائق بعلم الظاهر، وتوحيدان للخواص من أهل المعرفة. وتفصيل القول في هذه الأربعة كما يلي:

١. توحيد العوام: يكون بإقرار الشخص وحدانية الله تعالى بسبب ذهاب رؤيته للأرباب والأنداد والأضداد والأشكال والأشباه، وفي الآن نفسه يسكن إلى ما يعارضه من الرغبة والرهبة اللتين صدرت ممن سوى الله.
٢. توحيد أهل الحقائق بعلم الظاهر: يكون بإقرار الشخص وحدانية الله تعالى بسبب ذهاب رؤيته للأرباب والأنداد والأضداد والأشكال والأشباه، مع إقامته لأوامر الله وانتهائه عن نواهيه في الظاهر.
٣. الوجه الأول من توحيد الخواص: يكون بإقرار الشخص وحدانية الله تعالى بسبب ذهاب رؤيته لتلك الأشياء، مع إقامته لأوامر الله وانتهائه عن نواهيه في الظاهر والباطن.
٤. الوجه الثاني من توحيد الخواص: يكون الشخص في هذه الحالة شبحا قائما بين يدي الله وليس بينهما ثالث. وتجري عليه تصاريف تدبير الله، وهو في مجاري أحكام قدرة الله وفي لجج بحار توحيده بسبب الفناء عن نفسه وعن دعوة الحق

[٧٨] الحاتمي، **الفتوحات**، ج١، ص١٣٦-١٣٩-١٤٠.

له وعن استجابته له. وذلك سبب شهوده لحقائق وجود وحدانية الله في حقيقة قربه.[٧٩]

أما الغزالي فإنه قسم التوحيد إلى أربع مراتب أيضا، وهي قشر القشر، وقشر، ولبٌّ، ولب اللب. وتفصيلها عنده كالآتي:

١. قشر القشر: وهو الموحّد بمجرد اللسان بأن يقول "لا إله إلا الله" وقلبه غافل عنه أو منكر له. وذلك كتوحيد المنافقين. وهذا هو المرتبة الأولى للتوحيد.
٢. القشر: وهو الموحّد بمعنى أنه معتقد ومصدق بقلبه مفهوم لفظه ويخلو قلبه عن تكذيب معاني ما يلفظ به. وهو المرتبة الثانية من التوحيد، يدخل فيها المتكلمون.
٣. اللب: وهو الموحّد الذي لم يشاهد إلا فاعلا واحدا؛ إذ قد انكشف له الحق كما هو عليه. ولا فاعل بالحقيقة إلا واحد. وهذا هو مقام المقربين؛ يرون أشياء كثيرة، ولكن على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.
٤. لب اللب: وهو الموحد الذي لا يرى في الوجود إلا واحدا.وهذا في نظر الإمام الغزالي هو مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد. وهذه المرتبة هي الغاية القصوى في التوحيد.[٨٠]

فظهر بهذا أن تقسيم التوحيد ووضع المراتب له ليس بغريب عند أكابر أهل التصوف، ولهم في ذلك مبررات وتفاسير واعتبارات كما بيّنها الباحث فيما يتعلق بتقسيم الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي للتوحيد. وكذا يتضح للقارئ بما أوضحه الباحث في هذه القضية أن فهم الصوفية للعقيدة كان مبنيا على أساس العقيدة الصحيحة، وهو يدل على صحة التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي وإمكانية تطبيق أسس تصوف السنوسي على آراء غيره من العلماء.

## المطلب الثاني: الكرامة والمكاشفة والعلم اللدني

---

[٧٩] أبو القاسم الجنيد البغدادي، **رسائل الجنيد**، تحقيق علي حسن عبد القادر (القاهرة: برعي وجداي، ٢٠٠٣)، ص٦١–٦٢.

[٨٠] الغزالي، **الإحياء**، ج٨، ص٢٠٢–٤.

قامت إحدى الولايات في الدولة الماليزية بإظهار فتوى تتضمن أوصافا للفرق الضالة التي تخالف مناهج أهل السنة والجماعة في عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم. وهذه الأوصاف وإن كانت أغلبها موافقة للقواعد العلمية إلا أن بعضها تحتاج إلى إعادة نظر وزيادة تأمل لئلا يقع المتمسك بهذه الفتوى في ورطة الحكم ببطلان ما هو حق في نفس الأمر. فمن الأوصاف التي ذكرت في هذه الفتوى وتدعو إلى ضرورة تفصيلها وتبيينها دعوى معرفة الغيب.[٨١]

فهل معرفة الغيب فعلا أمرٌ لا يتأتى لجنس البشر؟ وهل كل من يدعي معرفة شيء لا يظهر للآخرين كان ضالا مضلا؟ وهل دعوى الصوفية حصول المكاشفة أو العلم اللدني يعتبر من قبيل الدعاوي الباطلة أيضا؟ لأجل توضيح هذا الأمر يرى الباحث لزاما أن يبحث هذه القضية تحت ضوء أسس تصوف الإمام السنوسي، ويرى أن أفضل الطرق للوصول إلى الحق في القضية أن يناقشها وفق هاتين النقطتين؛

- النقطة الأولى: مناقشة مفهوم الكرامة عند الإمام السنوسي حتى نعرف هل معرفة الغيب تصح أن تكون كرامة للولي الصادق، أو تلك أمر ليس إليه سبيل، فيكون كل من ادعى ذلك فهو كاذب، وهو من ساحة الولاية بعيد.
- النقطة الثانية: مناقشة مفهوم المكاشفة والعلم اللدني عند الإمام السنوسي لنعرف هل هي تعتبر من الكرامات.

عرّف الإمام السنوسي الكرامة بأنها "عبارة عن ظهور خارق للعادة على يد عبد ظاهر الصلاح ليس بنبي في الحال ولا في المآل."[٨٢] يتبين من خلال هذا التعريف أن الكرامة هي ظهور أمر مخالف للأمر المعتاد في هذا العالَم كالمشي على الماء الذي عادته عدم إمكان ذلك. وتختلف الكرامة عن المعجزة من حيث إن الكرامة لا تقترنها دعوى النبوة والمعجزة تقترنها هذه الدعوى.[٨٣] ثم ينبغي التركيز في هذا التعريف الذي قدّمه الإمام على قوله "على يد عبد ظاهر الصلاح" لأن به يخرج السحر والاستدراج من دائرة الكرامة؛ فإنهما وقعا على يد الأشقياء

---

[٨١] Jabatan Kemajuan Islam Malaysia (JAKIM), "Ciri-Ciri Ajaran Sesat Yang Menyalahi Pegangan Ahli Sunnah Wal Jamaah", *e-Sumber Maklumat Fatwa* (blog), ١٩ مارس ٢٠٢٤, http://e-smaf.islam.gov.my/e-smaf/index.php/main/mainv١/fatwa/pr/١١٤٣٩.

[٨٢] السنوسي، **شرح الكبرى**، ص٥٥٥.

[٨٣] المرجع نفسه، ص٥٥٥.

كالدجال وفرعون والجهلة الضالين المضلين.[٨٤] وبهذا، يعرف أن صلاح الإنسان له وزنه وقيمته عند الإمام السنوسي في اعتبار كون الخارق كرامة أو لا. ويربط الإمام هذا الصلاح بمتابعة الرسول والاقتداء به حيث قال: "والولي إنما يظهر على يده ما يظهر من الكرامات ببركة متابعته للرسول والاقتداء به."[٨٥] وإلى هذا الحد من البيان والتفصيل، أدرك الباحث أن لمعرفة علم الكلام والعقيدة أهمية بالغة في بناء مفهوم صحيح لقضية الكرامة، كما أن الباحث أيضا أدرك من خلال ما سبق ضرورة انبناء الكرامة على أصل متابعة السنة. وهذان الأمران هما من مقومات التصوف السنوسي وأسسه. وبقي للباحث هنا أن يناقش قضية دخول معرفة الغيب ضمن مسمى الكرامة.

حقيقةً أن الفتوى التي تقول بهذا الوصف وتدعي أنه وصف للفرق الضالة –مع احترام الباحث للجنة الفتوى المذكورة– قد أجملتْ في ذكر هذا الوصف وأطلقتْ فيه، والحال أنه يقتضي التفصيل؛ لأن أمر الغيب الذي يمكن للشخص معرفته من طريق خرق العادة قد يكون متعلقا بقضايا إيمانية مثل معرفة كفر شخص متستر باسم الدين نفاقا، وقد يكون متعلقا بغيرها من القضايا كمعرفة سر شخص وحديث نفسه وعمله عند خلوه بنفسه في بيته. وكيفما كان الأمر فمعرفة الغيب داخلة تحت مسمى خرق العادة، وقد وقع هذا الخارق للنبي، فلا مانع من وقوعه للولي المتبع له عملا بقاعدة "ما صح معجزة للنبي صح كرامة للولي"[٨٦]. وقد أشار الإمام السنوسي إلى هذا المعنى حيث قال: "ومذهب المحققين جواز وقوع الخوارق كلها على يد الولي باختياره وبغير اختياره."[٨٧] وعليه، يصح أن تكون معرفة الغيب كرامة لشخص ما بشرط ظهور الصلاح في نفسه، وذلك يعلم ويوزن بقدر اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم عملا بالأس الثاني

---

[٨٤] المرجع نفسه، ص٥٥٦.

[٨٥] السنوسي، **شرح الكبرى**، ص٥٥٥.

[٨٦] مما يدل على صحة هذه القاعدة قول إمام الحرمين الجويني: "وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعها كرامة لولي... وهذه الطريقة غير سديدة أيضا. والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات." ينظر: عبد الملك بن عبد الله الجويني، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تحقيق محمد يوسف إدريس و بهاء أحمد الخلايلة (الأردن: دار النور المبين، ٢٠١٦)، ٣٣٤.

[٨٧] السنوسي، **شرح الكبرى**، ص٥٥٥.

للتصوف السنوسي القائل بوجوب اتخاذ السنة ميزانا لمعرفة أهل الله الحقيقيين. فمن يدعي كرامة معرفة الغيب ولم يكن متبعا للنبي ومقتديا به ولم يلازم شريعته فهو إلى السحر والاستدراج أقرب.

ثم ينتقل الباحث إلى النقطة الثانية فيقول: إن قضيتي المكاشفة والعلم اللدني قريبتان من قضية معرفة الغيب. وذلك لأن الإمام الملالي تلميذ الإمام السنوسي قد سجّل لنا أحداثا تدل بجملتها على أن مكاشفة الغيب الذي لا يتعلق بالقضايا الإيمانية قد وقعت لشيخه السنوسي. من ذلك أنه كان يخرج هو ووالده مع شيخه الإمام السنوسي فأدركهم وقت الصلاة في الطريق ولم يجدوا ماء للوضوء، فبدأ الملالي ووالده يبحثان عن عين ماء في جنان كثير في طريقهم، وبعد طول البحث أيسا منه. فقال الشيخ: "ولعلنا نجد الماء في هذا الجنان." ثم مشى في طريق صغير داخل الجنان وكان الطريق مملوءا بالأشجار والأشواك، ووصل أخيرا إلى عين ماء فتبسم.[٨٨] ومن ذلك أيضا أن رجلا عزم على السفر عبر البحر إلى مكة لأجل أداء فريضة الحج والتجارة. وكان دأب هذا الرجل السفر عبر البحر للتجارة، ولم يسافر حتى يستأذن الإمام السنوسي ويأذن له. فجاء الشيخ يستأذنه للسفر عبر البحر، فقال له الشيخ: "توكل على الله، ولكن ادع لنا في تلك الأماكن الشريفة." فتعجب الرجل من مكاشفته مع أنه لما يخبره بأنه سيسافر للحج.[٨٩]

هذا ما يتعلق بغير القضايا الإيمانية من مكاشفات الإمام السنوسي. وقد وصف الملالي مكاشفة شيخه بأنها "أكثر من أن تحصى"، وأن الإمام السنوسي "إذا ظهر له من هذه الخوارق شيء أخفاه، ولا يكاد يظهر منها شيئا."[٩٠] أما مكاشفة الغيب المتعلق بالقضايا الإيمانية فلم يذكر لنا الملالي شيئا منها وقع لشيخه، ولكنه أورد في الباب السابع من المواهب القدوسية كلاما للإمام السنوسي وضّح من خلاله جواز وقوع مكاشفة الأمور الإيمانية الغيبية للولي الصادق، فقال الإمام عند تناوله لقضية اطلاع الولي لعاقبة أمره في الآخرة ما نصه:

"وقد ثبت من قول جمهور أهل السنة «أن كل ما صح معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي»، وإذا جاز أن يطلع الولي على عاقبة أمره عند جماعة من المحققين جاز أن يطلع على

---

[٨٨] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٣٦.

[٨٩] المرجع نفسه، ص٣٦.

[٩٠] المرجع نفسه، ص٣٦.

عاقبة غيره أحرى. وإنما كان أحرى لسلامته من مفسدة الأمن من مكر الله تعالى التي من أجلها منع بعضهم من اطلاع الولي على عاقبة نفسه، وإن كان هذا الذي علل به غير مسلم؛ لأن الصحابة الذين أطلعهم النبي صلى الله عليه وسلم على عاقبة أمرهم من الفوز برضوان الله تعالى ودخول دار كرامته لم يوجب لهم ذلك أمنا، بل كانوا مع ذلك أشد الناس خوفا وأكثرهم اجتهادا في طاعة المولى تبارك وتعالى. ثم لو كان في اطلاع الولي على عاقبة أمره مفسدة تمنع منه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أحدا من أصحابه رضي الله تعالى عنهم بعاقبة أمره؛ لأن ذلك عين ما منع منه هذا القائل. وإذا عرفت من هذا أن التحقيق جواز اطلاع الولي على عاقبة أمره، عرفت منه جواز اطلاعه عاقبة غيره أحرى؛ إذ لا مفسدة تتوهم في هذا القسم أصلا."[٩١]

ثم يأتي بعده تقريره بأن هذه المكاشفة لا يقع إلا على يد ولي حقيقي، وأنه يعتبر علمًا لدنّيا حاز به هذا الولي وحفظه الله من أن يودع هذا العلم اللدني في غير أهله. قال: "إن الولي محفوظ من أن يودع هذا العلم اللدني في هذه البشارة العظيمة لمن ليس أهلا لها. «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها.» والظلم مناف للولاية التي تنتهي إلى هذا القدر من الكرامة."[٩٢]

يفهم من هذا كله أن معرفة الأمر الغيبي سواء كان غيبيا إيمانيا أو غير إماني تعد نوعا من أنواع المكاشفة والعلم اللدني. والمكاشفة والعلم اللدني نوع من الكرامة. ولما ثبت عند الإمام السنوسي الحكم بجواز وقوع الكرامة بأي خارق من خوارق العادات ثبت أن معرفة الغيب من الأمور التي وجد سبيل للوصول إليها، فليس كل من ادعى ذلك فهو كاذب. ولكن لا بد من الاحتياط والحذر ممن يدعي ذلك؛ لأنه لا يوجد إليه إلا سبيل واحد وهو وقوعه كرامة للولي الحقيقي. وعادة هؤلاء الأولياء الحقيقيين أنهم لم يفشوا هذه الكرامات والمكاشفات بالأمر الغيبي، بل يؤثرون كتمانها وسترها كما سبق أن ذكره الملالي من حال الإمام السنوسي. ويصل الأمر عند طائفة من أكابر الصوفية والمتكلمين إلى حد وجوب ستر الكرامة وإخفائها.[٩٣] لذلك

---

[٩١] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٦١–٦٢.

[٩٢] المرجع نفسه، ص٦٢.

[٩٣] رأى الباحث أن هذا الأمر كذلك لأن القائل بوجوب ستر الكرامة من الولي هو الإمام ابن فورك؛ وهو تلميذ تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري ومن أكابر المتكلمين. ونقل قوله هذا الإمام أبو القاسم القشيري ولم يعقبه بشيء مما يدل على عدم ارتضائه لهذا القول. ومكانة الإمام القشيري عند الصوفية معروفة. وبهذا صار الاتفاق على هذا القول من الجانبين المتكلمين والصوفية. ينظر: القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج٢، ص٥٢١.

وجد الباحث أن الإمام السنوسي قال بأن الولي الذي صدر منه الإخبار بعاقبة أمر غيره لا يكون ذلك منه إلا وهو مغلوب مقهور بالحال الصوفي.[٩٤]

بناء على هذا التوضيح والتفصيل، يمكن للباحث أن يستخلص أن دعوى معرفة الغيب تكون وصفا من أوصاف الفرق الضالة إذا:

١. كان المدعي لم يكن من أهل الصلاح؛ بمعنى أنه لم يتبع النبي ولم يقتد به ولم يلتزم شريعته.
٢. كان المدعي يفضل إفشاء هذه المعرفة الغيبية من كتمانها وسترها كما هو عادة الأولياء الذين منحوا بهذه الكرامة.
٣. كان المدعي ممن يظلم نفسه وغيره؛ لأن الولاية التي تنتهي إلى هذا الحد من الكرامة تنافي الظلم عن صاحبها كما قرره الإمام السنوسي.
٤. كان المدعي ممن لم يستوفِ شروط الولاية التي ذكرت في الفصل السابق. وهذا يفهم من قول الإمام السنوسي بأن اطلاع الغيب إنما يتصور في حق الولي الحقيقي.

هذا، ولم يكن لمثل هذه المكاشفات كثير موقع في رأي الإمام السنوسي. بل إنه كان يصرح في بعض كتبه الكلامية بأن المكاشفة التي يعتد بها هي أن يكشف الله لأوليائه حقائق الأشياء على ما هي عليها في نفس الأمر حتى ينجيهم بها من آفات الكفر والبدع في أصول العقائد. وأما المكاشفة بغير هذا فهي مما لا يلتفت إليها الموفقون.[٩٥] ويقويّ ذلك ما رواه الشيخ الملالي عن شيخه السنوسي أنه قال: "ليست المكاشفة بأن يقول المكاشف لغيره «فعلت كذا وكذا» ويطلع على ما عنده؛ لأن هذا اشتغال بغير الله تعالى، وليس لها كبير موقع. وإنما المكاشفة الحقيقية أن يكاشف عن الله ورسوله بأن يفهم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويفهم ما تضمن كل منهما من الأسرار العقلية والأنوار التوحيدية ويفتح له في علوم غامضة وأفهام دقيقة وحقائق ربانية، وكلما كرر كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تجددت له أفهام وأسرار وحكم وإشارات غير ما فهم أولا. وهكذا لو بقي يتلو أبد الآباد.

---

[٩٤] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٦٤.

[٩٥] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص٢٩١.

فهذه هي المكاشفة الحقيقية التي يزداد الإنسان بها معرفة ومحبة وقربا من الله سبحانه. وهذه المكاشفة لا يعطيها الله تعالى إلا لخاصة أوليائه وأصفيائه."[٩٦]

فهذه المناقشة القصيرة لقضية الكرامة والمكاشفة والعلم اللدني تكشف للقارئ أن المكاشفة يجوز أن يكون في صور معرفة الغيب، ولكن المكاشفة الصوفية الحقيقية في نظر الإمام السنوسي هي التي ترتبط بالأسرار التوحيدية من دقائق معرفة الله ورسوله. وبهذا تبين وجه التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي عند معالجة هذه القضية المعاصرة.

**المطلب الثالث: العلم الذوقي**

بعض الباحثين المعاصرين يرى للذوق الصوفي إشكالا ويرى أنه من المشاعر القلبية التي قد يكون مصدره شرعيا أو بدعيا، وقد يكون كفريا.[٩٧] ويقول بأن الصوفية يجعلون الذوق مصدرا للعلم دون الدليل الشرعي.[٩٨] وهل هذا الذي قاله صحيح أم الذوق الصوفي بريء عن هذه التهم؟ وما موقف الإمام السنوسي من الذوق الصوفي؟

لم يكن موقف الإمام السنوسي من العلم الذوقي موقفا عدائيا، بل الرجل كان ممن يقول به ويشير إليه في كثير من كتبه. فقد وقف الباحث على مصطلح الذوق في كتب الكلامية والصوفية للإمام السنوسي كشرح العقيدة الكبرى[٩٩]، وشرح العقيدة الوسطى[١٠٠]، وشرح العقيدة الصغرى[١٠١]، وفي المواهب القدوسية عند شرحه لقصيدة صوفية مطلعها "رأيت ربي بعين قلبي

---

[٩٦] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص٣٦.

[٩٧] المليح بن عبد الله بن عبد العزيز الكشان، "تمييز المشكل وبيان المعضل في مدح التصوف وزهاد الصوفية – عرض ودراسة"، **مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا** ٣٤، عدد ٢ (أبريل، ٢٠١٩): ٣٠١، https://mksq.journals.ekb.eg/issue_٦٨٢٢_٦٨٢٤.html.

[٩٨] الكشان، **تمييز المشكل**، ص٣٣١–٣٢.

[٩٩] السنوسي، **شرح الكبرى**، ص٣٧٧.

[١٠٠] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٣١١.

[١٠١] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص٣٣١.

*** فقلت لا شك أنت أنت"[١٠٢]، وشرحه للبيت الصوفي " إن شمس النهار تغيب بليل *** وشمس القلوب ليست تغيب"[١٠٣].

ولكن للأسف الشديد لم يتناول الإمام السنوسي تعريف الذوق عند الصوفية، واكتفى بذكر أوصافه ووظيفته ودوره وعلاقته بالعقل والشرع. وفي نظر الباحث أن هذه المعطيات كافية للإجابة عن المشكلة التي استشكلها هؤلاء الباحثون. إن العلم الذوقي عند الإمام السنوسي هو طور وراء طور العقل؛ وذلك لأن العقل له حد لا يتعداه، بمعنى أن العقل لا يكون آلة لاستنتاج هذه الأمور. ومن تلك الأمور معرفة كنه ذات الله تعالى وكنه صفاته. فلا سبيل للعقل لمعرفة ذلك. وإن وجد له سبيل، فسبيله في نظر الإمام السنوسي هو المعرفة الذوقية. قال في شرحه على العقيدة الوسطى: "وقد قال بعض المحققين: إن التطويل في مسألة الكلام (يعني التدقيق في صفة كلام الله تعالى) بل وفي سائر صفاته تعالى بعدما يستبين الحق في ذلك قليل الجدوى؛ لأن كنه ذاته تعالى وكنه صفاته محجوب عن العقل. وعلى تقدير التوصل إلى معرفة شيء من ذلك فهو ذوقي لا يمكن التعبير عنه إلا بإشارة من أهله لأهله."[١٠٤]

فيفهم من هذا النص المنقول عن الإمام السنوسي الفرق بين طور العقل وطور الذوق. فليست معرفة حقيقة الذات والصفات من مقدورات العقل، بل هي من مقدورات العلم الذوقي. ولكن لا يقصد الإمام السنوسي أن الذوق يكون مصدرا مستقلا بدون حاجة انضمام العقل والشرع إليه لمن بلغ هذه المرتبة، بل إنه يقرر في تأليفه الآخر بأن هذه المعرفة الذوقية يجب أن يكون لها شاهد من المعرفة الرسمية التي أنتجتها البراهن العقلية. ولا شك للمتأمل أن التي أنتجتها البراهين العقلية هي العقيدة التوحيدية التي أوردها الإمام السنوسي في كتبه الكلامية، وهي العقيدة التي أمرنا الشارع باعتقادها. وبناء على هذا التوضيح، لا تصح معرفة ذوقية إذا لم تتأيد بحجة شرعية وبرهان عقلي. قال الإمام السنوسي: "ويحتمل أن يكون مراده برؤية عين القلب المعرفة الذوقية التي هي آخر مقامات السالكين، فيكون حينئذ معنى قوله "أنت أنت"

---

[١٠٢] هذا الشرح قام بتحقيقه وإخراجه من المواهب القدوسية نزار حمادي. والباحث يرى أنه لا حاجة إلى إعادة تحقيقه في هذه الرسالة. ولذلك سيكتفي الباحث بالإحالة إلى النص المحقق من قبل حمادي. ينظر: محمد بن يوسف السنوسي، **شرح أبيات لبعض السادات**، تحقيق نزار حمادي (تونس: دار الإمام ابن عرفة، ٢٠١٥)، ٧٧.

[١٠٣] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٣٥٧ وما بعدها.

[١٠٤] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص١٤٤١-٣١١.

أي: أنت الآن بحسب المعرفة الذوقية هو أنت أولا بحسب المعرفة الرسمية التي أنتجتها البراهين العقلية؛ إذ علامة صحة الذوق أن يجري على وفق ما شهد به العلم الرسمي."[١٠٥]

فتحصل من خلال هذا أن أهل التصوف الصحيح في نظر الإمام السنوسي حينما يقولون بالمعرفة الذوقية يضعون هذه الأذواق على أساس ملازمة الحقيقة للشريعة، ويفرضون على هذه المعارف أن لا تكون مخالفة للعقل. فلا يتصور ذوق صوفي مائل إلى البدع والكفريات، ومجرد عن أسس الشريعة والعقل وقواعدهما. ولأجل غموض الذوق الصوفي، وضع الأمام السنوسي ضوابط له كما فهمها الباحث من خلال جملة كلامه. وهذه الضوابط هي:

١. أن الذوق الصوفي إنما حصل لأولياء الله دون عوام المسلمين. وهذا مستفاد من قوله: "أما أولياء الله تعالى الذين طلعت على قلوبهم شموس المعرفة الذوقية وأحييت نفوسهم بأرواح المحبة الشوقية فهؤلاء لا غروب لأضواء قلوبهم التي بها يأنسون."[١٠٦]
٢. أن يزن الولي معرفته الذوقية بميزان للشريعة وأن يلغي ما وصل إليه قبلُ من النتائج العقلية عند حصوله على المعرفة الذوقية. وقد سبق بيان ذلك قريبا.
٣. أن لا يحدث به إلا مع أهله الذين هم أولياء أيضا. وهذا يفهم من الضابط الأول ومن قول الإمام السنوسي السابق: "..فهو ذوقي لا يمكن التعبير عنه إلا بإشارة من أهله لأهله."

وبالجملة، فالعلم الذوقي لا يكون إلا في حق الأولياء الحقيقيين؛ فلا بد من النظر إلى أحوال مدعي العلم الذوقي. فإذا كانت أحواله أحوال الأولياء الصالحين الملازمين للشريعة سلّم له ذوقه، وإلا ردّ ذوقه ولم يعتبر بما ذاق. قال الإمام زروق الفاسي في قواعد التصوف: "والذوق علمه مقصور على ذائقه، فدعواه ثابتة بشواهد حاله، كاذبة بها."[١٠٧] والله أعلم.

## المطلب الرابع: مشكلة كتمان العلوم عند الصوفية

---

[١٠٥] السنوسي، **شرح أبيات لبعض السادات**، ص٧٧.

[١٠٦] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص٣٥٨.

[١٠٧] زروق، **قواعد التصوف**، ص٢٩٩.

كثيرا ما نسمع أن الصوفية يحذرون الناس عن مطالعة كتبهم وتلقي علومهم ومعارفهم بواسطة الصحف دون شيخ مربي، ويجعلون علومهم أسرارا لا يباح إفشاؤها إلا لمن كان أهلا لسماعها. وإذا كانت العلوم والمعارف التي عرفوها فعلا علوما حقة ومعارف نافعة فما المانع من إفشاءها ونشرها؟ وهل هذا إلا كتمان للعلم؟!

لأجل معرفة حقيقة هذا الأمر ينبغي للباحث الرجوع إلى أسس تصوف الإمام السنوسي ووضع الأمر على ميزان أسسه. وأول الخطوة إلى ذلك يكون بالكلام عن حكم كتمان العلم عند الإمام السنوسي، ثم الكلام في حقيقة علوم الصوفية وموقف الإمام من نشرها. أما حكم كتمان العلم فقد وقف الباحث على كلام للإمام السنوسي في بعض كتبه الكلامية يقرر حرمة كتمان العلم النافع وعدم تبليغه إلى المحتاجين إليه. قال: "ولا شك أنهم (يعني الرسل) لو وقع منهم عليهم الصلاة والسلام خلاف ذلك (أي عدم تبليغهم لما أمروا بتبليغه) لكنا مأمورين بأن نقتدي بهم في ذلك؛ فنكتم نحن أيضا بعض ما أوجب الله تعالى علينا تبليغه من العلم النافع لمن اضطر إليه. كيف وهو محرم ملعون فاعله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[١٠٨]."[١٠٩]

اتضح من هذا أن وجوب نشر العلم عند الإمام السنوسي ليس وجوبا مطلقا، بل هو مقيد بكون طالبه محتاجا ومضطرا إلى ذلك العلم. ولا شك لمن له إلمام بالعلم الشرعي أن الذي يضطر إليه الإنسان هو المسمى بالفرض. ومن ثم يكون الحكم بوجوب تعليم العلم ونشره إنما يتعلق بالفروض عينية كانت أو كفائية. وهذا الرأي الذي قال به الإمام السنوسي قد سبقه إليه العلماء، منهم الفضيل بن عياض[١١٠] (ت.١٨٧هـ) عندما سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم

---

[١٠٨] البقرة: ١٥٩.

[١٠٩] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص١٤٤١-٢٤٤-٤٥.

[١١٠] الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، من شيوخه سفيان الثوري، وليث، وابن أبي ليلى وممن حدّث عنه: الشافعي وبشر الحافي والسري السقطي. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٨، ص٤٢٢.

"طلب العلم فريضة على كل مسلم"[١١١]، فقال: "كل عمل كان عليك فرضاً فطلب علمه عليك فرض، وما لم يكن العمل به عليك فرضاً فليس طلب علمه عليك بواجب." وبهذا يتبين أن ما قاله الإمام السنوسي من الوجوب المقيد في مسألة نشر العلم أمر مقبول عند غيره أيضا من العلماء، فليس كل ما يعلم يقال وينشر.

هذا، وقد يكون ثمَّ سبب آخر يمنع من نشر العلم ويسقط وجوبه. من ذلك ما حدثنا به الإمام السنوسي عن شيخه نصر الزواوي حيث كان رحمة الله عليه كثيرا ما ينهاه عن إعطاء العلم لغير أهله، ويحرّم على المسؤول أن يجيب سؤال السائل، إذا علم أن قصده تعنيت المسؤول؛ بأن يوقعه في مشقة أو زلل، أو بأن يكابر عليه ويرفض جوابه مع أنه حق. لأنه حينئذ قد أعطى الحكمة لغير أهلها[١١٢]. واستدل على ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها."[١١٣] فيفهم من ذلك أن التعنت وعدم الاستعداد ليكون أهلا للكلام أيضا يعدان من الأسباب المسقطة لوجوب إعطاء العلوم، بل هما من الأسباب المحرمة للإعطاء كما يفهم ذلك من الحديث. وقد حدّث الإمام السنوسي عن تجربته في إيضاح الحق بالبراهين في مجالسه لإقراء عقيدته الكبرى وكيف أنه كان يبدي نفيس علومه للوضيع والرفيع في تلك المجالس بقصد إنقاذهم من سيء الاعتقاد وخطر التقليد، فنقل مَن طُرد عن معرفة الحق وأهله مِن أعوان إبليس كلامَه على غير وجهه، فيقبله منه ويشيعه من هو على شاكلته.[١١٤] ثم قال ما مفاده أنه لولا أن الله يبقي في هذا العالَم نادرا من الناس مستعدين لفهم الحق وتمييزه من الباطل وينور قلوبهم بحسن النية وحب الخير وأهله وعدم الإصغاء إلى كل غث

---

[١١١] روي هذا الحديث بطرق عديدة أغلبها فيها ضعف. وقال الإمام السيوطي كما نقل عنه المناوي في فيض القدير: "جمعت له خمسين طريقا وحكمتُ بصحته لغيره، ولم أصحح حديثا لم أسبق لتصحيحه سواه." وقال السخاوي: "له شاهد عند أبي شاهين بسند رجاله ثقات عن أنس ورواه عنه نحو عشرين تابعيا." ينظر: عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، تحقيق ماجد الحموي (مصر: المكتبة التجارية الكبرى, ١٣٥٦)، ج٤، ص٢٦٧.

[١١٢] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص١٩.

[١١٣] أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ولم يخرجه، وأورده الديلمي في الفردوس وأسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه. ينظر: الديلمي، **مسند الفردوس**، ج٣، ص٢١٨; النمري، **جامع بيان العلم**، ج١، ص٤٥٠.

[١١٤] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص١٢٧—٢٩.

وسمين لذهب الإمام إلى القول بـ"أن إبداء العلوم في زماننا هذا يحرم بالكلية."[١١٥] ذلك لعدم أهلية السامعين لذلك العلم؛ فما انتفعوا به وقد يتضررون به وإن كان ما سمعوا فعلا علما حقا ومعرفة نافعة. هذا ما يتعلق بمسألة كتمان العلم من البيان والتوضيح.

أما علوم الصوفية فقد تكون من جنس المعارف الذوقية والمكاشفات التي تتضمن أسرارا عقلية وأنوارا توحيدية وعلوما غامضة وأفهاما دقيقة وحقائق ربانية كما ذكره الإمام السنوسي ونقله الباحث في المطلب الثاني، وقد ذكر الباحث في ذلك المطلب وفي المطلب الثالث بعده أن العلم الذوقي والمكاشفة لا يتأتي كل منهما إلا للولي الحقيقي؛ فيقلّ بسبب ذلك أهلهما ويعظم الأمر بكتمانهما. وإذا نظرنا إلى هذا القسم بخصوصه من أقسام علوم الصوفية وجدنا الإمام السنوسي يقف في صف واحد مع الصوفية في القول بحرمان إفشاءه حيث قال: "أولياء الله تعالى سبحانه قد خصهم الرب تبارك وتعالى بأمور وأسرار لا يجوز إفشاؤها لغير أهلها. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.»[١١٦] بل لو أظهروها لزال سرها."[١١٧]

وهناك قسم آخر من علوم الصوفية أجاز الإمام السنوسي الكلام عنه وإفشاءه. ولعل هذا القسم هو المقصود بعلم المعاملات في رأي الإمام الغزالي كما سلف ذكره في الفصل الأول من هذا الباب. وفهم الباحث جواز إفشاء هذا العلم عند الإمام السنوسي من لسان حاله؛ إذ الإمام نفسه قد تكلم عن كثير من قضايا علم المعاملات في كتابه المنهج السديد مثل كلامه عن وجوب ملازمة العالم العامل والاقتداء به في أفعاله وأقواله[١١٨] وكلامه عن عيوب النفس كالعجز والكسل[١١٩] ووكلامه عن مجاهدة النفس[١٢٠] والمراقبة[١٢١] والانكسار[١٢٢] ومقام التواضع

---

[١١٥] المرجع نفسه، ص١٣٠.

[١١٦] سبق تخريجه آنفا.

[١١٧] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٥٠.

[١١٨] السنوسي، **المنهج السديد**، ص٤٦٢–٦٦.

[١١٩] المرجع نفسه، ص٤٧٣–٧٨.

[١٢٠] المرجع نفسه، ص٤٧٨–٨٢.

[١٢١] المرجع نفسه، ص ٤٨٣–٨٦.

[١٢٢] المرجع نفسه، ص ٤٨٦.

والشكر[١٢٣] ومقام الزهد[١٢٤] والتجرد عن الدنيا وأسبابها[١٢٥] وغير ذلك مما يتعلق بعلم المعاملات. فتلخص بجميع ما ساقه الباحث في هذا الموضوع أن لعلوم الصوفية قسما يجوز نشره ولها قسم آخر ينبغي إخفاءه، فحينئذ لم يبقَ مجال للطعن بما فعله الصوفية. فحسن الظن بهم فيما فعلوه من كتمان بعض العلوم لازم لأنهم لا يفعلون ذلك إلا بعد معرفتهم لهذه التفاصيل. والله أعلم.



[١٢٣] المرجع نفسه، ص ٤٩٧–٩٩.

[١٢٤] المرجع نفسه، ص ٥٤٨.

[١٢٥] المرجع نفسه، ص ٥٥٩.

## المبحث الثاني: مناقشة قضايا عملية في التصوف المعاصر

### المطلب الأول: الأعمال الصوفية بين السنة والبدعة

إن البدعة لمن الأمور الدخيلة في التصوف وهي في الحقيقة ليست جزءا منها فضلا عن أن يكون مدار التصوف عليها. ولقد برّأ ساحة التصوف منها كثير من متقدمي الصوفية ومتأخريها وألزموا أهله متابعة الكتاب والسنة، مثل الإمام سهل بن عبد الله التستري[١٢٦] حيث قال: "كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل."[١٢٧] وقال الإمام أبو سليمان الداراني: "ربما تنكت الحقيقة قلبي أربعين يوما، فلا آذن لها أن تدخل قلبي إلا بشاهدين من الكتاب والسنة."[١٢٨] وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني[١٢٩] من متأخريهم في كتابه لطائف المنن والأخلاق: "إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون."[١٣٠]

ولكن هذا لا يعني أن البدع لم تلج ولن تلج ساحة الصوفية، بل الصوفية كغيرهم ممن لم تثبت له العصمة، فيجوز عليهم الخطأ والنسيان والمعصية[١٣١]، ولكن هذه الأخطاء والمعاصي والبدع لا ينبغي ولا يمكن أن يكونوا يقصدوها إن كانوا أهل التصوف الحقيقي ولا يتصور أن يستمروا عليها بعد اتضاح الحق فيها عملا بقواعدهم التي بنوا عليها مذهبهم من اتباع الرسول

---

[١٢٦] سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري. شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد، صحب خاله؛ محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه، روى عنه الحكايات عمر بن واصل، وأبو محمد الجريري، وعباس بن عصام، ومحمد بن المنذر الهجيمي، وطائفة. له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق. توفي في المحرم، سنة ثلاث وثمانين ومائتين. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٣، ص٣٣٠.

[١٢٧] أبو نصر السراج، **اللمع**، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور (مصر: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠)، ص١٤٦.

[١٢٨] المرجع نفسه، ص١٤٦.

[١٢٩] عبد الوهاب بن أحمد بن علي، أبو المواهب أو أبو محمد، المعروف بالشعراني أو الشعراوي (ت. ٩٨٣هـ). ولد ببلدة ساقية أبي شعرة من أعمال المنوفية وتوفي بالقاهرة. كان فقيها محدثا أصوليا صوفيا مكثرا في التصنيف. أخذ العلم عن مشايخ عصره كالشيخ الجلال السيوطي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري. من تصانيفه: "الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية" و"أدب القضاة".

[١٣٠] منقول بواسطة: عبد القادر عيسى، **حقائق عن التصوف** (دمشق: دار التقوى، ٢٠١٧)، ص٣٩٠.

[١٣١] الشاطبي، **الاعتصام**، ج١، ص٢٧٦.

ومجانبة البدع كما سبق ذكره في أسس تصوف الإمام السنوسي. فكما يجوز على غيرهم المعاصي بالابتداع وغيره كذلك يجوز عليهم.[١٣٢] لذلك كان أئمة التصوف أنفسهم يحذرون السالكين في طريقهم من مبتدعات الأعمال، ويعترفون بوجود دخيل في التصوف وهو ليس من صلبه. وهذا الإمام أحمد زروق –وهو تلميذ الإمام السنوسي من جهة وشيخه من جهة أخرى– يخبرنا بأنه وجدت كثرة الادعاءات في طريق التصوف وأنه وجد تحذير من سلوكه لكثرة الغلط فيه، وأن العلماء صنفوا في الرد على أهله لما أحدث أهل الضلال فيه.[١٣٣] فيفهم من هذا الكلام أن الأغلاط والضلالات والمبتدعات موجودة في طريق التصوف، ولكن أصلها من أهل الضلال المنتسبين إلى التصوف، والتصوف لم يرضهم أهلا له كما تقرر ذلك بشهادة سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد البغدادي حينما يبين ملاك أمر التصوف، فقال: "مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة."[١٣٤] وقال: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم."[١٣٥]

وأهل التصوف كانوا قبل غيرهم يؤلفون كتبا لأجل بيان صحيح الأعمال الصوفية من سقيمها. وذلك مثل ما نبّهه السراج في كتابه اللمع من الأغلاط التي وقعت من المترسمين بالتصوف ومن أين تقع هذه الأغلاط[١٣٦]، وما ذكره الإمام زروق في كتابه عدة المريد من الطوائف التي ظهرت بحوادث لم تسمع من قبل وأن أصلها في ذلك الغباوة والجهل[١٣٧]، ومثل كتاب المدخل لابن الحاج الفاسي[١٣٨]. إذن، ليس من الغريب أن يرى الباحث إنكارا من المخالفين للتصوف على بعض أعمال أهل التصوف ويرى تآليف لهم في ذلك. إلا أن هذه

---

١٣٢ الشاطبي، **الاعتصام**، ج١، ص٢٧٧.

١٣٣ زروق، **قواعد التصوف**، ص٣١١.

١٣٤ الشاطبي، **الاعتصام**، ج١، ص١٢٨.

١٣٥ المرجع نفسه، ج١، ص١٢٨.

١٣٦ السراج، **اللمع**، ص٥١٦ وما بعدها.

١٣٧ زروق، **عدة المريد**، ص٢٧٧ وما بعدها.

١٣٨ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المعروف بابن الحاج، أحد جهابذة المتصوفين وأعلام السنة الراسخين، وكان عارفا بمذهب الإمام مالك، ومن أهل الزهد والخير والصلاح، وأثرت فيه صحبة أهل القلوب، فصنف كتابه المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة. وهو كتاب حفيل جمع فيه علما غزيرا، والاهتمام بالوقوف عليه متعين. توفي رحمه الله سنة ٧٣٧هـ. ينظر: عبد الله كنون، **النبوغ المغربي**، ج١، ص٢٠٧.

الردود ينبغي أن توضع على ميزان الحق حتى يعرف القصد من وراء هذه الردود؛ أهو قصد حسن أم هو حسد وعناد. وقد تكلم الإمام زروق عن ذلك حيث قال: "إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد، أو لحسم ذريعة، أو لعدم التحقيق، أو لضعف الفهم، أو لقصور العلم، أو لجهل المناط، أو لانبهام البساط، أو لوجود العناد. فعلامة الكل الرجوع إلى الحق عند تعيينه، إلا الأخير؛ فإنه لا يقبل ما ظهر ولا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال في أمره."[١٣٩]

فتبين بهذا كله أن مناقشة القضايا الصوفية العملية ليست بأمر محظور عند العلماء سواء كانوا من المؤيدين للتصوف أم لا. وإذا كان الأمر هكذا، فلا مانع للباحث من مناقشة دعوى بدعية أعمال الصوفية وموازنتها بما جادت به قريحة الإمام السنوسي في هذه القضية. وليكن مضمون كتابه نصرة الفقير مادة أساسية لهذه المناقشة حيث إن الإمام فيه كان يرد على أبي الحسن الصغير في زعمه أن الصوفية هم المبتدعة، واستدل على زعمه هذا بحديث "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار."[١٤٠] فتعين على الإمام السنوسي إيضاح معنى "محدثات الأمور" وتوجيهه توجيها أصوليا، فقال بأن لفظ "المحدثات" لفظ مشترك؛ أي أن هذا اللفظ يدل على أكثر من معنى وإطلاق، فاختلف الحكم عليه باختلاف إطلاقه. ثم قال بأن المحدثات قد تكون غير موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أحدثت في زمن الصحابة أو التابعين أو في زمن العلماء المجتهدين، ولكن لم يحكم عليها بالحرمة لحصول استحسانها من قبل الصحابة أو التابعين أو المجتهدين.[١٤١]

فهم الباحث من هذا أن معنى "المحدث" أو "البدعة" الذي ارتضاه الإمام السنوسي في هذه القضية هو معناه اللغوي وليس معناه الحقيقي أو الإضافي. وذلك لأن كلامه يفيد بأن هناك قسما من المحدثات والبدع استحسنها هؤلاء فحكموا عليها بأنها حسنة، وهناك قسما

---

[١٣٩] زروق، **قواعد التصوف**، ص٣١٤.

[١٤٠] ولفظه عند مسلم في باب تخفيف الصلاة والخطبة (رقم الحديث: ٨٦٧): "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة." وعند أبي داود في باب في لزوم السنة (رقم الحديث: ٤٦٠٧): "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة." وورد في سنن النسائي في باب الخطبة في العيدين بعد الصلاة (رقم الحديث: ١٥٧٨) مع الزيادة في آخر الحديث: " وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار." ينظر: النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج٤، ص٥٩٢؛ السجستاني، **سنن أبي داود**، ج٤، ص٢٠٠؛ النسائي، **المجتبى من السنن**، ج٣، ص١٨٨.

[١٤١] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ص٣—٤.

آخر لم يستحسنوها فحكموا بأنها قبيحة. ويدل على هذا ما فعله الإمام بعد هذا التقرير من سوقه لمقولة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح: "نعمت البدعة هذه."[١٤٢] ولا شك أن "البدعة" في كلام سيدنا عمر لا يراد بها "البدعة الحقيقية" ولا "البدعة الإضافية"؛ لأن البدعة الحقيقية كما عرفها الإمام الشاطبي "هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا قياس، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل"[١٤٣]، فسميت بدعة لكونها شيئا مخترعا على غير مثال سابق. ولا يتصور أن يمدح سيدنا عمر البدعة بهذا المعنى. أما "البدعة الإضافية" فهي في رأي الإمام الشاطبي ما كان لها تعلق بالأدلة من جهة وعدم تعلق بها من جهة أخرى.[١٤٤] وعليه لا يتصور أيضا مدح سيدنا عمر لها لما عرف من دين الصحابة من التحوط في أمر البدعة. فثبت بذلك أن البدعة الموجودة في أعمال الصوفية والتي أرادها الإمام السنوسي هنا هي بدعة لغوية وليست بدعة حقيقية أو إضافية.

ويؤكد ذلك استعانته بقول سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في إقامة الحجة على مشروعية أعمال الصوفية[١٤٥]؛ فقد نقل منه كلامه في تقسيم البدعة على خمسة أقسام حسب أقسام الحكم التكليفي. وذلك ناتج من عرض هذه المحدثات على قواعد الشرع، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.[١٤٦]

ولم يكتف الإمام السنوسي بذلك، بل جاء بأمثلة من محدثات علماء الظاهر وأمثلة من محدثات علماء الباطن ليستدل بذلك على أن الهجوم على أهل الطريقة مع التحفظ من انتقاد أهل الشريعة في محدثاتهم ليس إلا من سوء الظن بأهل الطريقة. قال الإمام السنوسي بعد

---

[١٤٢] رواه البخاري في صحيحه. وفيه قال سيدنا عمر بعد هذا اللفظ "والتي ينامون عنها أفضل" وهو موجود أيضا في نسخة (م). ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج٣، ص٤٥ (رقم الحديث: ٢٠١٠).

[١٤٣] الشاطبي، **الاعتصام**، ج١، ص٣٦٧.

[١٤٤] المرجع نفسه، ج١، ص٣٦٧.

[١٤٥] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ٥.

[١٤٦] المرجع نفسه، ص٥.

أن أتى بأمثلة من محدثات أهل الظاهر كالاشتغال بعلم النحو وحفظ غريب الكتب من اللغة، وتدوين أصول الفقه، والكلام في التجريح والتعديل: "هلا أنكرت هذا كله ورددته كما رددت محدثات أهل الباطن التي توصل وتدل على الله ومجالستهم معه؟!"[١٤٧] ثم جاء بأمثلة من محدثات أهل الطريق كقراءة الفاتحة أدبار الصلوات، وذكر الله بالجمع والتداول به والإعلان به، وإفراد كل عمل بوقت من الأوقات، والكلام في دقائق التصوف، والمصافحة في كل وقت، واستخدام السُّبُحات والإعلان بذلك، وقال بأنه وُجِدَ لذلك كله مستندٌ من الأحاديث والآثار ولو كانت ضعيفة. ثم قال: "وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال."[١٤٨]

وبهذا برّأ الإمام السنوسي الصوفية من اتهام البدعة في أعمالهم. ثم بدأ في الفصول التالية في هذا الكتاب ببيان مآخذ الصوفية من الآحاديث والآثار في كل مسألة من المسائل التي اعترض عليها أبو الحسن الصغير. ولأجل إعطاء صورة واضحة لهذه المسألة سيذكر الباحث القضايا التي تناولها الإمام السنوسي ببيان مشروعيتها من السنة في الكتابين نصرة الفقير والمواهب القدوسية.

### نماذج الأعمال الصوفية التي اعتمدت على السنة في كتاب نصرة الفقير

فيما يلي جدول يتضمن قائمة من الأعمال الصوفية التي استدل الإمام السنوسي على صحتها بالسنة القولية أو التقريرية أو بآثار الصحابة. ويجمل الباحث في ذكر أدلتها اكتفاء بالنص المحقق في الباب الثالث وبتخريج أحاديثه هنالك.

---

[١٤٧] السنوسي،"**نصرة الفقير (س)**"، ص٤.

[١٤٨] المرجع نفسه، ص٤.

الجدول ١

| | نوع الأعمال | نوع الاستدلال على صحتها |
|---|---|---|
| ١ | الاجتماع للذكر | الاستدلال بالحديث الصحيح "أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم" |
| ٢ | التزاور في الله | الاستدلال بالحديث الصحيح "كان رجل فيمن كان قبلكم خرج من منزله يريد زيارة أخيه في الله.." |
| ٣ | إظهار الفرح بتوبة أحد بإطعام الطعام والشراب | الاستدلال بالحديث الصحيح ""الله أفرح بتوبة عبده من رجل له بضاعة مال ليس له غيرها فنفقها وركب دابته يريد التجارة بذلك.." |
| ٤ | قراءة الفاتحة أدبار الصلوات المكتوبة | الاستدلال بكثرة الأحاديث والروايات الدالة بجملتها على فضل قراءتها، لا سيما إذا كانت القراءة في محل إنابة وخشوع كدبر الصلوات. |
| ٥ | استعمال السبحة | تقرير النبي على فعل الصحابة. |
| ٦ | لبس المرقعات | الاستدلال بفعل الخليفة عمر بن الخطاب. |
| ٧ | التبرك بالصالحين | الاستدلال بفعل الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم. |

## نماذج الأعمال الصوفية التي اعتمدت على السنة في المواهب القدوسية

### لبس الخرقة:

عرّف الإمام السهروردي "الخرقة" بأنها "ارتباط بين الشيخ والمريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه"[١٤٩] بمعنى أن المريد بلبسه للخرقة على يد الشيخ يُعلم باتخاذه هذا الشيخ مرشدا له وحاكما في نفسه لمصالح دينه، فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه ويعمل به في جميع تصاريفه. فحينئذ يكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم والدخول في حكم الشيخ، ويتضمن لبس الخرقة أيضا معنى المبايعة والدخول في صحبة الشيخ.[١٥٠] قال السهروردي: "والمقصود الكلي هو الصحبة، وبالصحبة يرجى للمريد كل خير."[١٥١] فاتضح بما قاله الإمام السهروردي أن لبس الخرقة ليس إلا مظهرا من مظاهر أحد أسس التصوف السنوسي القائل بوجوب اتخاذ الشيخ المربي في السلوك.

---

[١٤٩] شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي، **عوارف المعارف**، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦)، ج١، ص١٠٨.

[١٥٠] المرجع نفسه، ج١، ص١٠٨.

[١٥١] المرجع نفسه، ج١، ص١٠٨.

ومع ذلك لم يتكلم الإمام السنوسي عن لبس الخرقة وعما يتضمنها من المعاني، ولكن سجّل لنا تلميذه الملالي كيف كان الإمام يلبسها على يد شيخه في التصوف، وساق له سندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو كالآتي:

- لبس الإمام السنوسي الخرقة الشريفة من شيخه (١) سيدي إبراهيم التازي (ت. ٨٦٦هـ)،
- من الإمام المحدث (٢) شرف الدين أبي الفتح محمد بن الإمام زين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي الشافعي (ت. ٨٥٩هـ)،
- من يد شيخ شيوخ العارفين (٣) شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي العقيلي الجبرتي الزبيدي (ت. ٨٠٦هـ)،
- من يد الشيخ (٤) الضجاعي،
- وهو لبسها من الشيخ (٥) برهان الدين العلوي، ولبسها من الشيخ الولي الصالح (٥) أبي العباس أحمد بن إبرهيم بن الجُمَاسْ[١٥٢]،
- وأبو العباس لبسها من الشيخ (٦) أبي الفضل القاسم بن محمد العزري،
- من الشيخ الإمام الحافظ (٧) أبي محمد عبد الله بن يوسف الخلاسي (كان حيا سنة ٦٩٥هـ)[١٥٣]،
- من الشيخ الإمام الحافظ (٨) أبي بكر محمد بن يوسف بن مسدي الأزدي المَهْلِبي (ت. ٦٦٣هـ)،

---

[١٥٢] جعل الباحث برهان الدين العلوي وأبا العباس ابن الجماس في نفس الطبقة بقرينة كلام الملالي في المواهب القدوسية؛ حيث صدّر الملالي جميع أسماء الرواة في هذا السند بقوله "وهو لبسها (يعني الخرقة) من.." الذي يفيد أن الذي سبق ذكر اسمه أخذ عن الذي سيذكره الملالي بعد. ولكن خالف هذا السياق عند ذكر اسم أبي العباس ابن الجماس حيث قال: "وهو (يعني الضجاعي) لبسها من برهان الدين العلوي، ولبسها من الشيخ الولي أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الجماس، وهو لبسها من..." فجعل الضجاعي أخذ عن الاثنين معا، ثم لم يصل سند العلوي، بل اكتفى بذكر سند ابن الجماس. ينظر: الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٤٣.

[١٥٣] هو الشيخ الفقيه الصالح الزاهد العابد الناسك السالك أبو محمد عبد الله بن يوسف بن موسى بن إبراهيم الخلاسي البلنسي، نزيل تونس. أخذ عنه القاسم بن يوسف التجيبي. ينظر: القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي، **برنامج التجيبي**، تحقيق عبد الحفيظ منصور (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١)، ص١٣٦-١٦٥.

- من الشيخ (٩) أبي أحمد جعفر بن عبد الله سيدي بونه الخزاعي (ت. ٦٢٤هـ)،
- من الشيخ الولي الكبير (١٠) أبي مدين الغوث (ت. ٥٩٤هـ).

ولشيخ الإمام السنوسي؛ سيدي إبراهيم التازي، سند آخر وهو كالآتي:

- لبس الإمام السنوسي الخرقة الشريفة من شيخه (١) سيدي إبراهيم التازي (ت. ٨٦٦هـ)،
- من الشيخ العارف(٢) سيدي صالح بن محمد بن موسى الزواوي الدَّوَّادي (ت. ٨٣٩هـ)
- من الشيخ (٣) المعمر بن مخلص،
- من الشيخ الحافظ (٤) مغلطاي بن فليح (ت. ٧٦٢هـ)،
- من الشيخ (٥) أبي عبد الله محمد العربان،
- من والده الشيخ (٦) جماعة الطويل الناصري،
- من الشريف (٧) أبي محمد التاجوري،
- من الشيخ القطب الكبير (٨) أبي محمد صالح
- من الشيخ الغوث الفرد الجامع (٩) أبي مدين شعيب بن الحسن المغربي الأندلسي رضي الله تعالى عنه.

فهذا السند أخصر من السند الذي قبله حيث كان عدد الرواة فيه أقل بواحد من السند السابق. ثم الإمام أبو مدين لبس الخرقة الصوفي:

- من الشيخ العالم (١٠) أبي الحسن علي بن حرازم (ت. ٥٥٩هـ)،
- من الشيخ الصالح (١١) أبي بكر ابن العربي المعافري (ت. ٥٤٣هـ)،
- من شيخ الإسلام (١٢) أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ)،
- من (١٣) إمام الحرمين الجويني (ت. ٤٧٨هـ)،
- من (١٤) أبي طالب المكي (ت. ٣٨٦هـ)[١٥٤]،

[١٥٤] الذي يظهر للباحث أن الإمام الجويني لم يلتق بالشيخ أبي طالب المكي حيث إن مولد الأول في سنة ٤١٩هـ ووفاة الثاني قبله بسنوات كثيرة. فالسند إذن منقطع. ولكن يمكن وصله بما ذكره الروداني في كتاب الصلة من أن الجويني أخذ

- من (١٥) أبي عثمان المغربي (ت. ٣٧٣هـ)،
- من (١٦) أبي عمرو الزجَّاجي (ت. ٣٤٨هـ)،
- من (١٧) أبي القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي (ت. ٢٩٨هـ).

وللإمام الجويني أيضا طريق آخر أحسن من هذا، وهو أنه لبس الخرقة الشريفة من:

- من الأستاذ (١٤) أبي القاسم القشيري (ت. ٤٦٥هـ)،
- من شيخه الأستاذ (١٥) أبي علي الدقاق (ت. ٤٠٥هـ)،
- من (١٦) الشيخ أبي القاسم النصرآباذي (ت. ٣٦٧هـ)،
- من (١٧) أبي بكر الشبلي (ت. ٣٣٤هـ)،
- من (١٨) الجنيد البغدادي (٢٩٨هـ)،
- من (١٩) الأستاذ أبي الحسن سري بن المغلس السقطي رضي الله تعالى عنه (ت. ٢٥٣هـ)،
- من (٢٠) أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي (ت. ٢٠٠هـ)،
- من (٢١) أبي سليمان داود بن نصير الطائي (ت. ١٦٥هـ)،
- من (٢٢) حبيب العجمي (ت. ١١٩هـ)،
- من (٢٣) الحسن البصري (ت. ١١٠هـ)،
- من (٢٤) الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،
- من يد المصطفى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.[١٥٥]

ففهم من هذا أن لبس الخرقة الصوفية عند الإمام السنوسي من الأعمال التي تستند إلى السنة النبوية. فهو ليس للتبرك والتزي بزي الصوفية واتخاذ الرمز فقط، بل يعد من العمل بالسنة أيضا. وقد قرر ذلك الإمام أحمد رزوق حيث قال: "إلباس الخرقة ومناولة السبحة وأخذ العهد والمصافحة والمشابكة من علم الرواية، إلا أن يقصد بها حال فتكون لأجله."[١٥٦]

---

الخرقة عن أبي القاسم القشيري (ت. ٤٦٥هـ) بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسيذكر الملالي أيضا هذا الطريق فيما بعد. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الروداني، **صلة الخلف بموصول السلف**، تحقيق محمد حجي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨)، ص٤٧٠.

[١٥٥] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٩.

[١٥٦] زروق، **قواعد التصوف**، ص٢٤١–٤٢.

**تلقين الذكر:**

لا شك أن الذكر بأي وجه كان مما ندب إليه عموم النص الشرعي حيث قال تعالى في محكم تنزيله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.[١٥٧] إلا أنه عند الصوفية يتميز بوجود التلقين له؛ وهو أن يذكر الشيخ للمريد ويُسمعه كلمة "لا إله إلا الله"، ثم يذكرها المريد والشيخ يسمعه.

وقد بين ذلك الإمام السنوسي في نصرة الفقير حيث قال: "وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لقن علي بن أبي طالب رضي الله عنه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم ثلاثا مُغَمِّضًا عينيه، وعليٌّ يسمع، ثم قالها علي رضي الله عنه ثلاثا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١٥٨] ففي هذا الحديث كفاية."[١٥٩]

فالذكر عند أهل التصوف يتميز بكيفية مخصوصة يعبرون عنها بالتلقين. ثم لهم في ذلك تميز آخر وهو أنهم يتلقون هذا الذكر بالسند المتصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. مثال ذلك سند إمامنا السنوسي في تلقين الذكر من شيخه في السلوك وهو سيدي إبراهيم التازي. قال الملالي: "فقد لقن الشيخ سيدي إبراهيم التازي شيخنا سيدي محمد بن يوسف السنوسي رضي الله تعالى عنهما وحشرنا في زمرتهما، كما لقنه شيخه سيدي صالح بسنده المعروف له إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وأوصاه بتقوى الله العظيم ولزوم طاعته وأن يعرف حق الخرقة الشريفة وينزهها عن الامتهان وأن يواظب على ذكر الله تعالى في كل حين وأوان. وأفضل ذلك «لا إله إلا الله»؛ فإنها تجلو عن القلب ما غشاه من الران."[١٦٠] فاتضح بهذا انبناء الذكر الصوفي على أساس السنة النبوية، وارتفع بكل ما أورده الباحث في هذا المطلب دعوى بدعية أعمال الصوفية. والله أعلم.

---

[١٥٧] الأحزاب: ٤١.

[١٥٨] الترمسي، **كفاية المستفيد**، ص٣٦–٣٨.

[١٥٩] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ص٦.

[١٦٠] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٢١.

**المطلب الثاني: مسألة التوسل**

إن مسألة التوسل لمن المسائل المختلف فيها؛ فغالب العلماء يجيزونه وبعضهم يمنعونه. فالمانعون بعضهم يجيزونه إذا كان المتوسل به هو النبي لا غير وكان التوسل في حياته دون موته. والمجيزون يجيزون التوسل بالنبي مطلقا؛ أي سواء كان في حياته أو بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. وهم أيضا لم يقصروا جواز التوسل في حق النبي فقط، بل قالوا بجوازه في حق كل ولي وصالح.[١٦١] والإمام السنوسي ممن يقول بهذا الرأي بدليل ما سيذكره الباحث من الأدلة المسوقة من كلام الإمام نفسه.

عالج الإمام السنوسي مسألة التوسل عند حديثه عن أنواع الشرك في شرح المقدمات. فقال في النوع الثالث من أنواع الشرك –وهو شرك التقريب– بأنه هو الذي ارتكبه ودان به متقدمو مشركي الجاهلية. فإنهم قد وسوس لهم الشيطان أن عبادتهم لله مع غاية ضعفهم ودنائة مرتبتهم وعجزهم وتركهم التقرب إلى الله بعبادة من هو أعلى منهم رتبة كالملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار ونحوه تُعد سوء أدب مع الله.[١٦٢] ويخيل لهم الشيطان ذلك بما وجدوا في العالم المشاهد من أن تخطي الأدنى الحقير الوزيرَ المقرب إلى الملك في خدمة ذلك الملك يعد سوء أدب مع الملك لما فيه من تجاسر الحقير على القرب منه وعدم مراعاته لهيبة الملك بالتوسل إليه بوزيره.[١٦٣]

ثم تولى الإمام السنوسي رد هذه الشبهة بقوله: "ولو تنبهوا أدنى تنبه لعلموا استواء جميع العوالم، علويها وسلفيها، مظلمها ومضيئها، قويها وضعيفها في العجز والافتقار اللازم إلى المولى العظيم جلا وعلا. وهو سبحانه المباشر لجميعها بالخلق والإمداد بالأعراض، ويخص ما شاء منها بما شاء من شرف أو ضده. وليس له منها معين ولا وزير ولا وكيل ولا واسطة أصلا، وليس شيء منها يغيب عن علمه وتدبيره وسمعه وبصره."[١٦٤] فاتضح بهذا أن الملك والتدبير

---

[١٦١] ينظر تفصيل ذلك في: عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي، **التوسل بالصالحين بين المجيزين والمانعين (دراسة مقارنة)** (صنعاء: مركز الخيرات للدراسات والنشر، ٢٠١٦).

[١٦٢] محمد بن يوسف السنوسي، **شرح المقدمات**، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي (دمشق: دار التقوى، ٢٠١٩)، ص١٦٧.

[١٦٣] المرجع نفسه، ص١٦٨.

[١٦٤] المرجع نفسه، ص١٦٨–٦٩.

والقدرة العامة إنما هي لله الواحد القهار، والمخلوقات جمعاء مستوية في العجز عن التدبير؛ فلا وجه لعبادة المخلوق بعد تحقق استحقاق الألوهية والربوبية والعبادة لله وحده.

ثم قال: "وقد أطبق رسل المولى تبارك وتعالى وأجمعوا كلهم من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين وسيد المرسلين نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم على أن الله سبحانه كلف عبيده بتوحيده وحرم عليهم التشريك في ألوهيته وعبادته."[١٦٥] فجاء بإجماع الرسل على وجوب قصر العبودية والألوهية لله وحده وأكد تحريم نسبة ذلك إلى غيره تعالى. ثم بدأ يشرع في بيان أن شبهة التقريب التي أصابت المشركين الجاهلية هي في الحقيقة لم تقتضِ الشرك؛ بمعنى أنها لم تدعُ إلى استحقاق صفة خدمة الملك وثبوت الملك لهذا الشخص المقرَّب إلى الملك. وإنما تقتضي مجرد التقرب إلى الملك بمن هو شريف عنده إن علم أن الملك يأذن في ذلك ويحبه.[١٦٦]

فيفهم من هذا أن التقرب إلى الملك بمن ثبت له القرب إليه ليس بمحظور إذا علم أن فعل التقرب مما يأذنه الملك ويحبه، ولم يكن التقرب به يبلغ حد ما يستحقه الملك. وإذا طبّق الباحث هذه القاعدة التي قعّدها لنا الإمام السنوسي في مسألة التوسل، أمكن الباحث أن يقول بأن التوسل إلى الله بأنبياءه والصالحين ليس بمحظور إذا علم إذن الشارع في التوسل بهم، ولم يبلغ التوسل بهم حد الإشراك بالله في عبادته وألوهيته. وهذا المعنى هو الذي وضحه الإمام السنوسي في قوله بعد النص السابق حيث قال: "وقد جاء الشرع بالتوسل إلى المولى تبارك وتعالى والتشفع إلى نيل كرمه بأنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، لا سيما أشرف خلقه الشفيع المشفع عنده سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم تقضِ تلك الشبهة أن يشرك مع الملك غيره من خواص عبيده، فيجعلون ملوكا مثله ويخاطبون بالملك مثل خطابه ويخدمون على صفة خدمته، ومن علم منه الملوك ذلك أهلكوه هو وشريكه إن رضي بتلك الشركة."[١٦٧]

فقد استبان بهذا النص المنقول جواز التوسل بالأنبياء والأولياء الصالحين، وأن التوسل بهم ليس بالشرك الذي فعله مشركو الجاهلية، وأنه مما جاء به الشرع. ولا يخفى للقارئ أن الإمام السنوسي وإن كان عالما بأدلة الشرع الدالة على جواز التوسل، إلا أنه يجمل في ذلك، فلم يأت

---

[١٦٥] السنوسي، **شرح المقدمات**، ص١٧٠.

[١٦٦] المرجع نفسه، ص١٧٠–٧١.

[١٦٧] المرجع نفسه، ص١٧١–٧٢.

ولو ببرهان واحد ليستدل به على صحة جواز التوسل. وقد ذكر العلماء من أدلة مشروعيته حديثا صحيحا عن عثمان بن حنيف: أنَّ أعمى أتى إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ يا رسولَ اللَّهِ ادعُ اللَّهَ أن يَكْشفَ لي عن بصَري، قالَ: أو أدعُكَ ؟ قالَ: يا رسولَ اللَّهِ إنَّهُ قد شقَّ عليَّ ذَهابُ بَصري، قالَ: فانطلق فتوضَّأ، ثمَّ صلِّ رَكْعتينِ، ثمَّ قلِ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّي محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ نبيِّ الرَّحمةِ، يا محمَّدُ إنِّي أتوجَّهُ إلى ربِّي بك أن يكشِفَ لي عَن بصَري، اللَّهم شفِّعهُ فيَّ وشفِّعني في نَفسي فرجعَ وقد كَشفَ اللَّهُ عن بصرِهِ.[١٦٨] ففيه تعليم النبي للصحابة كيفية التوسل به صلى الله عليه وسلم.

هذا، والباحث وجد مواضع عدة في مؤلفات الإمام السنوسي تحمل صيغ توسل الإمام بالنبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما كتبه في شرح المقدمات بعد كلامه السابق عن حكم التوسل، فقال: "نعوذ بوجه مولانا الكريم من كل شك وشرك ونفاق وسيء أخلاق إلى الممات بجاه نبيه وأشرف خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم."[١٦٩] ومنه قوله في خاتمة شرح العقيدة الوسطى بعد مناجاته لله: "..نتوسل إليك يا مولانا في نيل هذه المطالب كلها والإسعاف بكل مرغوب ومرام بشرف ذاتك العلية وصفاتك العظمى، ثم بجاه أكرم خلقك الشفيع المشفع عندك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما يتزايدان أبدا على سبيل الدوام."[١٧٠] وكذلك كان يتوسل بالنبي في خاتمة شرح العقيدة الصغرى[١٧١] وخاتمة شرح صغرى الصغرى[١٧٢] وخاتمة شرح المقدمات.[١٧٣]

---

[١٦٨] أخرجه الترمذي في سننه وقال: "حسن صحيح"، والحاكم النيسابوري في المستدرك وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه"، وصححه ابن خزيمة أيضا. ينظر: محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الكبير**، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨)، ج٥، ص٤٦١؛ الحاكم النيسابوري، **المستدرك**، ج١، ص٤٥٨؛ أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.)، ج٢، ص٢٢٥.

[١٦٩] السنوسي، **شرح المقدمات**، ص١٧٢.

[١٧٠] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٥٦٩—٧٠.

[١٧١] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص١٤٤١، ٣٣٨—٣٩.

[١٧٢] المرجع نفسه، ص١٤٤١، ٢٥٤.

[١٧٣] السنوسي، **شرح المقدمات**، ص٢٨٤.

أما التوسل بالأولياء فقد اعتبره الإمام السنوسي من تعظيم حرمات الله حيث قال في المواهب القدوسية: "اعلم أن من احترم وليا أو توسل بولي فقد عظّم حرمات الله. وإكرامهم دليل على تعظيم شعائر الله. هذا للمتوسل بهم، فكيف المخصوص بحرمتهم المواظب على زيارتهم والمتضرع بالبكاء عند قبورهم وساحتهم المجاور بالسكنى قريبا من ناحيتهم. ولا شك أن من انتمى إلى ولي أو جاوره فله الحرمة على كافة الأنام على ما ثبت من حديث[١٧٤] الجار عن سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. وقد أكد جبريل عليه السلام الوصية بذلك حتى ظن سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أن سيورثه كما ورث الآباء والأبناء والأعمام[١٧٥]... فحرمة أولياء الله تعالى لا يقدر قدرها إلا من نور الله تعالى بصيرته وطهّر من كبر الجهال والأغبياء سريرته؛ إذ هم القوم الذين لا يشقى جليسهم، وهم أحسن الناس جوارا وإن طويت رموسهم.[١٧٦] وكيف يحرم جارهم وخديمهم من كراماتهم أو يخيب، وللأرض من كأس الكرام وأطعمتهم حظ ونصيب."[١٧٧]

هكذا كانت عقيدة الإمام السنوسي تجاه أولياء الله، وهكذا كان موقفه من التوسل بهم. وأعظم من ذلك ما ذكره بعض المترجمين له من أنه كان يقول ثقة بالله: "من كانت له إلى الله حاجة فليتوسل بنا وليقدمنا."[١٧٨] وقد جرّب ذلك تلميذه الوفي الشيخ الملالي فقال في المواهب القدوسية: "ومنها (أي من كرامات الإمام) أن من توسل بالشيخ رضي الله تعالى عنه إلى الله في طلب أمر من الأمور بنية صادقة مستحضرا حبه ومقداره غير غافل فإن الله تعالى يجيب دعائه بفضله وكرمه، وقد جرّبتُ غير ما مرة فصحّ، ولله الحمد والمنة."[١٧٩] والله أعلم.

---

[١٧٤] في (ح): "حرمة".

[١٧٥] وهذه الوصية مذكورة في حديث صحيح رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ما زالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجارِ حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ." ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ١٣١٢، ج٨، ص١٠.

[١٧٦] أي: قبورهم.

[١٧٧] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص١٣.

[١٧٨] ابن مريم، **البستان**، ص٢٤٥.

[١٧٩] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص٣٣.

**المطلب الثالث: الخلوة الصوفية**

اعتقد الصوفية أن الخلوة أصلها حديث صحيح عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء..."[١٨٠]

قال الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث: "أما الخلاء فممدود وهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين. قال أبو سليمان الخطابي[١٨١] رحمه الله: حببت العزلة إليه صلى الله عليه وسلم لأن معها فراغ القلب وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتخشع قلبه. والله أعلم."[١٨٢] فهم الباحث من هذا الكلام أن الصوفية يعتبرون تحنث النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء قدوة لهم في الخلوة التي يمارسونها، فيختلون بأنفسهم ويعتزلون الناس رجاء الحصول على فراغ القلب الذي يعينهم على التفكر وخشوع القلب. وقصدهم من وراء ذلك هو تطهر القلب من أدناس ملابسة المخلوق وإفراد القلب لذكر واحد وحقيقة واحدة.[١٨٣]

ومن خلال قراءة الباحث لكتب الإمام السنوسي اتضح له أن الإمام السنوسي كان من العلماء الذين يجيزون عمل الخلوة، بل كان يحضّ الناس عليها، فقال في شرح العقيدة الوسطى: "ولا خفاء أن التحصن من المفاسد في هذا الزمان الذي فاض فيه على البسيطة كلِّها

---

[١٨٠] البخاري، **صحيح البخاري**، ج١، ص٧.

[١٨١] هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الإمام أبو سليمان الخطابي البستي، كان إماما في الفقه والحديث واللغة، أخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي وأبي علي بن أبي هريرة. ومن تصانيفه معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، وله غريب الحديث وشرح الأسماء الحسنى وكتاب العزلة وكتاب الغنية عن الكلام وأهله وغير ذلك. توفي ببست في ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. تنظر ترجمته في: تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى** (الجيزة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ)، ج٣، ص٢٨٢.

[١٨٢] أبو زكريا يحي بن شرف النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢)، ج٢، ص١٩٨.

[١٨٣] زروق، **قواعد التصوف**، ص١٨٥.

عبابُ الفتن وعمّتها سحائب المخالفات إنما يكون للمرء –بعد تحصيله ما يحتاج إليه في أصل الدين وفرعه– بملازمة الخلوة والاعتزال عن الناس جملة وإخمال الذكر جدا."[١٨٤] فاعتبر الخلوة والعزلة سبيلا للتحصن من مفاسد الزمان، ولكن لا بد لمن يريد الدخول في الخلوة من تعلم ما يحتاج إليه من علم العقيدة والفقه قبل خلوته. فإحكام العقيدة والشريعة مقدّم عند الإمام السنوسي من الخلوة؛ عملا بأساس انبناء التصوف على العقيدة النقية وملازمة الحقيقة للشريعة.

ثم ذكر بعد ذلك ما ينبغي أن يلازمه صاحب الخلوة في خلوته، فقال بأن الذكر والكتاب والسنة؛ هذه الأمور الثلاثة هي التي ينبغي أن ترافق صاحب الخلوة. قال: "والعاقل الموفق في هذا الزمان من جعل أنيسه في خلوته ذكر مولاه جل وعز، وتلاوة كتابه العزيز، والنظر في جوامع كلم نبيه عليه الصلاة والسلام."[١٨٥] فوصف صاحب الخلوة الذي يلازم هذه الأمور الثلاثة بالعقل والتوفيق؛ فالأول يدل على كمال طبيعته حيث إن قيمة الإنسان بعقله، والثاني يدل على كمال العناية الإلهية به إذ لا يتصور وجود عمل صالح بدون التوفيق من الله تعالى.

ويؤكد موقف الإمام السنوسي الإيجابي من الخلوة ما نقل الملالي عن حاله رضي الله عنه حيث قال: "كان مشتغلا في جل الأوقات بكثرة الأوراد والطاعات ولزوم الخروج إلى الخلوات وتعليمه العلم النافع."[١٨٦] فعبّر عن حال خلوة شيخه بـ"اللزوم" الذي يفيد أن الخلوة كانت من العوائد التي اعتاد عليها شيخه الإمام السنوسي في حياته. هذا، ولم تنحصر ممارسة الخلوة الصوفية عند الإمام السنوسي في دائرة الذكر وتلاوة القرآن وتدبر الأحاديث فحسب، بل تتعدى تلك الممارسة إلى دائرة العلم حيث صرّح الإمام –كما نقل عنه تلميذه الملالي– بأنه استعان بالخلوة لأجل وضع شرحه على المختصر المنطقي للإمام ابن عرفة. قال رضي الله عنه: "وقد تعبتْ نفسي كثيرا في حلّ كلام ابن عرفة في مختصره هذا لصعوبته في غاية، ولا استعنت على هذا الشرح إلا بالخلوة."[١٨٧] فهذا الذي فعله الإمام السنوسي في خلوته يدل على أن

---

[١٨٤] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٥٦٤.

[١٨٥] المرجع نفسه، ص٥٦٤.

[١٨٦] الملالي، **"المواهب (ح)"**، ص١٢١.

[١٨٧] المرجع نفسه، ص١٢٠.

الخلوة في نظر الصوفية لا يقصر نفعه على ملازمة ذكر واحد فقط، بل قد يكون نفعه معرفة حقيقة من الحقائق.

**خاتمة**

بعد تجوال علمي في هذا الباب، حصلت للباحث الاستنتاجات الآتية:

أولا: أن التصوف شيء بارز في حياة الإمام السنوسي وفي كلامه ومؤلفاته حتى يستطيع المتأمل في كلامه الإحساس بوجود أثر التصوف فيه، ويستطيع المدقق الغارق في كلامه وجميع مقالاته استخراج القواعد والأسس التي تكوّن فكره الصوفي. ولأجل ذلك لا غرابة في كونه معروفا بأنه من المنقطعين إلى الله عند أهل بلدته المغرب.[١٨٨]

ثانيا: لم يكن شغف الإمام السنوسي بعلم العقيدة شغف الهوى والميل الطبيعي. وإنما هو شغف مبني على وعيه بأن التصوف الصحيح لا يكون بدون التمكن في العقيدة الصحيحة النقية. وكأن تفضيله لعلم العقيدة على سائر العلوم –ومن بينها علم التصوف– وإطعامه كتبه الكلامية بأفكار صوفية هو في الحقيقة تلويح منه وإشارة إلى ضرورية الجمع والتوفيق بينهما.

ثالثا: بناؤه لتصوفه على العقيدة النقية ومتابعة السنة المطهرة وملازمة الحقيقة للشريعة هو بمثابة عملية غربلة علم التصوف في زمانه وفيما يليه من الأزمنة حيث تنفي هذه الأسس عن التصوف الصحيح ما يخالطه من الأوهام والأخطاء والبدع التي أدخلها فيه المنتسبون المدعون بدعاوي باطلة.

رابعا: بناؤه لتصوفه على قاعدة حسن الظن بأهله ووجوب اتخاذ الشيخ المربي لسالك هذا الطريق يكون بمثابة حصن حصين للتصوف الصحيح من أن يتجرأ على طعنه وهدم معالمه والتلاعب بكلام أكابره مَن لم يتأهل لمناقشة فِنّهم وعلمهم لفقدانه شرط سلامة الصدر تجاه أهله قبل غيرهم وفقده شرط صحبة أهله والدخول فيه من بابه.

خامسا: أن للأولياء والولاية في نظر الإمام السنوسي مكانة خاصة حيث إنه كان يقيد جميع نظريات التصوف بهم؛ فجعل الولاية شرطا أساسيا في دعوى حصول مراتب التوحيد والكرامة والعلم الذوقي وغير ذلك من النظريات الصوفية.

---

١٨٨ الشفشواني، **دوحة الناشر**، ص١٢٢.

سادسا: قدرة الإمام السنوسي على مناقشة قضايا نظرية عويصة كمراتب التوحيد والمكاشفة وحرمان إفشاء العلوم عند الصوفية تدل على طول باعه في المجال وتمكنه فيه. وذلك ينادي بالاعتماد على مذهبه ورأيه في التصوف، بعد أن نادانا تبحره في التوحيد بالاعتماد على مذهبه ورأيه في العقيدة. وبتلبية هذا النداء يتم التوفيق بين التصوف والعقيدة.

سابعا: لم يتكلم الإمام السنوسي في المجال التصوفي بلغة الذوق والشطح، بل غالب كلامه فيه متصف بالفقه والشريعة، أو بنفس عقدي عالٍ كما سنراه في الباب الخامس الآتي. وهذا هو الذي يجعل الباحث لم يواجه كثير إشكال في فهم ومناقشة كلامه.

ثامنا: إذا كانت المسألة التصوفية التي أراد الإمام نقاشها لها تعلق بالعقيدة، نقل مناقشتها من ساحة التصوف إلى دائرة علم الكلام تنبيها على أهمية مراعاة الجانب العقدي فيها لأجل التوفيق بين العلمين. وهذا مثل ما فعل مع مسألة التوسل حيث ناقشها في شرح المقدمات التي هي أحد كتبه في العقيدة.

تاسعا: لم يرتض الإمام السنوسي لنفسه التقليد في أعمال التصوف، فقام بتأصيل جميع المسائل التي استشكلت عليه تأصيلا أصوليا تارة، وتأصيلا حديثيا أو قرآنيا تارة أخرى. وكذا لم يكن دأبه التقليد في ممارسة هذه الأعمال، لذلك نجده يستخدم الخلوة كآلة لحل مشكلات الكتاب الذي يريد شرحه.

عاشرا: أن لأسس التصوف السنوسي الخمسة قدرة على مناقشة هذه القضايا كلها. هذا مع أن المصادر التي اعتمد عليها الباحث في استخراج هذه الأسس إنما هي اثنان فقط؛ نصرة الفقير والمواهب القدوسية. فكيف إذا وُوصل هذا الجهد واستُخرج جميع أسسه من كتبه الباقية؟

# الباب الخامس

# مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة في كتابي نصرة الفقير والمواهب القدوسية

**مقدمة**

إن الحديث عن التوحيد وصلته بالتصوف ليس بأمر جديد. وذلك لأن علماء التصوف عبر القرون الماضية قد أشاروا إلى قضايا توحيدية في مؤلفاته الصوفية. ويمكن للباحث أن يذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر بعض أسماء هؤلاء ومؤلفاتهم ليقف القارئ على هذه الحقيقة. منهم الإمام أبو نصر عبد الله السراج الطوسي[١] (ت. ٢٧٨هـ) صاحب كتاب اللمع. فقد أشار في هذا الكتاب إلى أن بعض الفرق ضلّت لأجل توهمهم أن الحرية أفضل من العبودية، فأدى وهمهم هذا إلى إسقاط العبودية لله. فقال السراج بأن هذه الضلالة إنما نتجت عن قلة فهمهم وعلمهم وتضييعهم لأصول الدين.[٢]

ومنهم الإمام الجنيد البغدادي (ت. ٢٩٨هـ) الذي تكلم في بعض رسائله عن مراتب التوحيد كما سبق ذكره في الباب الرابع. ومنهم الحكيم الترمذي (ت. ٣٢٠هـ) القائل في كتابه نوادر الأصول: "إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود ظهر له وداده وكرمه وبره فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته. فإذا جاءت شهوات النفس سبيلا إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت فأي خسران أعظم من هذا."[٣] ومنهم صاحب الرسالة القشيرية الإمام أبو القاسم القشيري (ت. ٤٦٥هـ) الذي شهد لشيوخ الصوفية بابتناء أصولهم

---

[١] عبد الله بن عَليّ بن يحيى الطوسي الصُّوفِي، كان شيخ الصوفية، على طريقة السنة. ملقب بطاووس الفقراء وتنقل بين بلاد كثيرة، منها القاهرة، وبغداد، ودمشق، والرملة، ودمياط، والبصرة، وتبريز، ونيسابور. له كتاب اللمع في التصوف، وهو بمثابة موسوعة في تاريخ التصوف الإسلامي وطبقات الصوفية وعلومهم ومصطلحاتهم وأقوالهم وأحوالهم. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص١٠٤؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٧، ص١٨٢.

[٢] السراج، **اللمع**، ص٥٣١.

[٣] محمد بن علي الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم**، (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ج٣، ص٥١.

على قواعد العقائد.[٤] ومنهم الإمام الغزالي كما سبق بيان رأيه في مراتب التوحيد.[٥] ومنهم الإمام أبو نعيم الأصبهاني[٦] (ت. ٤٣٠هـ) القائل: "فمباني المتصوفة المتحققة في حقائقهم على أركان أربعة: معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة النفوس وشرورها ودواعيها، ومعرفة وسواس العدو ومكائده ومضاله، ومعرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها، وكيف الاحتراز منها والتجافي عنها."[٧]

ومنهم أيضا صاحب عوارف المعارف؛ شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي[٨] (ت. ٦٣٢هـ)، وصاحب الحكم؛ الإمام ابن عطاء الله السكندري (ت. ٧٠٩هـ)، وصاحب المدخل؛ الإمام ابن الحاج (ت. ٧٣٧هـ)، وصاحب قواعد التصوف؛ الشيخ زروق الفاسي (ت. ٨٩٩هـ)، وصاحب الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية[٩]؛ الإمام عبد الوهاب الشعراني (ت. ٩٧٣هـ)، وصاحب المكتوبات الربانية؛ الإمام السرهندي (ت. ١٠٣٣هـ) وصاحب خمرة الحان ورنة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان؛ الشيخ عبد الغني النابلسي[١٠] (ت. ١١٤٣هـ)، وشارح المباحث الأصلية؛ الشيخ ابن عجيبة التطواني (ت. ١٢٢٤هـ). واللائحة طويلة وعريضة، ولكن ما ذكره الباحث هنا يكفي ليثبت اهتمام الصوفية بمبحث

---

[٤] القشيري، **الرسالة القشيرية**، د.ت، ج١، ص١٩.

[٥] الغزالي، **الإحياء**، ج٨، ص٢٠٢—٤.

[٦] أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الإمام الحافظ، الثقة العلامة، شيخ الإسلام، أبو نعيم، المهراني، الأصبهاني، الصوفي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مائة، ومصنفاته كثيرة جدا منها كتاب الحلية، والمستخرج على الصحيحين، وتاريخ أصبهان، وكان حافظا مبرزا عالي الإسناد، توفي في العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربع مائة وله أربع وتسعون سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ص٤٥٣.

[٧] الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج١، ص٢٤.

[٨] عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله – وهو عمويه – بن سعد بن حسين القرشي، التيمي، البكري، السهروردي، الصوفي، ثم البغدادي، ولد في رجب، سنة تسع وثلاثين وخمس مائة، صحب عمه، وسلك طريق الرياضات والمجاهدات، وقرأ الفقه والخلاف والعربية، وسمع، ثم لازم الخلوة والذكر والصوم إلى أن خطر له عند علو سنه أن يظهر للناس ويتكلم، فتاب ووصل به خلق إلى الله. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٢، ص٣٧٤.

[٩] ينظر مثاله في هذا الكتاب ١: ٧٨.

[١٠] عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي؛ شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف، له مصنفات كثيرة جدا، منها الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية وتعطير الأنام في تعبير المنام وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٣٢.

التوحيد. ولعل هذا الاهتمام هو الذي جعل بعض المستشرقين رأى بأن التصوف الإسلامي هو محاولة الوصول إلى الخلاص الفردي من خلال الوصول إلى التوحيد الحقيقي.[١١]

وإذا تبين هذا الأمر وثبت اهتمام الصوفية بالعقيدة والتوحيد فما الذي يحوج الباحث إلى دراسة هذا الموضوع وحصره في الإمام السنوسي؟ نعم، الأمر كما يقال، ولكن الذي يميز الإمام السنوسي من هؤلاء الصوفية هو أنه استطاع أن يُظهر هذه الصلة الموجودة بين علم التوحيد وعلم التصوف في مظاهر مختلفة، كل واحد من هذه المظاهر يقول بلسان حاله إن هذا الإمام هو النموذج الأمثل في التوفيق بين التصوف والعقيدة. ولأجل بيان هذه الميزة التي تمتّع بها الإمام السنوسي أنجز الباحث هذا الباب الخاص للكلام عن مظاهر التوفيق بين العلمين.

يعتبر هذا الباب لُبَّ هذه الرسالة وعصارة ما ينتهي إليه الباحث في دراسة هذا الموضوع. وسوف يتناول الباحث في هذا الباب أربعة مظاهر للتوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي من خلال الكتابين "نصرة الفقير" والمواهب القدوسية". وهذه المظاهر الأربعة هي:

١. العقل كجسر التوفيق بين التصوف والعقيدة
٢. إخضاع تعاليم التصوف لقوانين العقيدة
٣. العقيدة والتصوف يفسر أحدهما الآخر
٤. التمثيل بالمثال الإيماني للمسألة التصوفية

إن العقل في نظر الإمام السنوسي له وظيفة كبيرة في التوفيق بين التصوف والعقيدة حيث يستطيع العقل أن يربط بين الذكر الذي هو مبتغى الصوفية وبين معاني التوحيد التي يرومها المتكلمون. وباستطاعة العقل أيضا أن يثمر التقوى التي هي مرتبة فوق مجرد الإيمان، كما أنه يمكن أن يكون بذرا للأخلاق المحمودة لمن استخدم عقله لتذوّق معاني العقيدة التي يؤمن بها. وسوف يناقش الباحث هذه النقاط الثلاثة تحت المظهر الأول للتوفيق الذي يحاول الباحث من خلاله إظهار وظيفة العقل كجسر التوفيق بين التصوف والعقيدة.

أما المظهر الثاني القائل بإخضاع تعاليم التصوف لقوانين العقيدة فسوف يتجلى ذلك في كيفية تأديب الأولاد عند الإمام السنوسي التي تتأسس هذه الكيفية على قاعدة كلامية

---

[١١] Annemarie Schimmel, *Mystical Dimensions of Islam* (Chapel Hill: The University of North Carolina Press, ١٩٧٥), p٢٣.

مهمة وهي معرفة حقيقة أفعال العباد عند أهل السنة والجماعة. وسوف يرى القارئ أيضا كيف استعان الإمام السنوسي بفهم حقيقة أفعال العباد لدفع غرور المتعبدين في عباداتهم وكيف قام الإمام السنوسي بمداواة داء الكبر ومعالجته بفهم هذه الحقيقة.

ثم سيأتي الكلام بعده عن المظهر الثالث للتوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي الذي هو عبارة عن تكامل هذين العنصرين بعضهما بعضا واحتياج أحدهما إلى الآخر. وسيظهر ذلك في مظهر تأويل الإمام السنوسي للنصوص الصوفية بتأويلات عقدية كتأويله للنص المشكل من كلام الإمام الغزالي وتفسيره لأبيات بعض الصوفية. ويكتفي الباحث بالإشارة إلى المواضع التي ورد فيها تفسيره للنصوص الكلامية بالإشارات الصوفية دون سوق كلامه لأنه ذكر ذلك في كتبه العقدية التي ليست من موضوع دراسة الباحث في هذه الرسالة.

وأخيرا، سيتكلم الباحث عن المظهر الأخير لتوفيق الإمام السنوسي بين التصوف والعقيدة؛ وهو تمثيله لمجاهدة النفس التي هي من صميم علم التصوف بمجاهدة الكافر الحربي. ولا شك أن الكفر والإيمان من صميم موضوع علم العقيدة. وبهذا ينهي الباحث دراسته لهذا الموضوع المهم الذي سيحلّ مشكل هذا البحث بإظهار مشروع الإمام السنوسي الهادف إلى الجمع بين التصوف والعقيدة وتبيين نقاط التوافق والتناسق والتكامل بينهما. وبالله التوفيق.

### المظهر الأول: العقل كجسر التوفيق بين التصوف والعقيدة

إن المشتغلين بتراث علم الكلام الأشعري على سبيل العموم سيجدون للعقل وحججه مكانة بارزة عند المتكلمين الأشاعرة أمثال حجة الإسلام الغزالي وسعد الدين التفتازاني. فقد أفصح الأول في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" بأن الوحي والعقل بمثابة الشمس والبصر؛ لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر في السير.[١٢] وقرر الثاني في كتابه "شرح النسفية" أن العقل سبيل من سبل إدراك العلوم.[١٣] ولذلك لا غرابة في كون الإمام السنوسي نهج هذا المنهج في تآليفه العقدية

---

[١٢] محمد بن محمد الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد** (جدة: دار المنهاج، ٢٠١٢)، ص٦٦.

[١٣] أقام الإمام التفتازاني في شرحه للعقائد النسفية حجة على أن العقل سبب للعلم لأجل أن يرد على السوفسطائيين القائلين بعدم إفادة العقل للعلم، فقال عند قول الإمام النسفي "فهو (يعني به العقل) سبب للعلم أيضا" ما نصه: صرح بذلك لما فيه من خلاف السُّمْنِيّة في جميع النظريات وبعض الفلاسفة في الإلهيات، بناء على كثرة الاختلاف وتناقض

خصوصا فيما كتبه في متن عقيدته الصغرى حيث إن أول ما ذكره فيها هو قوانين الحكم العقلي الثلاثة؛ الوجوب والاستحالة والجواز[١٤]، وجعل تلك القوانين أصلا ينبني عليه جميع المسائل الاعتقادية. وفي تقديمه تلك القوانين على المباحث الاعتقادية إنباءٌ بمكانة العقل في علم الاعتقاد وإعلامٌ بقوة ارتباط علم الكلام بالعقل.

هذا الأمر يكاد أن يكون معلوما بالضرورة عند من يشتغل بتراث علم الكلام السنوسي، ولكن الذي يغيب عن علم أكثر الناس هو أن الإمام السنوسي صرّح بأن صاحب العقل حقيقةً هو الذي يتأمل عاقبة أمره وما سيلقاه في الدار الآخرة. هذه الحقيقة المهمة اكتشفت من خلال قراءة الباحث لكتاب المواهب القدوسية. قال الإمام السنوسي فيه: "لو كان الإنسان عاقلا حقيقة لتأمل ما هو قادم عليه عن قريب وعظائم وأهوال لا يستطاع سماعها، فكيف بمباشرتها والاتصال بها؟!"[١٥] وقال أيضا: "..فإذا عرف أنه يلقى هذه الأهوال عن قريبٍ عظُم خوفه وحُزنه واستعدّ لها إن كان عاقلا وترك كلَّ شاغل يشغله عنها من لذة وشهوة دنيوية."[١٦]

بالمقارنة بين هذا النص وما أورده الإمام في عقيدته الصغرى، استنتج الباحث أن وظيفة العقل عند الإمام السنوسي لا يتحدد في معرفة الواجب العقلي والمستحيل العقلي والجائز العقلي فقط. بل للعقل دور آخر لا يقل أهميةً عن دوره السابق، وهو معرفةُ أهوال يوم القيامة واليقينُ بلقاء هذه الأهوال. ثم هذه المعرفة واليقين سيبعثان صاحب العقل إلى المبادرة بالاستعداد للأهوال وترك اللذة والشهوة الدنيوية اللتين تشغلانه عن الاستعداد والتزود لمواجهة أهوال يوم الآخرة.

هذا الدور الثاني للعقل له شائبة علم التصوف كما أن الدور الأول للعقل له شائبة علم التوحيد. ويجمع هذين البُعدين ويسهّل التوفيق بينهما أن العقل عندما يحكم بوجوب الواجبات

---

الآراء. والجواب أن ذلك لفساد النظر؛ فلا ينافي كون النظر الصحيح من العقل مفيدا للعلم، على أن ما ذكرتم استدلال بنظر العقل؛ ففيه إثبات ما نفيتم، فيتناقض." ينظر تفصيل هذه المسألة في: رمضان بن محمد الحنفي، مصلح الدين بن محمد القسطلاني، و شمس الدين أحمد بن موسى الخيالي، *المج***موعة السنية على شرح العقائد النسفية**، تحقيق مرعي حسن الرشيد (لبنان: دار نور الصباح، ٢٠١٢)، ص١٥٤–٥٦.

[١٤] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص٨٩.

[١٥] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٦٦.

[١٦] المرجع نفسه، ص٦٦.

فإنه يحكم على هذا الأمر المعيّن بأنه لا يتصور في العقل عدمُه.[١٧] وذلك كالتحيز للجرم؛ فإن العقل لا يدرك انفكاك الجرم عن التحيز، ولا يتصور انعدام التحيز مع بقاء الجرم. ومثله ثبوت القدم لله تعالى؛ فإن العقل لا يدرك انفكاك القدم عن الله لأن تصور عدم البقاء له تعالى سيؤدي إلى حدوثه، ثم يؤدي حدوثه إلى الدور والتسلسل الواضحي الاستحالة.[١٨]

إلى هنا يتكون في ذهن الباحث والقارئ مفهوم الواجب العقلي الذي هو ما لا يتصور في العقل عدمه. ولكن ما علاقته بأهوال يوم القيامة؟ أليست تلك الأهوال بل القيامة نفسها من الممكنات الجائزات التي يمكن أن يخلقها الله ويمكن له تعالى أن لا يخلقها؟ نعم، الأمر كذلك. ولكن لَمَّا أخبر الله في كتابه بوقوع القيامة وأخبر النبي في الأحاديث بوجود تلك الأهوال صار الأمر واجبا بسبب إخبار الله أنه سيُوجدها وبسبب إخبار النبي عن وقوعها.

يعني الباحث أن أهوال القيامة جائزة الوقوع في العقل بالنظر إلى حقيقة ذاتها، ولكنها واجبة الوقوع في العقل بالنظر إلى الإخبار عنها وإرادة الله لها ووعده بها. هذا ما سماه الإمام السنوسي بالواجب العرضي، وهو مقابلٌ للواجب الذاتي السابق تعريفه. قال الإمام في شرح المقدمات: "وأما الواجب العرضي –وهو ما يجب لتعلق إرادة الله تعالى به كتعذيب أبي جهل– فإنه بالنظر إلى ذاته جائز يصح في العقل وجوده وعدمه، وبالنظر إلى ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه من إرادة الله تعالى لعذابه هو واجب لا يتصور في العقل عدمه."[١٩]

وبهذا ظهر أن التوفيق بين البعد الصوفي المتمثل في استشعار قرب مباشرة أهوال الآخرة وبين البعد العقدي المتمثل في معرفة وجوب الواجبات أمر ممكن ومتيسر بوجود جسر الحكم العقلي. وظهر أيضا أن البعد الصوفي هنا أقوى من البعد العقدي؛ إذ الإمام السنوسي لا يعتبر شخصا ما عاقلا –ولو استوعب وجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات– ما لم يتيقن بأنه سيباشر أهوال القيامة، وما لم يستعد لمباشرتها. ولعل التفسير المنطقي لتفضيله للبعد التصوفي على البعد العقدي هنا هو أن استشعار قرب مباشرة الأهوال والتيقن بها

---

[١٧] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص٨٩.

[١٨] المرجع نفسه، ص١٢١–٢٢.

[١٩] السنوسي، **شرح المقدمات**، ص١٤١.

والاستعداد لها هو بعينه تطبيق عملي لما يفهمه الشخص من أقسام الحكم العقلي الثلاثة؛ فسوء التطبيق للحكم العقلي وعدم التصرف على مقتضاه يدل دلالة واضحة على عدم إتقان الشخص لهذا الحكم أو جهله بحقيقته ولو حفظه حفظا عن ظهر قلبه.

هنا خالف الإمام السنوسي أرباب علم الكلام حيث جعل العقل علما وعملا؛ لأنه اعتبر المتأمل في أمور الآخرة والمستعد لها بعد المعرفة واليقين بوجوب وقوعها عاقلا حقيقة. بينما المتكلمون جعلوه علما مجردا عن العمل حيث قال لسان المتكلمين والناطق باسمهم القاضي أبو بكر الباقلاني في حد العقل: "إنه علم ضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات."[٢٠] فالعقل عند الإمام السنوسي مركب من العلم والعمل، أو بعبارة أدقّ أنه مركب من شيئين:

- العقل النظري الذي عرّف به الإمام الباقلاني العقل آنفا،
- والعقل العملي الذي هو قوةٌ محرّكةٌ للنفس نحو ما تختاره لأجل الوصول إلى غاية ممدوحة سواء كانت مظنونة أو معلومة. وهذه القوة سميت عقلا لكونها مؤتمرة للعقل ومطيعة لإشاراته.[٢١]

وقد أكّد حجة الإسلام الغزالي على ثبوت هذا العقل وعلى أهميته في كتابه "معيار العلم" إلا أنه لم يجعله شطرا للعقل كما صنعه الإمام السنوسي، ولا يعده شرطا لكمال العقل. وإنما هو عنده قوة أخرى مغايرة للعقل.[٢٢] والباحث يرى أن ما صنعه الإمام السنوسي من جعل العقل متكونا من شطرين؛ العقل النظري والعقل العملي، هو الأوفق والأنسب لفكرة التوفيق بين العقيدة والتصوف التي آمن بها كل من الإمام السنوسي والإمام الغزالي رحمهما الله. لا سيما أن الإمام الغزالي قرر بأن العقل العملي يتقوى بالرياضة والمجاهدة والمواظبة على مخالفة الشهوات. فقوله هذا يدل على شديد الصلة بين هذا العقل وبين التصوف. وهذا نص كلامه: "فكم من عاقل يعرف أنه مستضر باتباع شهواته ولكنه يعجز عن المخالفة للشهوة، لا لقصور في عقله النظري، بل لفتور هذه القوة التي سميت العقل العملي، وإنما تقوى هذه القوة بالرياضة والمجاهدة

---

[٢٠] محمد بن محمد الغزالي، **معيار العلم**، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج (جدة: دار المنهاج، ٢٠١٦)، ص٣٤٦.

[٢١] ا المرجع نفسه، ص٣٤٧.

[٢٢] المرجع نفسه، ص٣٤٧.

والمواظبة على مخالفة الشهوات."[٢٣] فاتضح بهذا كله أن العقل هو المظهر الأكبر للتوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي، وهو الجسر الموصل بين هذين العلمين.

### ١. علاقة العقل بالذكر في التوفيق بين التصوف والعقيدة

سبق للباحث توضيح مكانة العقل في علم العقيدة عند الإمام السنوسي، وذكر هنالك أن العقل كان يحل محل القاعدة الأساسية التي ينبني عليها جميع المسائل الاعتقادية؛ فعلاقة العقل بالاعتقاد علاقة الأصل بالفرع. وإذا كانت هذه هي علاقة العقل بالعقيدة، فما هي علاقته بالذكر؟ وكيف يتم للعقل توفيق العقيدة والتصوف من خلال الذكر؟

يدل على علاقة العقل بالذكر ما قاله الإمام السنوسي في آخر متن العقيدة الصغرى حيث قال: "فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها[٢٤] مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر."[٢٥] فجعل ذكر كلمة التوحيد أمرا محتّما على العاقل حيث صاغ الأمر بالذكر بقوله "فعلى العاقل" الذي يفيد معنى "فليلزمِ العاقلُ الإكثارَ من ذكرها". ثم الباحث وجد الإمام السنوسي في شرحه على العقيدة الصغرى كان يركز على العقلاء عند حديثه عن فضل كلمة الشهادة، فقال: "فاعلم أنه لو لم يكن في بيان فضلها إلا كونها عَلَمًا على الإيمان في الشرع، تعصم الدماء والأموال إلا بحقها، وكونُ إيمان الكافر موقوفا على النطق بها لكان كافيا للعقلاء. كيف وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة.[٢٦]

فعلاقة العقل بالذكر –وخصوصا ذكر "لا إله إلا الله"– علاقة المقتضِي بالمقتضَى؛ يعني الباحث أن العقل بما فيه من فهمٍ واستيعابٍ وإيقانٍ للأوصاف الألوهية وما خضع له وانقاد إليه وأقرّه من تضمن كلمة "لا إله إلا الله" لهذه المعاني التوحيدية الشريفة، يقتضي ويتطلب من صاحبه أن يُكثر من ذكر هذه الكلمة. فكأن العقل لا يكتفي بإعمال قوته النظرية فقط في

---

[٢٣] الغزالي، **معيار العلم**، ص٣٤٧.

[٢٤] يعني كلمة "لا إله إلا الله".

[٢٥] السنوسي، **شرح الصغرى**، ص١٠٠.

[٢٦] المرجع نفسه، ص٣٠٦.

ميدان التوحيد، بل يريد أن يستفرغ جميع ما يملك من قوة؛ فيقوم بحَثِّ قوته العملية على الغوص في ميدان الذوق لهذا التوحيد بإكثار ذكره. فهاهنا شغلان للعقل؛ أحدهما معرفة أوصاف الرب التي تكون بالعقل النظري، وثانيهما الإكثار من الذكر الذي يكون بالعقل العملي. فحصل بهما استخدام جميع طاقة العقل، وتم على يد الإمام السنوسي التوفيق بين العقيدة والتصوف في هذه المسألة.

ورجوعا إلى موضوع دراسة الباحث، فإن الباحث وقف على قول للإمام السنوسي في كتابه "نصرة الفقير" يحيل مضمونه إلى أن الإمام في هذا الكتاب ذهب إلى معنى أبعد؛ وهو أن العاقل ليس واجبه أن يعظّم شأن الذكر فقط، بل عليه أن يعظم شأن الذاكرين أيضا ويتمسك بمبدأ حسن الظن تجاه الذاكرين من غير أن يلتفت إلى مقاصدهم ونياتهم من الذكر أصحيحةٌ هي أم فاسدة. لذلك يراه الباحث يوجّه اعتراضه القاسي نحو أبي الحسن الصغير لكونه يرد على الذين يتداولون بالذكر ويرفعون أصواتهم به ويجتمعون له، فكان الإمام السنوسي يعدّ أبا الحسن فاقدَ العقل مطموسَ البصيرة حيث قال: " فلو كنت عاقلا منوّر البصيرة لاكتفيتَ منهم بالذكر على أي وجه ذكروا سواء كانوا صادقين أو كاذبين."[٢٧]

في هذا الكلام سؤالان ينبغي مناقشتهما لأجل أن يُفهم موقف الإمام السنوسي من التوفيق بين العقيدة والتصوف من خلال الذكر. وهما:

١. لماذا عمّم الإمام السنوسي الذكر هنا ولم يحصره في ذكر كلمة التوحيد فقط؟
٢. لماذا قال الإمام السنوسي بأن العاقل الذي نور الله بصيرته لا يفرق بين حال الصادق والكاذب من أهل الذكر؟

أما السؤال الأول فالجواب عنه أن سياق الحديث في "العقيدة الصغرى" كان عن معاني الصفات الإلهية، وكان أجمع الكلمات لمعانيها كلمة التوحيد، فخصّ الكلام بها هنالك. وسياق الحديث في "نصرة الفقير" الرد على من أنكر بعض هيئات أهل الذكر مع اعترافه بالذكر[٢٨]، فنبه الإمام هنا إلى أن الذكر على سبيل العموم له فضل يغطي ذلك الجانب السلبي إن وُجد،

---

[٢٧] السنوسي، "**نصرة الفقير (س)**"، ص٥.

[٢٨] صرح بذلك أبو الحسن الصغير نفسه حيث قال في رسالته: " إنما أنكرنا من الذكر ما يكون بالمداولة، لا الذكر بنفسه." ينظر: الصغير، "**رسالة في ذم البدعة وأهلها**"، ص٢٢٦.

وكيف إذا لم يوجد ذلك؟ وسيأتي الحديث عن هذا الفضل في جواب السؤال الثاني. هذا إذا أراد الباحث أن يجيب عن السؤال بالنظر إلى سياق كلام الإمام.

ولكن الباحث يرى أن هناك سرا عجيبا في تعميم الإمام السنوسي للذكر من حيث استحقاقُه للتعظيم واستحقاقُ ذاكريه للاحترام. وهذا السر هو أنه كمتكلمٍ يرى أن معاني الإيمان والتوحيد تُلازم الأذكار عموما. وقد سبقه إلى هذا المعنى أهل الكلام من المشرق والمغرب، منهم سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام الشافعي.

فإنه ذكر في رسالته المسماة بـ"الملحة في اعتقاد أهل الحق" ما مفاده أن عقيدة الإمام الأشعري متضمنة لمعاني أسماء الله التسعة والتسعين، وهذه الأسماء مندرجة في أربع كلمات معروفة بالباقيات الصالحات. الكلمة الأولى هي "سبحان الله" المفيدة للتنزيه وسلب ما لا يليق بذاته وصفاته، فجميع أسماء السلب كالقدوس والطاهر والسلام مندرجة تحتها. الكلمة الثانية هي "الحمد لله" المفيدة لإثبات الكمال الذاتي والصفتي، فأسماء الإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير مندرجة تحتها. ثم قال بأن قولنا "سبحان الله" يعني نفينا عنه كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه، حينما قولنا "الحمد لله" يعني إثباتنا له كل كمال عرفناه. ووراء نفينا وإثباتنا شأن عظيم قد غاب عنا وجهلناه، فنروم تحقيقه بالإجمال بأن نقول "الله أكبر" أي أجلّ مما نفيناه وأثبتناه. فالأسماء المتضمنة لمدحٍ فوق معرفتنا وإدراكنا كالأعلى والمتعالى داخلة تحت هذه الكلمة الثالثة. وبعد استيعاب هذه المعاني الإيمانية استطاع الذاكر أن يتحقق بالمعبود الحق، فقال "لا إله إلا الله" وهي الكلمة الرابعة المفيدة لاستحقاقه العبودية لكونه متصفا بجميع الصفات السابقة. وهذه الكلمة تندرج تحتها الأسماء المتضمنة للجميع كالواحد والأحد وذي الجلال والإكرام.[٢٩]

هكذا رؤية أهل الكلام الأشاعرة تجاه الذكر وهكذا رأوا التوفيق بين الأذكار ومعاني الإيمان والتوحيد التي تتضمنها أسماء الله الحسنى. والإمام السنوسي منهم تعلّم وعلى طريقهم سارَ. ولكنه دائما يذهب إلى معنى أعمق حيث رأى أن الذاكر لا يقتضي ذكرُه العلمَ بالمذكور فقط، بل ويقتضي أيضا العمل بمقتضى الأسماء التي يذكرها. لذلك قال في مطلع شرحه على

---

[٢٩] عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام، **رسائل في التوحيد**، تحقيق إياد خالد الطباع (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٥)، ص١٣–١٥.

الأسماء الحسنى: "فهذه جملة مختصرة في شرح أسماء الله الحسنى وكيفية العمل بها، حتى يجمع العبد الناظر في هذه الجملة بين المعرفة بالله والعمل بأحكام الله."[٣٠] فثبت عنده أن الذكر يتضمن العلم بالله ويتطلب العمل بمقتضى أسمائه. وهذا في رأي الباحث هو التفسير المعقول لتعظيمِ الإمام السنوسي شأنَ الذكر وتحقيرِه لشأن المعترض على أهل الذكر حتى يصف هذا المعترضَ على طريق اللزوم بأنه غير عاقل؛ فإن هذه المعانيَ العظيمةَ من المعارف الإيمانية التي يتضمنها الذكر والأعمالَ الصالحةَ التي يتطلبها الذكر لا يحصل للشخص إلا بشروعه في الذكر ومباشرته ذكر الله. فالذكر هو بداية هذا الخير العظيم. والإمام السنوسي كأنه نظر مِن هذا المنطلق من دون أن يبحث في أحوال الذاكر هل هو يحقق متطلبات ذكره بعد شروعه في الذكر أم لا. والله أعلم.

أما العلة في وصف مَن فرق بين أحوال الذاكرين الصادقين وبين الذاكرين الكاذبين بأنه غير عاقل فهي أن العقل لَمَّا حكم بكون الذكر شرطًا في حصول الذوق بالمعاني الإيمانية التي يتضمنها الذكرُ وشرطًا في وجود العمل بمقتضى هذا الذوق، وعرف أن المشروط –وهو هنا الذوق والعمل– لا يتصور وجوده بدون وجود شرطه الذي هو الذكر، وعرف أيضا أن انتفاء الشرط يؤذن بانتفاء مشروطه، قضى بأن المفرّقَ بين ذكر الصادقين والكاذبين والمانعَ أحد الصنفين من الشروع في الذكر سيؤدي إلى سد سبيل ذوق معاني الإيمان عليهم؛ فوقع المانع حينئذ في خطورة منع سبيل الهداية لبعض الناس. ولا شك أن مثل هذا الفعل لا يتجرّأ على فعله إلا من ليس له عقل صحيح. وهذه العلة نفسها هي الجواب عن السؤال الثاني.

ويزيد الباحث هنا جوابا آخر على تسوية الإمام السنوسي بين الصادقين والكاذبين في الذكر؛ وذلك أن قيمة الذكر عند العلماء الربانيين أكبر من كل شيء حتى من قيمة الذاكرين أنفسهم. وقد أشار إلى هذا العلامة محمد علي بن محمد علان الصديقي (ت. ١٠٥٧هـ) في شرحه على الأذكار النووية في أحد توجيهَيهِ لتفسير قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣١]، قال: "المصدر إما مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف، والمعنى: ذكر العبدِ اللهَ أكبرُ من كل ما سواه

[٣٠] محمد بن يوسف السنوسي، **شرح الأسماء الحسنى**، تحقيق نزار حمادي (بيروت: مؤسسة المعارف، ٢٠٠٨)، ص٢٥.
[٣١] العنكبوت: ٤٥.

وأفضل منه. قال قتادة: ليس شيء أفضل من ذكر الله تعالى."[٣٢] فاتضح بهذا الكلام أن للذكر فضلا يفوق ويغطي ما للذاكر من فضائل أو مساوي، وأن هذا الفضل يؤيده العقل الصحيح كما تمّ بيانه في الفقرة السابقة قريبا. وبالجملة، أن التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي قد ظهر وتجلى بمظهر الذكر بمساعدة العقل الذي يربط بين معاني الإيمان التي يتضمنها الذكر وبين العمل بمقتضى تلك المعاني.

### ٢. ربط التقوى بالعقل كمظهر التوفيق بين العلمين

التقوى من عذاب الله والخوف من عقابه سمة من سمات أهل التصوف الحق. ولها شديد الصلة بالعقل. والإمام السنوسي ممن أقرّ بذلك حيث أورد في شرحه على العقيدة الوسطى كلاما لابن دهاق ما نصه: "التقوى ثمرة العلم، والعلم ثمرة الفكر، والفكر نتيجة العقل؛ فمن لم يرزق العقل الحصيف حرم الفكر الباحث، ومن لم يرزق فكرا باحثا حرم العلم النافع بالمعقولات، ومن لم يرزق علما بآيات الله تعالى حرم العلم بأحكام الله تعالى، ومن حرم العلم بأحكام الله تعالى لم يتصور وجود التقوى في قلبه، وكيف يتقي من لا يعلمه؟"[٣٣]

هذا النص واضح في بيان ارتباط التقوى بالعقل، وبيان أن العقل الْمُحكم والجيّد سيقود صاحبه إلى العلم بصانعه والإيمان به، وذلك هو مبتغى أهل التوحيد. ثم هذا العلم والإيمان سيُثمران لصاحب العقل تقوى الله وخوفه، وعندئذ يتحرى ما يرضي الله في جميع أفعاله وأقواله وضمائره ويتجنب ما يبغضه في ذلك كله. وفُهم بطريق العكس أن قلة العقل وعدم إحكامه يتسبب في قلة التقوى وعدم الحِفاظ على أوامر الله تعالى ونواهيه. هذا الذي أراد أن ينبه عليه الإمام السنوسي عندما يربط اعتراضَ أبي الحسن الصغيّر على أهل الطريق وترْكَ نهي أهله وأصحابه عن الكبائر بقلة العقل.

فقال: "أما اعتراضكم على المنتسبين إلى الفقر والطريق إلى الله تعالى فمِن حمقكم وقلة عقلكم؛ إذ لو عقلتم عن الله ما أمركم به لاشتغلتم بالإنكار على أنفسكم وأهليكم ومن لاذ

---

[٣٢] محمد علي بن محمد علان الصديقي، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)، ج١، ص١٠٣.

[٣٣] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٢٢٥.

بكم. وبعد ذلك تنهون عن الفحشاء من الكبائر الظاهرة من شرب الخمر والزنى وعقوق الوالدين وأكل أموال اليتامى ظلما وشهادة الزور واليمين الغَمُوس[٣٤] واللواط والكذب والخيانة والربا. وما أخذه أصحابكم من الرُّشَى عند النوازل إذ هو عين السحت."[٣٥]

لا شك أن الإهمال في اجتناب نواهي الله والتقصير في النهي عن هذه المحرمات علامة على قلة التقوى، وهي نتيجة قلة العقل. فقلة العقل تمنع المرء من معرفة الله ومعرفة أحكامه على الوجه التام، وبالتالي يؤدي هذا النقصان في المعرفة إلى قلة التقوى أو فقدانها، وذلك كما قال الإمام السنوسي آنفا في شرح عقيدته الوسطى: "وكيف يتقي من لا يعلمه؟" فالتلازم والتوفيق بين التقوى والعقل ثابت؛ فالتقوى بما فيها من خوف العذاب والعقاب واجتناب ما يجرّ صاحبها إلى ذلك تمثّل طرف التصوف، والعقل بما فيه من قوة اكتساب معرفة الله يمثل طرف العقيدة.

هذا الأمر يبدو واضحا إذا نظرنا إلى مسألة عدم الالتزام بترك المنهيات والمحرمات، ولكن ما العلاقة بين الاعتراض على أهل طريق الله وبين قلة العقل؟ الباحث يرى أن الإمام السنوسي كان يقول بذلك لأن من أسس تصوفه حسن الظن بأهل الطريق الحق حيث قال في نصرة الفقير: "مبنى طريق الصوفية كله على التسليم والتصديق، كما أن مبنى الفقه على البحث والتحقيق. فالأصل عندهم حسن الظن والتسليم حتى يتحقق الصارف، وبعد ذلك تلتمس له معاذير."[٣٦] ولما كان ردّ أبي الحسن الصغير تجاه أهل الطريق يعمّ جميعهم سواء كانوا صادقين أو كاذبين، كان حسن الظن لأهل التصوف الحق مفقودا عنه بالكلية. وحسن الظن بهم إنما هو نتيجة الفهم الدقيق والصحيح لطبيعة علم التصوف كما سبق للباحث توضيحه في الباب الرابع.

ففقدان حسن الظن بأهل التصوف دليل على عدم فهم طبيعة علم التصوف وعدم استيعاب هذه القضية، وعدم ذلك دليل على قلة العقل. وإذا كان الإمام السنوسي يصف من يُحسن الظن بأهل الله ويعتقد صدقهم بأنه قد حصل على الولاية –والأولياء هم المتقون حقيقةً–

---

[٣٤] اليمين الغموس بفتح فضم هي اليمين الكاذبة.

[٣٥] السنوسي، **"نصرة الفقير (س)"**، ص٢.

[٣٦] المرجع نفسه، ص٨.

كان مسيء الظن بهم عديمَ التقوى أو قليلها. ولعل هذا هو التفسير المنطقي لما قاله الإمام السنوسي من أن اعتراض أبي الحسن الصغير على أهل الطريق كان من حمقه وقلة عقله.

ولأجل توضيح التلازم الحاصل بين العقل والتقوى وبين قلة العقل وسوء الظن بأهل الله يورد الباحث هنا الرسم البياني الآتي:

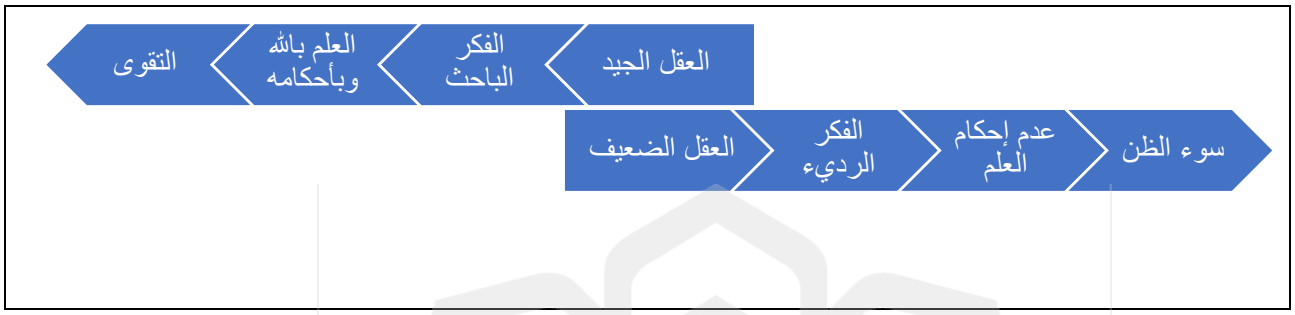


**الشكل ٢**

هذا، وقد لَمَّح الإمام السنوسي إلى الارتباط الوثيق بين العقل والتقوى في شرحه على قصيدة بعض الصوفية، وبيّن فيه العمليات التي قام بها العقل لأجل الوصول إلى اليقين والإيمان والتقوى. وتم تسجيل كلامه ذلك من قبل تلميذه الملالي حيث أورد شرحه هذا بكامله في كتاب المواهب القدوسية، قال الإمام السنوسي عند شرحه لقول بعض الصوفية "وقدّم إماما كنت أنت إمامه" ما نصه: "فمعناه أن العارف كان بعقله حال الابتداء وعند جهله البرهان القطعي على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام إمامَ الرسول؛ لأنه منه الحكم والاستدلال على صدقه. والحاكم إمام المحكوم له وعليه. فلما حكم العقل أولًا ونظر واهتدى بالبرهان القطعي إلى صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وعرف شريف رتبته عند الله تعالى احتشم في تقدمه أولًا وتقهقرى إلى وراء وعزل نفسه عن كل نظر وأسلم نفسه إلى الرسول وقدّمه أمامَه وحكّمه في ظاهره وباطنه."[٣٧]

هذا النص يفيد الباحث أن العارف بالله في ابتداء أمره وقبل أن يصل إلى مرتبة العارف بالله كان مستفرغا لطاقته الفكرية وموجّها جميع أنظاره إلى قضية الرسول لأجل أن يتمكن من الحكم عليه بالصدق أو بالكذب. وكان العارف آنذاك إماما للرسول بجعله عقلَه حاكما على

[٣٧] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٣٥٦.

صدق الرسول. ولكن بعد أن تأكد العقل مِن صدق الرسول وجزم به، آمن به العارف وأرجع نفسه إلى الوراء وجعل الرسول حاكما عليه في ظاهره وباطنه واستحى مما فعل قبلُ. وفي رأي الباحث المتواضع أن ما حصل لهذا العارف في تلك الحالة ليس مجرد الإيمان واليقين بعقله؛ إذ الإيمان حاصل أيضا لعوام المسلمين والجهلاء منهم، وإنما حصل له بسبب عقله مرتبة فوق مرتبة الإيمان وهي مرتبة التقوى.

فاتضح بهذا ارتباط العقل بالفكر الموصل إلى الإيمان، وارتباطه بالتقوى التي هي نتيجة الإيمان والفكر اللذين جاءا قبلها. وبهذا الارتباط تجلى مظهر التوفيق بين التصوف والعقيدة بطريقة توزيع عمل العقل حسب ما يوافق طبيعة مكونات العقل؛ فالعقل النظري وظيفته الفكر الموصل إلى المعرفة بالله وبرسوله وبأحكام الله، بينما العقل العملي وظيفته إعمال التقوى في الجوارح نتيجةَ إذعانه للمعارف الإلهية والنبوية التي أنتجها العقل النظري. وبهما كمل التوفيق في هذا المظهر.

### ٣. العقل بذْر الأخلاق المحمودة وطريق الوصول إلى مقام الولاية

سبق أن ذكر الباحث مرارا أن الملالي قد نقل في "المواهب القدوسية" كلاما للإمام السنوسي يتضمن من خلاله كلام ابن دهاق عن الشروط الأربعة التي يجب توفرها لدى ولي من أولياء الله تعالى. وفهم الباحث من إيراد الإمام السنوسي لكلام ابن دهاق هذا أنه وافق على هذه الشروط. وهذه الشروط هي:

١. أن يتمكن في أصول الدين.
٢. أن يتمكن في أحكام الشريعة.
٣. أن يتخلق بالأخلاق المحمودة التي يدل عليها الشرع والعقل.
٤. أن يلازم الخوف أبد الدهر.[٣٨]

وموضع تركيز الباحث من هذه الشروط هو الشرط الثالث القائل بأن الولي يجب أن يتخلق بالأخلاق المحمودة التي يدل عليها الشرع والعقل. أما الخلق المحمود الذي يدل عليه الشرع فهو من الأمور الواضحات لأنه متمحور حول الورع عن المحرمات الشرعية وامتثال جميع

[٣٨] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٧٦–٧٧.

المأمورات الشرعية. وأما الخلق المحمود الذي يدل عليه العقل فقد يظن الظان أنه أشار به إلى القول بالتحسين والتقبيح العقليين وهو قول للمعتزلة، وليس الأمر كذلك لأن الإمام السنوسي شديد التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة، قوي الحرب ضد أهل البدعة من المعتزلة وغيرهم. فما المراد بدلالة العقل على الخلق المحمود؟

بعد أن رجع الباحث إلى "المواهب القدوسية" تبين له أن المقصود بالأخلاق المحمودة التي يدل عليها العقل هو ما يثمره العلم بأصول الدين.[٣٩] فالعلم بأصول الدين الذي يستنبط بطريق النظر العقلي مندرج تحت الشق العلمي أو العقل النظري عند كثير من الناس، ولكنه عند هذا المتكلم الصوفي مندرج أيضا تحت الشق العملي أو العقل العملي؛ وذلك لأن علم أصول الدين المنبني على الحجج والأنظار العقلية يؤدي بصاحبه إلى التخلق بالأخلاق الحسنة التي اقتضتها تلك الحجج والأنظار. فأصبح صاحبه -كما قال الإمام ابن دهاق وأقر بذلك الإمام السنوسي- "إذا علم حدوث العالم بأسره لم يتعلق قلبه بشيء منه خوفا ولا طمَعا لعلمه بأنه في قبضة الله سبحانه، وإذا علم الوحدانية أخلص لله تعالى في سائر أعماله إذ الربوبية لا تحمل الشركة في شيء، وإذا علم أن القدر سابق بما هو كائن لم يخفَ فوت شيء مما قدّر عليه ولم يرجُ نيل شيء مما لم يقدّر. وهذا هو المعبر عنه بالرضا، وخرج من ذلك الرفق بالخلق والصفح عنهم عند إذايتهم له لعلمه أنهم لا يستطيعون لأنفسهم فضلا عن غيرهم دفع ضر ولا جلب نفع."[٤٠]

والمتأمل لهذا النص سيجزم جزما لا يحتمل النقيض بأن الإمام السنوسي كان يؤمن بفكرة التوفيق بين العقيدة والتصوف ويظهره في مؤلفاته سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر. فالعلم بحدوث العالم -الذي هو مبحث علم التوحيد- بذرٌ للزهد بالدنيا وعدم الخوف منها ثقةً بأنه في ملك الله وتحت تصرفاته المطلقة. والعلم بالقضاء والقدر -الذي هو أيضا مبحث من مباحث علم التوحيد- بذرٌ لعدم خوف فوات شيء تم تقديره له وعدمِ رجاء حصول شيء لم يكتب الله له. ولا شك أن هذه الأمور أخلاق محمودة هي في الحقيقة نتيجة عقله الصحيح المفضي بصاحبه إلى فهم أصول الدين على طريقة أهل السنة والجماعة، ثم يثمر فهمه لأصول

---

[٣٩] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٧٦-٧٧.

[٤٠] المرجع نفسه، ص٧٦-٧٧.

الدين تلك الأخلاق الكريمة. وبهذا البيان اتضحت علاقة العقل بالأخلاق الحسنة واستلزامه لها بواسطة علم أصول الدين.

هذا الذي قال به الإمام السنوسي من وجود الصلة بين العقل والأخلاق يمكن أن يجد الباحث أصله من الحديث النبوي. قال النبي صلى الله عليه وسلم مبيّنا علاقة كمال العقل بوجود محاسبة النفس ومراقبتها في جميع الأحوال: "الكَيِّسُ مَن دان نفسَه وعمِل لما بعدَ الموتِ."[٤١] فالكياسة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يرجع إلى معنى كمال العقل وذكائه؛ لأنها تعني تمكُّن النفس من استنباط ما هو أنفع لها وتحرّيه في سلوكها. ولا يرتاب أحد في أن أنفع الشيء للنفس هو معرفتها بالله بشهادة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة"[٤٢]. والعلم بـ"لا إله إلا الله" هنا هو المعرفة بالله. والكيس إنما يحاسب نفسه ويُكثر الأعمال الصالحة ويضبطها لأجل رسوخ معرفته بالله.

هذا التلازم بين كياسة العقل وحسن الأخلاق الذي استفيد من الحديث قد فهمه الصوفية وأشار إليه في كتبهم، منهم الإمام تاج الدين ابن عطاء الله السكندري (ت. ٧٠٩هـ) حيث قال: "أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها. ولَأَنْ تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه. فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟"[٤٣]

ذكر الإمام ابن عطاء الله في هذا النص أن الرضا عن النفس هو سبب كل معصية وغفلة وشهوة. ولا جرم أن الأخلاق السيئة كالطمع بالدنيا والخوف من فواتها وعدم الرضا بالله التي هي أضداد للأخلاق الحسنة التي أثمرها فهمُ العقيدة والعلمُ بالله داخلةٌ تحت مسمى المعصية. ثم نفى الإمام ابن عطاء الله العلمَ عمن يرضى عن نفسه ولو كان معروفا بالعلم عند الناس،

---

[٤١] أخرجه الترمذي في سننه وقال: "هذا حديث حسن." ينظر: محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الكبير**، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨)، ج٤، ص٢١٩.

[٤٢] رواه مسلم في صحيحه. ينظر: النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج١، ص٥٥.

[٤٣] ينظر هذا الكلام ضمن كتاب: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عباد الرندي، **التنبيه شرح الحكم العطائية** (دمشق: دار التقوى، ٢٠٢١)، ص٢٧٩-٢٨٣.

ونفى الجهل عمن لم يرضَ عن نفسه ولو كان معروفا بالجهل عند الناس. ففُهم بطريق اللزوم ثبوتُ الجهل للراضي عن نفسه وثبوتُ العلم لغير الراضي عن نفسه؛ لأن النفي لأحد الضدين يفيد ثبوت الآخر، فثبت العلم بنفي الجهل كما ثبت الجهل بنفي العلم. والعلم والجهل أصلهما من الفكر، وأصل الفكر من العقل. وقد تقدم بيان العلاقة بين العقل والفكر والعلم في المبحث السابق المعنون بـ"ربط التقوى بالعقل"، فلا يحتاج الباحث إلى إعادته.

فحاصل القول من هذا كله أن العقل الصحيح في نظر الإمام ابن عطاء الله السكندري وغيره من الصوفية كإمامنا السنوسي بذرٌ للعلم بالله وفهمِ العقيدة الصحيحة، والعلمُ بالله وفهم العقيدة بذرٌ لعدم الرضا عن النفس، وعدم الرضا بذر للطاعة والعفة واليقظة وحسن الخلق، وعكسه صحيح. وعلى هذا الأساس تجلت العلاقات بين العقل وفهم العقيدة وحسن الخلق، وظهر التوفيق بين العقيدة والتصوف عند الإمام السنوسي حيث جعل كثيرا من الصفات المحمودة مرتبطا بفهم العقيدة. ويوضح هذا الارتباطَ الجدولُ التالي الذي استفاده الباحث من قول الإمام السنوسي السابق نقله في أول هذا المبحث:

الجدول ٢

| الرقم | مبحث علم العقيدة | الفهم الذي نتج عن المبحث | الأخلاق المحمودة التي نتجت عنه |
|---|---|---|---|
| ١ | معرفة حدوث العالم بأسره | – العلم بأن العالم في قبضة الله تعالى | – عدم تعلق القلب بشيء من العالم<br>– عدم الخوف من المخلوق<br>– عدم الطمع فيه |
| ٢ | معرفة وحدانية الله تعالى | – العلم بأن الربوبية لا تحمل الشركة في شيء | – الإخلاص في سائر الأعمال |
| ٣ | معرفة القضاء والقدر | – العلم بأن الخلق كله لا يستطيع جلب نفع ولا دفع ضر عن نفسه فضلا عن غيره | – عدم خوف فوات شيء قدّر الله له<br>– عدم رجاء حصول شيء لم يقدّر الله له<br>– الرضا<br>– الرفق بالخلق<br>– الصفح والعفو عنهم |

**المظهر الثاني: إخضاع تعاليم التصوف لقوانين العقيدة**

يظن كثير من الناس أن التصوف ركن آخر مغاير للتوحيد ومباين له بطبيعته، والحق أنه ليس كذلك. بل بينهما عموم وخصوص مطلق؛ إذ كل التصوف يجب أن يُخضعَ للعقيدة الصحيحة النقية، ويلتزمَ بها، وتكونَ قواعده في ضمن دائرة قواعدها وتحت رعاية أصولها؛ فالتصوف بذلك أخص من العقيدة. ثم العقيدة لا يجب أن تكون قواعدها وأصولها خاضعة لقواعد التصوف وأصوله؛ لأن أحكام العقيدة وقواعدها عامةٌ تُطَبَّقُ على المسائل الاعتقادية والفقهية والتصوفية وغيرها، بينما أحكام التصوف وقواعده خاصة لا تتعدى على أحكام العقيدة، ولا يحقّ له أن يغيّر ثوابت العقيدة. فالتصوف الصحيح يلزم أن يكون مبنيا على قوانين العقيدة الصحيحة.

وهذه الحقيقة هي التي آمن بها الإمام السنوسي حتى جعلها أساسا من أسس تصوفه كما سبق توضيحه في الباب الرابع.

إذا كان الأمر كذلك، فما يخالف العقيدة من تعاليم التصوف ينبغي رده والإنكار عليه ويجب تعليمُ أهل التصوف الطريقةَ الصحيحة الموافقة للعقيدة الصحيحة في ذلك. وقد قام الإمام السنوسي بواجب ذلك إيمانًا بهذه القاعدة وإظهارًا للتوفيق بين التصوف والعقيدة. والباحث سيذكر هنا ثلاث صور من مظهر إخضاع تعاليم التصوف لقوانين العقيدة، وقف عليها الباحث في نصوص كلام الإمام في كتاب "المواهب القدوسية". وهي كالتالي:

### ١. تأديب الأولاد وفق معيار العقيدة الصحيحة

تجلى التوفيق بين التصوف والعقيدة في كتاب المواهب القدوسية بمظهر إخضاع كيفية تأديب الأولاد لقانون العقيدة ومعيارها. وقبل أن يشرع الباحث في الكلام عن كيفية تأديب الأولاد في رأي الإمام السنوسي وكيف يتم التوفيق فيه بين التصوف والعقيدة، يريد الباحث أن يجلّي هنا وجه علاقة التأديب بالعقيدة وكيف يخضع التأديب للعقيدة حتى تحصل للقارئ صورة كلية لهذا المظهر التوفيقي.

يرجع معنى التأديب عند اللغويين إلى التعليم والتدريب. قال ابن منظور (ت.٧١١هـ) في لسان العرب: "أدّبه فتأدّب: علّمه. واستعمله الزجاج في الله عز وجل، فقال: وهذا ما أدّب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم. وفلان قد استأدب: بمعنى تأدب. ويقال للبعير إذا ريّض وذلّل: أديب مؤدب."[٤٤] فالرجل المؤدَّب هو الذي مُكِّنَ من العلم بواسطة التعليم ودُرِّبَ بواسطة الرياضة حتى ذُلِّلَ أي أطاع لما ينبغي أن يكون سلوكه عليه. وبناء على هذا، يرتبط معنى التأديب بالشيئين الأساسيين؛ هما العلم والرياضة. فالعلم محتاج إليه في التعليم الذي هو عنصر من عنصرَيِ التأديب، والرياضة محتاج إليها في التدريب، وهو عنصر ثانٍ للتأديب.

ثم بتدقيق النظر في هذين العنصرين يمكن للباحث أن يقول بأن الرياضة التي تهدف إلى تهذيب النفس وتذليلها للحق والخير لا بد من أن تقوم على أساس العلم. وهذا العلم –في رأي الباحث– يجب أن يكون علمَ التوحيد؛ لأنه يُعدّ نظرةً عالَميةً وطريقةَ تفكيرٍ للمرء تجاه الكون

٤٤ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤)، ج١، ص٢٠٦.

ويجعله يتعامل مع ما يحيط به وفق هذه النظرة. فحقيق أن يكون علم التوحيد هو العلم الذي يقوّم وجوهَ رياضة النفس. بهذا ظهر وجه علاقة التأديب بالعقيدة واكتمل التوفيق بين التصوف والعقيدة؛ إذ التأديب بالنظر إلى ما فيه من ترييض النفوس يمثّل التصوف، وبالنظر إلى ما فيه من تعليم النظرة العالمية التوحيدية يمثّل العقيدة.

وهذا الأمر يظهر جليا في كيفية تأديب الأولاد التي نصح بها الإمام السنوسي المؤدبين. ذكر الملالي في "المواهب القدوسية" أن الإمام السنوسي حكى له قصة دفع الإمام سحنون ابنه إلى المؤدب وأنه كان يشترط على المؤدب أن لا يضربه مهما صدر منه شيء مما يستحق عليه التأديب. فسأل الملالي عن علة ذلك، فأجاب بأنه "لما رأى سحنون رضي الله عنه أنه لا تأثير للضرب ولا للزجر في حفظ ولا اجتهاد عقلا، وأن الأمر بيد الله تعالى في جلب نفع أو دفع ضر، وأن التوكل على الله سبحانه؛ إذ منه النفع والضر، سلّم أمر ابنه إلى الله تعالى واستودعه الله تعالى وعرف أنه لا يكون شيء إلا بإرادة الله تعالى وقدره."[٤٥]

جعل الإمام السنوسي في هذا النص علةَ عدم التأديب بالضرب علةً عقليةً وتوحيديةً حيث قال بأن الضرب في الحكم العقلي لا يستلزم الحفظ والاجتهاد؛ أي أن العقل لا يحكم بوجوب حصول الحفظ والاجتهاد بسبب وجود الضرب للتلميذ. ثم أردف ذلك بحقيقة توحيدية محضة وهي أن الضرب وغيره من الممكنات لا يمكن بحال من الأحوال أن يجلب نفعا أو يدفع ضرا، وأنه لا يكون شيء إلا بإرادة الله تعالى وقدره. وبعد هذا الكلام وصف الإمام السنوسي من اتبع هذه الطريقة في التأديب بكونه مؤدبا سُنِّيًّا طيبا حيث قال: "هكذا يفعل المؤدب السُّنِّي الطيّب الذي يعلم أن كل شيء واقع بإرادة الله تعالى وقدره وأنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما كضرب وزجر ونحو ذلك."[٤٦]

يرى الباحث أن وصف "السني" الذي وصف به الإمام السنوسي المؤدب هو في الحقيقة إشارة وعلامة على سنية عقيدة المؤدب بسبب عدم اعتقاده تأثير الضرب –الذي هو فعل من أفعال المخلوقات– في حفظ التلميذ واجتهاده، بخلاف اعتقاد المعتزلة القائلين بتأثير ذلك. فالمؤدب السني سيجعل تأديبه –الذي هو بُعدٌ من أبعاد التصوف– خاضعا لقوانين عقيدة أهل

---

[٤٥] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٢٠٩.

[٤٦] المرجع نفسه، ص٢٠٩.

السنة والجماعة. وقد أفصح الإمام السنوسي بصحة قول أهل السنة وبيّن وجه صحته في شرحه على متن "المقدمات" وغيره من كتبه العقدية حيث قال بأن في أفعال العباد ثلاثة مذاهب؛ مذهبان لأهل البدعة، هما الجبرية والقدرية المعتزلة، ومذهب لأهل السنة والجماعة.[٤٧]

فمذهبا أهل البدعة كانا في قطبين مختلفين. فإن الجبرية قالوا بأن جميع أفعال العبد أفعالٌ اضطراريةٌ تساوى حركة المرتعش عند ارتعاشه وحركة الريشة التي بهبها الرياح، فلا قدرة للعبد في جميع أفعاله البتة.[٤٨] ولا شك أن مشاهدتنا للواقع تُثبت الفرق بين من يتحرك بسبب الارتعاش ومن يتحرك بسبب الجري والمشي وبقصده. أما القدرية المعتزلة فهم يقولون بأن أفعال العباد التي نشأت من قصدهم –وهي المسماة بالأفعال الاختيارية– ليست بخلق الله ولا باختراعه ولا وجدت بقدرته تعالى. وإنما الأفعال التي يوجدها الله في العباد هي ما لا يتيسرون عليه كالألوان والطعوم والروائح وحركة الارتعاش ونحو ذلك.[٤٩] ثم هذه الأفعال الاختيارية قد تتولد منها أفعالٌ أخرُ كحركة الحجر بسبب تحريكه والقتل والجرح ونحو ذلك. وعُرف ذلك عندهم بالتولّد. وهذا التولد أيضا من خلقهم لا من خلق الله على زعمهم. وهم بذلك قد كذّبوا بالآية القرآنية ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[٥٠].[٥١]

أما أهل السنة والجماعة فهم –كما قال الإمام السنوسي– جمعوا بين الحقيقة والشريعة، وسلموا من بدعة الفريقين.[٥٢] واعتقدوا أن العبد في أفعاله الاختيارية "مجبور في قالب مختار"؛ فهو مجبور من حيث إنه لا أثر له البتة في أثر ما عموما، وهو مختار من حيث إن الله أجرى عادته على العبد بأن يخلق الأشياء موافقة لقصد العبد وإرادته حتى لا يحس إلجاءً إلى ما يحبّ فعله ولا إكراها على ما يكره وجوده.[٥٣]

---

[٤٧] السنوسي، **شرح المقدمات**، ص١٤٩–٥٠.

[٤٨] المرجع نفسه، ١٥٠.

[٤٩] المرجع نفسه، ص١٥١.

[٥٠] فاطر: ٣.

[٥١] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٤٠٧.

[٥٢] السنوسي، **شرح المقدمات**، ص١٥١–٥٢.

[٥٣] المرجع نفسه، ص١٥٢.

ففهم من هذا التطويل في بيان مذاهب الناس في أفعال العباد أن المؤدب السني في رأي الإمام السنوسي دائما يضبط طريقة تأديبه للأولاد وفق معايير عقيدة أهل السنة والجماعة ودائما يجعل أفعاله وأخلاقه عند تعامله مع تلامذته خاضعة لقوانينها. هذا هو التوفيق الكامل بين التصوف والعقيدة في نفس المؤدب. وبه يحصل النفع والبركة لتلامذته كما قال الإمام السنوسي: "فمثل هذا السني الذي يقف عند أوامر الله تعالى ونواهيه، به ينفع الله تعالى من يؤدبه ويجعل الله البركة فيمن يقرأ عليه؛ لأنه لا يرى النفع والضر إلا من الله تعالى ولا يتوكل إلا عليه."[٥٤] وبهذا البيان تجلى للقارئ مظهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي في قضية تأديب الأولاد وفق معيار العقيدة الصحيحة.

**٢. معرفة حقيقة أفعال العباد تدفع الغرور في أفعال الطاعات**

إن من أصول طريقة أهل التصوف –على ما ذكره ابن خلدون في مقدمته– العكوفَ على العبادة والانقطاعَ إلى الله والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.[٥٥] وإن عبادة الأبدان وطاعة الجوارح لها صلة بطاعة القلب واعتقاده. ولذا، اعتنى الصوفية بالعبادات والاعتقادات في الآن نفسه وبينوا لمريديهم وجوب بناء العبادات الظاهرة على أساس الاعتقاد الصحيح. وممن صرّح بذلك ابن الحاج في مدخله حيث قال: "قال علماؤنا رحمة الله تعالى عليهم: الإخلاص إنما يكون بالقلب، وذلك أن لابن آدم جوارح ظاهرة وجوارح باطنة. فعلى الظاهرة العبادة والامتثال، وهو قوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[٥٦]، وعلى الباطنة أن تعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله مخلصة في ذلك، وهو قوله تعالى ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٥٧]. فالأصل الذي تتفرع عنه العبادات على أنواعها هو الإخلاص، وذلك لا يكون إلا بالقلب. فعلى هذا، الجوارح

---

[٥٤] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٢٠٩.

[٥٥] عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون و عبد الله محمد الدرويش، **مقدمة ابن خلدون**، (دمشق: دار البلخي، ٢٠٠٤)، ج٢، ص٢٢٥.

[٥٦] البينة: ٥.

[٥٧] البينة: ٥.

الظاهرة تبع للباطنة؛ فإن استقام الباطن استقام الظاهر جبرا، وإذا دخل الخلل في الباطن دخل في الظاهر من باب أولى."[٥٨]

ومن الصوفية الذين ركزوا على هذا الأمر وعلّموا طلابهم على إخضاع العبادات لقوانين العقيدة إمامنا السنوسي رحمه الله تعالى. علّم الإمام السنوسي مريديه أن لا يغتروا بعباداتهم وطاعاتهم، وأن يمزجوا تلك العبادات بروح العقيدة الصحيحة حتى لا يكونوا من المتكبرين والمرائين بعباداتهم. فقد كان يعظ المتعبد -كما ذكره الملالي- بعدم اتكاله على عبادته ويحذره من أن يرى لعبادته ونفسه أثرا وشفوفا على غيره ممن لم يتعبد، وأن يظهر عبادته للناس.[٥٩] وكان يحكم على العابد الذي يسمّع الناس عباداته وطاعاته ويرائي بها أمام الناس بأنه جاهل بحقيقة أفعاله، فيتكبر على الناس بعباداته ويرى لنفسه فضلا على غيره لأجل عدم معرفته بما تقرر في علم العقيدة من أن العبادة وغيرها من الأفعال التي صدرت منه هي في الحقيقة خلق لله واختراع منه من غير تدخّل لأحد في ذلك. وبالغ الإمام في توبيخ مثل هذا العابد فوصفه بأنه عدو لله.

قال الإمام السنوسي في المواهب القدوسية: "يقوم ذلك المتعبد بالليل ويسمّع الحاضرين قيامه وتهجده ويفعل أفعال مَن يُعلم الحاضرين بمكانته وولايته... الذي يعمل هذا العمل هو عدو لله تعالى مرائ في عبادته. هب أنه تعبد وتنسك، فهل قُبلت له أو لا حتى يتكل عليها ويستحقر غيره بسببها؟ وهل يدوم عليها أم لا؟ وهل وصل لله تعالى بعبادته نفعا حتى يتكبر بها على خلقه ويرى لها أثرا ولنفسه مزية على غيره؟ كيف والخادم لا يرى لنفسه شفوفا ولا جميلا على المخدوم إلا بثلاث شروط:

- الأول: أن يكون هو الخادم حقيقة؛ أي هو الفاعل لها والمخترع لها.
- الثاني: أن يوصل لمخدومه نفعا من خدمته.
- الثالث: أن يكون حرا لا مملوكا.

فإذا توفرت فيه هذه الشروط استحق أن يرى لخدمته شفوفا على مخدومه."[٦٠]

---

[٥٨] أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الحاج، **المدخل**، (دار التراث، د.ت)، ج١، ص٧.

[٥٩] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص١٤٩—٥٠; الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٦٧.

[٦٠] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص١٤٩—٥٠; الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٦٧.

فنص كلام الإمام السنوسي هنا نصٌّ بليغٌ في نفي وجود أثر العبد في عمله وطاعته حيث صاغ الإمام رده على هذا العابد المغرور بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي يفيد شدة النفي. فنفى من العابد أولًا الجزم بقبول الطاعة منه حيث قال "فهل قُبلت له أو لا حتى يتكل عليها ويستحقر غيره بسببها؟" ثم –على تقدير قبول الله الطاعة منه– نفى من العابد الجزم بالاستقامة على الطاعة إلى آخر العمر حيث قال "وهل يدوم عليها أم لا؟" فإن خواتم الأعمال علامة خاتمة العبد وعاقبة أمره كما فهم من الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ له عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ له عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ."[٦١] قال القاضي عياض (ت.٥٤٤هـ): "وفى هذا أن الثواب والعقاب راجع إلى أمر الخاتمة."[٦٢]

فالعابد الحقيقي في نظر الإمام السنوسي دائما متصف بالخوف والانكسار والتواضع لأنه لم يجزم بقبول طاعته ولم يدرِ هل سيبقى على الطاعة إلى آخر العمر فيفوز بالجنة أم لا. ثم أتبع الإمام السنوسي النَّفْيَيْنِ السابقَينِ بنفيٍ ثالثٍ أقوى منهما وأَفْيَدَ لوثوق العلاقة بين فهم العقيدة الصحيحة وحصول التعبد الخالص. فقال على طريقة الاستفهام الإنكاري "وهل وصّل لله تعالى بعبادته نفعا حتى يتكبر بها على خلقه ويرى لها أثرا ولنفسه مزية على غيره؟" فهذا يؤذن بأن تعليم التصوف الحقيقي قائم على أساس ربط عبادة الصوفي بعقيدته النقية التي تنفي وجود التأثير لشيء من المخلوقات في أثر ما؛ إيمانا بعموم قدرة الله على الخلق والاختراع، وتحقيقا لوصف العبد وهو أنه عبد لله وأن الله هو مالكه. وأكّد هذا الأمر بذكر ثلاثة شروط التي بوجودها يستحق العابد أن يتكبر على الخلق وعلى الخالق بعبادته، وبِعدمِها يلزمه أن يعرف جيدا حقيقة نفسه وعبادته، فقال الإمام بأن الخادم لا يرى لنفسه فضلا على المخدوم إلا بثلاثة شروط:

- الأول: كون الخادم فاعلا خالقا لعبادتها ومخترعا لها.

---

[٦١] النيسابوري، **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٠٤٢.

[٦٢] القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق يحي إسماعيل (مصر: دار الوفاء، ١٩٩٨)، ج٨، ص١٢٨.

- الثاني: كون خدمته لله وعبادته له توصيلا للمنفعة إلى الله.
- الثالث: كونه مستقلا حرا غير مملوك لله ولا مخلوق بقدرته وإرادته.

ولا شك أن هذه الثلاثة لا تتحقق في نفس المتعبد، بل أضدادها هي التي تتحقق فيه. فإذا انتفت الشروط المصححة للتكبر ورؤية الفضل للنفس، انتفى أيضا مشروطها وهو التكبر والعلو على الغير. وثبت أضدادها من وجوب ملازمة التواضع ورؤية المنة من الله تعالى. وبهذه الأخلاق التي نتجت عن فهم الحقيقة التوحيدية في أفعال عبادته، صار المتعبد مخلصا في عبادته وعارفا بحقيقة نفسه. وأفضى ذلك إلى معرفة ربه. قال الإمام السنوسي:

"وهذه الثلاثة كلها منتفية في جانب مولانا عز وجل، فكيف يتكبر على غيره ويرى لنفسه شفوفا ومقاما وهو مملوكٌ رِقٌّ لمولانا سبحانه وتعالى. والعبادة التي صدرت منه هي خلق لله تبارك وتعالى لا شريك له تعالى في اختراعها. وهو لا يوصل بعبادته لمولانا جل وعز نفعا ولا أثرا. فكيف يتكبر ويرى لنفسه شفوفا ويدعي لنفسه مقاما بفعل غيره. فإذا نظر الإنسان في هذا الأمور الثلاثة وأنها منتفية كلها في حق مولانا تبارك وتعالى فقد عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربه..."[٦٣]

هنا يتجلى للباحث طول نفس الإمام السنوسي في التوفيق بين التصوف والعقيدة؛ كيف كان يبدأ تعليمه للمتعبدين بأن يوجِد العلاقة بين تصحيح العبادة وإخلاصها وبين تصحيح العقيدة في أفعال العباد وإتقانها، ثم يَعْرُجُ بهم مِن فهم حقيقة أفعال العباد وحقيقة نفس العباد إلى معرفة رب العباد حيث قال في آخر الفقرة السابقة ما يفيد أن من أمعن النظر في هذه الشروط الثلاثة سيجدها كلها منتفية عن نفس العبد أمام ربه، وأن من عرف فقدان ذلك من نفسه فقد عرف نفسه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه. فهذا من المظاهر الجلية للتوفيق بين العقيدة والتصوف عند الإمام السنوسي رضي الله عنه. فمعرفة المتعبد عجزَ نفسه عن خلق شيء من العبادات وافتقارَه إلى الله في جميع الحركات والسكنات تورّث المعرفةَ بكمال قدرة الله واستغنائِه عن كل ما سواه في خلق أفعال العباد.

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام السيوطي في الحاوي للفتاوي حيث قال: "قال النووي في فتاويه: معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية

---

[٦٣] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص١٤٩—٥٠؛ الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص٦٧.

والكمال المطلق والصفات العلى. وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن: سمعت شيخنا أبا العباس المرسي يقول: في هذا الحديث تأويلان؛

- أحدهما: أي من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه، فتكون معرفة النفس أولا ثم معرفة الله من بعد.
- والثاني: أن من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل.

فالأول حال السالكين، والثاني حال المجذوبين."[٦٤]

فظهر للباحث أن ما نقله السيوطي من كلام النووي والتأويل الأول لأبي العباس المرسي موافق لما ذكره الإمام السنوسي من كون معرفة المتعبد بعجز نفسه عن خلق العبادة وعن إيصال النفع إلى الله وعن الاستقلال والاستغناء عن ربه تجعل المتعبد يعرف الله تعالى بكماله في قدرته وغناه عن كل ما سواه. وهذا -على حد تعبير الإمام أبي العباس المرسي- حال السالكين، وهو المناسب لحال المتعبدين الذين وعظهم الإمام السنوسي بهذا التعليم المبني على التوفيق بين التصوف والعقيدة. والله أعلم.

### ٣. دواء الكبر بمعرفة حقيقة الممكنات وعموم قدرة الله تعالى

تناول الملالي في كتابه المواهب القدوسية آفة الكبر التي من الصفات المذمومة التي يجب على السالك تجنبها. وساق في صدد ذلك كلاما للإمام السنوسي من شرحه لقصيدة سيدي أحمد الجزائري المسمى بـ"المنهج السديد"، بيّن الإمام فيه قول الجزائري:

"إياك والكبر فيه أعظم الزلل *** من نطفة يعلم الإنسان مبدأه"

فذكر أن لعلة الكبر ثلاثة أدوية؛ دواء عادي ودواء شرعي ودواء عقلي. أما الدواء العادي لعلة الكبر فهو ما ذكره الناظم من معرفة الإنسان بأن أصل وجوده ومبدأه هو النطفة. وأما دواؤه الشرعي فهو ذكر عقوبة الله تعالى لصاحب الكبر ومقته له وحرمانه من كل خير الدنيا والآخرة.[٦٥] وأما دواؤه العقلي -وهو ما يهم الباحث في هذا المظهر- فذكر الإمام السنوسي أنه يتكوّن من معرفة حقيقة الممكنات ومعرفة عموم قدرة الله تعالى. فإن الممكنات

---

[٦٤] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤)، ج٢، ص٢٨٨.

[٦٥] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص١٥١ج.

في حد ذاتها متساوية في قبول الطاعات التي هي أعراض ممكنة أيضا. وإن الله يقدر على خلق طاعة في أي عبد شاء من غير أن يستحق العبد تلك الطاعة، كما أنه تعالى يقدر على نقل العاصي إلى الطاعة ونقل الطائع إلى المعصية.

قال الإمام السنوسي: "ودواؤه العقلي علمه بأن الممكنات كلها على حد السواء؛ ما يقبله أدناها من الأعراض يقبله أعلاها. لا فضل لشيء منها على غيره بحسب ذاته. وإنما مولانا جل وعلا يفضل ما شاء بما شاء من غير استحقاق لشيء لما منّ به عليه مِن الفضل، ثم هو سبحانه قادرٌ على أن ينقل الأدنى إلى منزلة الأعلى والأعلى إلى منزلة الأدنى كما هو واقعٌ كثيرٌ بالمشاهدة، فكم من مؤمن أصبح كافرا، وكم من كافر أصبح مؤمنا... فالكبر إذا رداءة في العقل، يشهد بها العقل المستقيم والشرع والعادة. ولهذا قالوا: لا يوجد عاقل –لا قبل الشرع ولا بعده– متكبرا"[٦٦]

فالنظر العقلي الصحيح يفيد أن عبادات هذا الرجل المتكبر ليست لازمة لنفسه غير منفكة عنه؛ لأن تلك العبادات من الممكنات التي يصح وجودها ويصح عدمها على حد سواء. مَثلها مثل الثواب والعقاب اللذين لا يختصّ أحدهما بشخص معين في نظر العقل الصحيح. فلا تقتضي تلك العبادات الممكنة الوجود أن يتكبر الرجل على غيره بها. قال الإمام السنوسي في شرحه على عقيدته الصغرى بعد بيانه لإمكانية وجود الثواب والعقاب لكل من المؤمن والكافر في نظر العقل: "فصح إذًا أن يدرك العقل لكل من المومن والكافر والمطيع والعاصي صحةَ وجود الثواب والعقاب أو عدمهما. واختصاص كل واحد بما اختص به من ذلك إنما هو بمحض اختيار مولانا جل وعز، لا بسبب عقلي اقتضى ذلك."[٦٧]

فاتضح بهذا وجه التوفيق بين مسألة الكبر التي هي من مسائل علم التصوف وبين أصلين من أصول علم التوحيد؛ وهما معرفة حقيقة الممكنات ومعرفة عموم قدرة الله، فجعل الإمام السنوسي المسألة التصوفية خاضعة للأصلين العقديين. فثبت بهذه المسألة وبما سبق من صور إخضاع تعاليم التصوف لقوانين العقيدة أن التوفيق بين التصوف والعقيدة كان مظهرا جليا في فكر الإمام السنوسي رحمه الله.

---

٦٦ الملالي،"**المواهب (ر)**"، ص١٥١ ج – ١٥٢؛ السنوسي، **المنهج السديد**، ص٤٩١–٩٥.

٦٧ السنوسي، **شرح الصغرى**، ص١٢٤.

**المظهر الثالث: العقيدة والتصوف يفسر أحدهما الآخر**

ظهر للباحث من خلال عكوفه على كتب الإمام السنوسي أن للتصوف أثرا كبيرا في تآليف الإمام العقدية، كما أن للعقيدة أيضا أثرا كبيرا في مرويات كلامه التصوفي. أما أثر التصوف في العقيدة فمثاله ما ذكره الإمام في شرح العقيدة الوسطى من شروط الولاية[٦٨] والفرق بين المتكلمين والعارفين بالله[٦٩] وحثّ أهل الإشارة على الاعتناء بالأصول الأربعة في برهان حدوث العالم[٧٠] وغير ذلك.

ويبدو للباحث أن هذه الظاهرة –أي ظاهرة تأثير التصوف في غيره– تعم جميع الفنون التي اشتغل بها الإمام السنوسي ودرّسها لطلابه حيث قال الملالي بأن الإمام السنوسي حين يدرّس أي فن من الفنون سيخرج بشرحه إلى علوم الآخرة. قال: "كان رضي الله تعالى عنه لا يقرئ في علم من العلوم الظاهرة إلا خرج منها إلى علوم الآخرة، لا سيما إذا كان يقرئ علم التفسير والحديث. وما ذاك إلا لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى ومراقبته له في كل لحظة وعدم التفاته إلى شيء من زخاريف الدنيا حتى كأنه يشاهد الآخرة بين يديه. فصارت قراءته للعلوم الظاهرة راجعة كلها في الحقيقة علوما باطنة."[٧١]

ولا شك للمتأمل في هذا النص أن المراد بعلوم الآخرة هنا هو العلوم الباطنة أو علم التصوف بدليل الأوصاف التي ذكرها الملالي لها، وبدليل استعمال الإمام الغزالي لمصطلح "علوم الآخرة" بمعنى علم التصوف كما سبق بيانه في الباب الماضي. والإمام السنوسي كان على طريقة الغزالي.[٧٢] فتأثير علم التصوف في غيره من العلوم ظاهر لدى الإمام السنوسي بشهادة مريده الملالي.

أما تأثير العقيدة في التصوف فيتجلى ذلك من خلال تفسيرات الإمام وشروحه للكلام الصوفي، وتتميز هذه التفسيرات بكونها لا تخرج عن دائرة التفسيرات الكلامية الأشعرية،

---

[٦٨] سبق للباحث ذكر هذه الشروط ومناقشتها في الباب الرابع، وهي الشروط التي ذكرت في المواهب القدوسية، والإمام السنوسي ذكرها أيضا في شرح العقيدة الوسطى. ينظر: السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٥١٩–٢١.

[٦٩] المرجع نفسه، ص١٨٨–٨٩.

[٧٠] المرجع نفسه، ص٢٢٠.

[٧١] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص٩٥.

[٧٢] المرجع نفسه، ص١٩٠.

والباحث يرى أنه من الجدير أن يبحث هذا الموضوع بعناوين مستقلة تحت هذا المظهر الثالث، وهي كالتالي:

### ١. تأويله لكلام الإمام الغزالي

وذلك ما وقع في تفسيره لكلام حجة الإسلام الغزالي "ليس في الإمكان أبدع مما كان" الذي وصفه برهان الدين البقاعي[٧٣] (ت. ٨٨٥هـ) بأنه مذهب فلسفي خبيث تبناه ابن عربي وأودعه في رسالته في التصوف المسماة بـ"فصوص الحكم"[٧٤]، ووصفه البقاعي أيضا بأنه مذهب أهل بدعة الاتحاد[٧٥] ويعني بذلك أهل وحدة الوجود. ولعل السبب في ذلك هو أنه يرى أن ظاهر هذه المقالة يؤدي إلى تحديد قدرة الله وأن الله غير قادر على خلق واختراع شيء آخر غير هذه الموجودات الكائنة الآن.[٧٦] فتصدى الإمام السنوسي لتأويل كلام الغزالي بما يوافق المعتقد الأشعري الذي هو مذهبه ومذهب الإمام الغزالي. وهذا يدل دلالة واضحة على أن الإمام السنوسي كان يهتم كثيرا بالتوفيق والجمع بين علم التصوف وعلم العقيدة.

دراسة الباحث لشرح الإمام السنوسي لهذه المقالة تفيد أن الإمام قدّم لنا في هذه المسألة ثلاثة تفسيرات عقدية، كل واحد منها غير خارج عن نطاق العقيدة الأشعرية، وهذه التفسيرات هي:

١. معناه أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان في علم الباري تعالى؛ لأن كل ممكن معلوم له عز وجل ويستحيل خروجه عن علمه تعالى. فيكون الكلام ردا على الجهمية القائلين بوقوع التجدد في علم الباري عند تجدد الممكنات.

---

[٧٣] العلامة المحدث الحافظ القاضي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي. من شيوخه ابن الجزري وابن حجر وابن قاضي شهبة. من كتبه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور والنكت على شرح ألفية العراقي والنكت على شرح العقائد. توفي بدمشق. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٥٥.

[٧٤] إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ج٢٠، ص١٧٧.

[٧٥] المرجع نفسه، ج١٨، ص٤٣٤.

[٧٦] المرجع نفسه، ج١٨، ص٤٣٤.

٢. معناه ليس في الإمكان أبدع مما كان من أجناس الجواهر والأعراض والأرواح على قول من قال إن الروح ليس بجرم ولا عرض.[٧٧] فيكون معنى الكلام أن كل ممكن يقدّر وجوده لا يخرج عن هذه الثلاثة بدليل إجماع أهل السنة على ذلك.

٣. معناه ليس في الإمكان أبدع مما كان في الأزل وهو ذات مولانا وصفاته العلية. ويكون مساقه الرد على المعتزلة الذين يزعمون أن العباد يخلقون أفعالهم ويخترعونها كاختراع الإله.[٧٨]

نجح الإمام السنوسي بهذه التفسيرات في إرجاع المقالة –التي تبدو للبقاعي وموافقيه بعيدة عن التوحيد والشريعة– إلى المسائل الاعتقادية الأشعرية المشهورة. فتفسيره الأول "ليس في الإمكان أبدع مما كان في علم الباري" يشير إلى أن عدم إمكانية الإبداع والاختراع هنا مقيد بما كان خارجا عن علم الله تعالى؛ فالذي يمكن أن يُوجد ويُخترع من المخلوقات إنما هو الذي علم الله وجوده أزلا. وإذا افتُرض إمكان إبداع شيء لم يكن في علمه لكان جاهلا به قبل وجوده، والجهل عليه تعالى محال. فثبت بذلك أن جميع ما يمكن إبداعه واختراعه هو ما كان في علمه الأزلي، ولا يمكن إبداعٌ زائدٌ على ما كان في علمه. ويدل على هذا ما قرره عبد السلام اللقاني في شرحه على جوهرة التوحيد، فقال: "أنه تعالى فاعل بالقصد والاختيار، ولا يتصور ذلك إلا مع العلم بالمقصود لاستحالة توجه القصد والإرادة من الفاعل إلى ما لا يعلم."[٧٩]

أما تفسيره الثاني الذي يفيد انحصار المخلوقات في الجوهر والعرض والروح وأنه لا يمكن إيجاد شيء خارج عن هذه الأجناس الثلاثة فهو –في رأي الباحث– تفسير عقدي واضح. واحتج الإمام السنوسي على صحة هذا التفسير بالإجماع. وكذا تفسيره الثالث واضح؛ فإن جميع المسلمين معتقدون أن ذات الله الأزلية وصفاته القديمة لا يمكن أن يفضلهما شيء من المخلوقات؛ لأن الكمال المطلق إنما هو لله. فليس في الإمكان أبدع مما كان في الأزل وهو ذات مولانا وصفاته العلية. فتبين للباحث أن هذه المقولة الصوفية التي صدر عن الإمام الغزالي

---

[٧٧] ينظر تفصيل هذه المسألة في: السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٢١٨–٢٠.

[٧٨] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص٣٦٤–٦٥.

[٧٩] عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، **إتحاف المريد بجوهرة التوحيد**، تحقيق علاء سمير الطوخي (دمشق: دار الدقاق، ٢٠١٩)، ص١٨١.

يمكن أن تفهم بمفاهيم عقدية أشعرية صحيحة عند الإمام السنوسي، فحفظ بذلك مكانة الإمام الغزالي وصانه من اعتراض المعترضين عليه خصوصا وعلى الصوفية على وجه العموم. وبه تمّ التوفيق بين التصوف والعقيدة في مظهر تأويل الكلام الصوفي بالتأويل العقدي.

**٢. تأويله لعدم غياب شمس قلوب أهل الله**

تعرض الإمام السنوسي في المواهب القدوسية لتفسير أبيات لبعض الصوفية كان مطلعها:

"إن شمس النهار تغيب بليل *** وشمس القلوب ليست تغيب"

فقال بأن هذا البيت يدل على تشريف اللذائذ التي يذوقها أولياء الله على لذائذ شهوات أهل الدنيا الفانية الناقصة وسرورها المنكدر.[٨٠] وقال بأن شموس القلوب التي أضائت لبصائر أهل المعرفة والمحبة لله تعالى لا تغيب في ليلهم ولا في نهارهم ولا في حياتهم ولا بعد مماتهم. ثم يفصّل ذلك بقوله: "يعني أن المولى الكريم قد تفضل علي بما تضمنه البيت الأول من شمس القلوب، فأطلع سبحانه بمحض فضله على أفق قلبي شمسَ معرفة محبوبي الذي هو ذاته تبارك وتعالى، فملأتْ ظاهري وباطني بأضواء الهداية، وانكشف لي عيانا كلُّ المحاسن وكل ما هو نقص أو غواية، وأبصرتْ عندها بصيرتي محاسنَ جمال الذات والصفات، وتطاير بسطوع ضوءها على بعضي وكلي جميعُ ظُلَمِ الأوهام والخيالات."[٨١]

فهم الباحث من هذا النص أن الإمام السنوسي كان في صدد بيان المراحل التي مر بها أهل الله في سلوك طريقة الله ابتداءً من حين طلوع شمس القلوب إلى شهود البصيرة لمحاسن الذات والصفات. وهذه المراحل يمكن ترتيبها كالتالي:

١. المرحلة الأولى: معرفة الله. ويفهم ذلك من قوله: "فأطلع سبحانه بمحض فضله على أفق قلبي شمس معرفة محبوبي الذي هو ذاته تبارك وتعالى."
٢. المرحلة الثانية: هداية الله. ويفهم ذلك من قوله: "فملأت ظاهري وباطني بأضواء الهداية."

---

[٨٠] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٣٥٧ وما بعدها؛ الملالي، "**المواهب (ت)**"، ص٣٠٠ وما بعدها.

[٨١] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص٣٥٧ وما بعدها؛ الملالي، "**المواهب (ت)**"، ص٣٠٠ وما بعدها.

٣. المرحلة الثالثة: شهود حقائق الأشياء من حسنها وقبحها. ويفهم ذلك من قوله: "وانكشف لي عيانا كل المحاسن وكل ما هو نقص أو غواية."

٤. المرحلة الرابعة: شهود البصيرة لمحاسن الذات والصفات. ويفهم ذلك من قوله: "وأبصرتْ عندها بصيرتي محاسنَ جمال الذات والصفات."

ثم بمقارنة ما قاله الإمام السنوسي هنا مع ما أورده الإمام في شرح العقيدة الوسطى، تبين للباحث أن ما قاله في شرح هذا البيت الصوفي يُبيّنه ما ذكره هنالك، حيث إنه قد تكلم في شرح الوسطى عن الهداية التي هي المرحلة الثانية هنا. فذكر أن المراد بالهداية عند بعض العلماء هو الإيمان. قال: "ثم اختلف الناس في هدى الله تعالى الذي يهدي به من يشاء من عباده، فقيل هو الإيمان..."[٨٢]

ويظهر من كلامه هناك أن هذا الإيمان ليس المعرفة التي هي المرحلة الأولى لأهل الله؛ لأن هذا الإيمان نتيجة لتلك المعرفة وثابت بها وفرع لها، والفرع غير الأصل والنتيجة غير ما أنتجها كما أن الثابت بالشيء غير ما يُثبته. قال: " فإن الإيمان أصله المعارف العقلية والأدلة البرهانية، لا يكون عن تقليد، وإنما يكون عن نظر سديد.[٨٣] وقال: فإن الإيمان يحتاج في ثبوته إلى نور آخر هو هدى في نفسه؛ وهو العلم بما يؤمن به. وهذا العلم لا بد وأن يكون ثابتا عن دليل قطعي."[٨٤]

فهذا النص الأخير واضح في مغايرة الإيمان للمعرفة وفي تفسير هذه المعرفة بالعلم بما يؤمن به عن دليل. ولأجل فهم الفرق بين مرحلة المعرفة ومرحلة الهداية أو –بعبارة الإمام السنوسي في شرح الوسطى– بين مرحلة الإيمان ومرحلة العلم بما يؤمن به، يود الباحث أن يتكلم هنا عن هاتين المرحلتين من حيث علم المقولات. فإنه قد تقرر عند القدماء أن الإيمان من مقولة الفعل؛ لأنه عبارة عن إدراك وقوع نسبة المحمولات إلى الموضوعات أو لا وقوعها في المسائل الاعتقادية.[٨٥] مثال ذلك قولنا "الله واحد عالم، ليس بجوهر ولا عرض" وقولنا "عذاب

---

[٨٢] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٢٢١.

[٨٣] المرجع نفسه، ص٢٢٢.

[٨٤] المرجع نفسه، ص٢٢٤.

[٨٥] أحمد صدقي، **ميزان الانتظام** (استنبول: دار الطباعة العامرة، ١٨٨٨)، ص١٠.

القبر حق". فإن الكلام الأول يفيد إدراك وقوع نسبة الوحدانية والعالِمية لله وعدم وقوع الجوهرية والعرضية له تعالى، كما يفيد الكلام الثاني إدراك وقوع الحقّيّة لعذاب القبر. وإدراك الوقوع واللاوقوع فعل قلبي؛ فتعين أن الإيمان من مقولة الفعل عند القدماء.[٨٦]

ولكن المتأخرين من العلماء لا يرتضون هذا المذهب. ويبدو للباحث أن الإمام السنوسي في هذه المسألة موافق لرأي المتأخرين. فإنهم يقولون بأن الإيمان عبارة عن الإدراك الحاصل من إيقاع النفس لنسبة المحمولات إلى الموضوعات أو انتزاعها في المسائل الكلامية.[٨٧] فهناك شيئان؛ أولهما: إيقاع النفس أو انتزاعها لتلك النسبة. وثانيهما: الإدراك الحاصل من الإيقاع والانتزاع. وهذا الثاني ليس من قبيل فعل النفس، بل هو من قبيل الأثر وانفعال النفس. فتبين بهذا أن الإيمان من مقولة الانفعال عند المتأخرين.[٨٨]

هذا، إذا نظرنا إلى كلام الإمام السنوسي السابق الذي يفرق بين الإيمان والعلم بما يؤمن به، وجدنا أنه مطابق لمذهب المتأخرين الفارقين بين الإيمان الذي هو الإدراك الحاصل بسبب الإيقاع والانتزاع، وبين نفس الإيقاع والانتزاع. ولا شك أن إيقاع النفس لنسبة الوحدانية إلى الله مثلا أو انتزاعها لنسبة الجوهرية عن الله مثلا لا بد من استنادهما إلى دليل ونظر. وهذا بعينه هو الوصف الذي قاله الإمام السنوسي للمعرفة التي هي مرحلة قبل مرحلة الإيمان حيث قال: "وهذا العلم لا بد وأن يكون ثابتا عن دليل قطعي."[٨٩] فبهذا ظهرت كيفية تأويل الإمام السنوسي للكلام الصوفي بالتأويلات العقدية وظهر كذلك مظهر التوفيق بين العلمين التصوف والعقيدة.

ثم يشير الإمام السنوسي في شرح العقيدة الصغرى إلى أن المعرفة والهداية اللتين حصلتا للشخص في هاتين المرحلتين ستؤديان إلى حصول خرق الحجب المانعة عن الحق والمعرفة. ولم يُرِدْ بهذه المعرفة المعرفة التي سبقت للشخص في المرحلة الأولى، بل أراد بها شهود حقائق الأشياء من حسنها وقبحها حيث فسرها بالعلم بملكوت الله تعالى وتنزيه الله عن مشابهة خلقه وتصرفه

---

[٨٦] صدقي، **ميزان الانتظام**، ص١٠.

[٨٧] المرجع نفسه، ص١٠.

[٨٨] المرجع نفسه، ص١٠.

[٨٩] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٢٢٤.

فيهم. قال: "فهذه أنوار الله تعالى في قلوب عباده، وهذه هي خرق الحجب المانعة للمحجوبين عن الحق ومعرفته. «إن لله تعالى سبعين حجابا من نور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.» ومعناه أن الله تعالى لو أطلع جميع عباده على العلم بملكوت الله تعالى وتنزيهه عن مشابهة خلقه وتصرفه فيهم لعلموا من تسبيح الله تعالى وتنزيهه عن مشابهة خلقه ما يحترق ويتلاشى به عن قلوبهم كل ما سواه سبحانه وتعالى."[٩٠]

فهم الباحث مما قاله الإمام أن وجه القبح في الخلق هو أنهم في عداد النقص والعجز؛ فإنهم ناقصون لعدم مشابهتهم لله الكامل المطلق، وعاجزون لكون الله يتصرف فيهم تصرفا مطلقا. أما وجه حسن الخلق أنهم يكونون دليلا لأهل الله وسببا إلى حصول العلم الذي يحترق به كل ما سوى الله عن قلوبهم. فهذا هو حقائق حسن الأشياء وقبحها، وهذا هو الذي يشهده أهل الله في هذه المرحلة.

ثم بين الإمام السنوسي المرحلة الأخيرة التي هي شهود البصيرة لمحاسن الذات والصفات بأنها هي المرحلة التي يكون العارف فيها لا يرى إلا الله تعالى على الدوام إذ ليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله، فقال: "وكل ما في الوجود سواه تعالى وسوى صفاته فهو فعله، وهي لا تملك ولا توجد. ووجودها في التأثير في الأشياء كعدمها، فلا يعد ما هذا سبيله مع الله تعالى من الوجود إلا على حكم الافتقار إليه والتعلق بإمداده وإبقائه. ومن غفل عن الله تعالى ونظر إلى خلق من المخلوقات بعين تأثير أو اقتدار أو تدبير فهو محجوب عن ربه. وإذا طلعت الشمس غابت الظلال وأفلت."[٩١] فشهود محاسن ذات الله وصفاته تغطي وتنسي شهود المخلوقات في نظر الإمام الغزالي. وكأن قوله في آخر هذا النص إشارة إلى عدم غياب شمس قلوب أهل الله الذي تكلم عنه الإمام في شرحه للبيت الصوفي الذي يكون الباحث في صدد دراسته الآن في هذا المبحث. وبهذا يتجلى التوفيق بين التصوف والعقيدة ويظهر للقارئ كيف كان الخطابان الصوفي والعقدي يفسر أحدهما الآخر على يد الإمام السنوسي رحمه الله تعالى.

وقبل أن يختم الباحث الحديث عن هذا المظهر يجدر به أن يذكر هنا أن البعد الشعري في التصوف الإسلامي منذ عهده الأول كان يتلون بعناصر عجيبة وغريبة كالتعبير عن معاني

---

[٩٠] السنوسي، **شرح الوسطى**، ص٢٢٥–٢٦.

[٩١] المرجع نفسه، ص٢٢٧.

شريفة وأذواق لطيفة بفقدان الحبيب وبالخمر والسكر والشوق والخيال وذكر الأطلال وغير ذلك.[٩٢]. وقد يتجاوز الشاعر هذه الأشياء ويقع في التعبيرات التي ظاهرها مخالفة للشريعة كما في البيت القائل: "وصل صلاة الفجر في أول العصر" الذي سبق ذكره ضمن النصوص المحققة في الباب الثالث. ومع ذلك استمر الإمام على تأويل مثل هذا الكلام بتأويلات تخرجه عن دائرة مخالفة الشريعة وتدخله إلى دائرة المعاني الشرعية الباطنة. بل إن الإمام السنوسي صرح في شرح العقيدة الكبرى بأن بعض علماء الطريق يتأولون شطحات الصوفية التي ظاهرها القول بالاتحاد كقول بعضهم "أنا الحق" أو "ما في جبتي إلا الله"، وينزهونهم عن ذلك، ويقولون بأن مثل هذا الكلام طرأ عليهم حالة فنائهم عما سوى الله، وهي حال سكر وغلبة. وإذا رجعول إلى صحوهم وإحساسهم لم يصدر منهم شيء من ذلك، ويعذرون بذلك حالة الفناء.[٩٣]

ولعل السبب في تأويل الإمام السنوسي لكلام أهل الله وإن كان ظاهر كلامهم يبدو بعيدا عن الشريعة أنهم لما كانوا شديدي التمسك بطريقة أهل السنة والجماعة في العقيدة كان من المحال عادةً أن يدخل في التصوف والطريقة التي يسلكونها الكفر والبدع ومخالفة العقيدة الصحيحة. ويشهد على هذا ما ذكره الملالي في المواهب القدوسية حيث قال بأن الإمام السنوسي إذا وجد في كلام سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري؛ ناظم متن كفاية المريد الذي شرحه الإمام، ما يوجب الاعتراض أو ما ظاهره حشو حمل ذلك على محمل حسن وتأوّل تأويلا حسنا.[٩٤] وقال: "هكذا كان حال الشيخ رضي الله عنه، تجده مهما وجد في كلام عالم سني لا سيما إن كان وليا من أولياء الله تعالى كصاحب القصيدة ما ظاهره عدم الصحة مثلا تأوّل كلامه على وجه صحيح لا خلل فيه ويحمله على مقصد حسن يليق به بحيث يقطع الإنسان أو يظن أن ذلك هو مراد صاحب ذلك الكلام."[٩٥] فالعقيدة السنية والولاية الروحانية لهما وزن كبير في نظر الإمام السنوسي ليحمل نفسه على إيجاد سبيل لفهم كلام المتصفين بهذين الوصفين وفق قواعد الشرع وأسسه.

---

[٩٢] Michael A. Sells, *Early Islamic Mysticism: Sufi, Qur'an, Miraj, Poetic and Theological Writings* (New York: Paulist Press, ١٩٩٦), p٥٦–٥٧.

[٩٣] السنوسي، **شرح العقيدة الكبرى**، ص٢٥٥–٠٦.

[٩٤] الملالي، "**المواهب (ح)**"، ص١١٦.

[٩٥] المرجع نفسه، ص١١٦–١٧.

**المظهر الرابع: تمثيل جهاد النفس بجهاد الكفار**

التمثيل في اللغة يُعدّ أسلوبا من الأساليب التي تُعين المخاطِب على تقريب صورة القضية التي يتكلم عنها إلى ذهن السامعين. ومن ذكاء الإمام السنوسي أنه اعتمد على هذا الأسلوب في توضيح قضية مهمة في علم التصوف وهي قضية مجاهدة النفس. ولم يكتفِ بذلك، بل استخدم هذا الأسلوب بهدف إيصال فكرة التوفيق بين التصوف والعقيدة حيث إنه مثل لجهاد النفس بجهاد الكفار الحربيين.

قال: "وحاصل الأمر في النفس أنها شبيهة في حالها بالكافر الحربي الذي يريد أن تكون كلمة الكفر هي العليا وكلمة التوحيد هي السفلى. وكذلك النفس؛ تريد أن تكون كلمة باطلها –من الدعاء للحظوظ العاجلة المشغلة عن إخلاص العبودية لمولانا جل وعلا والقيام بوظائف تكاليفه على الوجه الذي أمر به– هي العليا النافذُ أمرُها ونهيها في مدن الأجسام وما تعلق بها بعد أن نزلت بساحة الأبدان واتصلت بها اتصالا عظيما لا انفكاك عنه إلا بالموت."[٩٦]

شبّه الإمام السنوسي النفسَ بالكافر الحربي بجامع أنهما يريدان أن تكون كلمتهما هي العليا؛ فالكافر يريد أن تكون كلمة الكفر غالبة على كلمة التوحيد، والنفس تريد أن تكون حظوظها حاصلة لها غيرَ منازَعة بالعبودية لله والقيام بالتكاليف الشرعية. فكأن حظوظ النفس في نظر الإمام السنوسي بمثابة كلمة الكفر من حيث قبحها. ولعل التفسير المنطقي لهذا التشابه والارتباط الكائن بين النفس وبين الكفر هو أن النفس بطبعها مفطور على الأمّاريّة بالسوء، والمراد بهذا السوء هو الكفر. فالنفس إذا تركت على طبعها وعادتها تميل إلى الكفر لا غيرُ.

وممن أشار إلى هذا المعنى من المفسرين الشيخ إسماعيل حقي في تفسيره المسمى بروح البيان حيث قال: "النفس جُبلت على الأماريّة بالسوء وهو الكفر، ولئن آمنت وصارت مأمورة فهو خرق عادتها. يدل على هذا قوله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي﴾[٩٧] يعني برحمة الحق تعالى تصير مأمورة مؤمنة على خلاف طبعها. ولهذا قال ﴿وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ

---

[٩٦] الملالي، "**المواهب (ر)**"، ص١٤٥.

[٩٧] يوسف: ٥٣.

مُؤْمِنِينَ﴾[٩٨] يعنى أصحاب النفوس."[٩٩] فأول هذا الكلام يدل على أن النفس دائما تميل إلى الكفر، وآخره يدل على أن انقياد النفس للحق وللقيام بأوامر الله إنما هو بمحض فضل الله ورحمته. وهذا يتماشى مع ما سيذكره الإمام السنوسي في آخر كلامه حول هذه القضية حيث قال: "وذلك لا يكون إلا بقتال النفس حتى تطمئن وتنقاد للحق طوعًا أو تُغلب وتستسلم لأداء جِزية الاستعانة بها على طاعة الله تعالى..."[١٠٠] وقال: "وإنما يرى المنة في ذلك للمولى الكريم وحده إذ هو الذي ذلّلها له ومكّنه من الاستعانة بها على طاعته طوعا أو كرها مع شدة شكيمتها وعظيم كفرها ومعارضتها بهواها وشهواتها أحكام الله تعالى."[١٠١] فأكد الإمام السنوسي في هذا النص الأخير على أن انقياد النفس للحق إنما هو منة وموهبة من الله تعالى.

وعودا إلى النص الأول الذي شبّه فيه الإمام السنوسي جهاد النفس بجهاد الكافر الحربي، وجد الباحث في الفقرة التي تلي هذا النص أن الإمام كان يشبه في هذه الفقرة أحوال الحرب مع النفس بأحوال الكفار الذين دخلوا أرض المسلمين. فقال بأن نزول الأعداء في ساحة المسلمين يوجب لهم الجهاد ولو بغير إذن من الأبوين. وكذلك الحال في جهاد النفس حيث إنها قد نزلت بساحة الأبدان فتعين للشخص جهادها بكل ما يملك من القوة العلمية والعملية. وعدّ الإمام هذا الجهاد من علامات تعظيم الشخص لحرمات الله.

قال الإمام السنوسي مبينا ذلك: "فوجب بذلك على كل مؤمن يعظّم حرمات الله تعالى أن ينهض كل النهوض بغاية قواه العلمية والعملية لجهادها وقتالها. وفي مثل هذا القتال الذي نزل العدو فيه بساحة الأبدان –وهو فرض عين على كل مؤمن– يسقط استئذان الأبوين وغيرهما، ويجب على المؤمن أن ينوي في هذا الجهاد ما ينويه في جهاد الكفار؛ فينوي فيه امتثال أمر الله تعالى بأن يجاهد النفس حتى تكون كلمة الله تعالى –من الأمر بإخلاص العبادة له في الظاهر والباطن والسر والعلانية وعلى كل حال ورفض كل ما يشوش في ذلك– هي العليا النافذة عملا وامتثالا وتعظيما في جميع أجزاء البدن الظاهرة والباطنة."[١٠٢]

---

[٩٨] الشعراء: ١٩٠.

[٩٩] إسماعيل حقي الخلوتي، **روح البيان**، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج٦، ص٢٩١.

[١٠٠] الملالي، **"المواهب (ر)"**، ص١٤٥.

[١٠١] المرجع نفسه، ص١٤٦.

[١٠٢] المرجع نفسه، ص١٤٥.

واضح من هذا النص أن الإمام السنوسي كان يشبّه الصراع الواقع بين الهوى والتقوى داخل الإنسان المؤمن بجهاد المؤمنين ضد الكفار. فالذي يترتب على إهمال مخالفة الهوى شبيه بما يترتب على إهمال الكفار وتركهم يفعلون الظلم والجور في بلاد المسلمين. ولا يخفى على المتأمل ما في هذا التمثيل من التوفيق الظاهر بين التصوف والعقيدة في فكر هذا الإمام. وبان به مظهر التمثيل بالمثال الإيماني على المسألة التصوفية. وهذا آخر ما وقف عليه الباحث من مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة من خلال الكتابين؛ نصرة الفقير والمواهب القدوسية.

**خاتمة**

يمكن للباحث أن يقول بعد دراسته لهذا الموضوع المهم إن العقل يعدّ أكبر مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة وأهمّها وأجلاها عند الإمام السنوسي. ويدل على ذلك اهتمام الإمام به في المجال العقدي حيث جعله قانونا وأساسا للدرس العقدي الأشعري ويبقى هذا القانون مستعملا ومُتلقى من جيل إلى جيل فيما بعده حتى تُعرف المرحلة الزمانية التي يهتم الدرس العقدي فيها بهذا القانون العقلي بمرحلة سنوسية. هذا، واهتمام الإمام بالعقل في المجال الصوفي أيضا لا يقل عن اهتمامه به في المجال العقدي حيث قرّر الإمام في المواهب القدوسية بأن صاحب العقل الحقيقي هو الذي يقوده عقله إلى التزود ليوم الآخرة وترك لذائذ الدنيا وشهواتها. فحقيقة العقل عنده مرتبطة أشد الارتباط بسلوك أهل التصوف ومجاهداتهم في الدنيا لأجل سلامتهم من أهوال يوم الآخرة. ثم العقل، كما أنه في العقيدة يكون سببا للحصول على المعرفة التوحيدية، يكون في التصوف سببا لوصول صاحبه إلى العمل بمقتضى الأذكار التي يواظب عليها، وإلى التخلق بالأخلاق الحميدة التي يدل عليها عقله، وإلى الاتصاف بالتقوى التي هي أعلى مرتبة من مجرد الإيمان. وقد لاح للباحث والقارئ لهذه الدراسة كيف كان الإمام السنوسي يحاول التوفيق بين هذه الأفكار الصوفية وبين ما يتعلق بها من الأبعاد الاعتقادية، فجعل العقل واسطة وجسرا لتواصل الجانبين، ولم يتكلم عن الأبعاد الصوفية مستقلة عن العقيدة، ولا عن العناصر الاعتقادية من غير ربطها بالمقاصد الصوفية. وبهذه المحاولة التي قام بها الإمام السنوسي تجلى مظهر التوفيق بين التصوف والعقيدة من خلال تركيزه على العقل كجسر التوفيق بينهما.

ثم يأتي في الدرجة الثانية في الأهمية المظهر التوفيقي الذي يعنى بالتعليم الصوفي. فإن التعليم هو أكبر الوسائل لنشر العلم لأن العلم إنما يحصل بالتعلم، والتعلم يكون بتعليم المعلِّم تلامذته. والتصوف انتشر بالتعليم كما انتشرت العلوم الأخرى به أيضا. وقد تنبه إمامنا السنوسي إلى أهمية التعليم الصوفي وكيف كان التعليم الصحيح للتصوف سينتج صوفيا حقيقا، فسعى إلى إظهار مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة من خلال التعليم الصوفي بوضع التعاليم الصوفية على ميزان العقيدة السنية. ويظهر ذلك في توجيهه للمعلِّمين والمؤدبين بأن يكونوا على بصيرة بحقيقة أفعالهم تجاه تلامذتهم ويعرفوا ويتيقنوا بأن تلك الأفعال التي قاموا بها لأجل تأديبهم إنما هي أفعال خلقها الله وليس لهم فيها أي تأثير. فليس لهم حق في أن يغضب إذا لم يتأدب التلامذة بتأديبهم كما أنه ليس لهم حق في أن يتكبر إذا تحسنت أحوال تلامذتهم بتأديبهم. وهذه المعرفة بعينها يمكن أن يكون حصنا للعابد من أن يغتر بعبادتهم، ودواء للمتكبر من أن يعلو على الناس بالمحاسن التي هي في الحقيقة ليست ثابتة له، بل هي مخلوقة بقدرة الله وإرادته، فإذا أراد الله أن ينزعها عنه فليس لأحد دفعه وإنكاره. فهذه الأمثلة للتعليم الصوفي الذي يخضع لمعايير العقيدة الصحيحة، وقد تجلت هذه الأمثلة كلها كمظاهر للتوفيق بين التصوف والعقيد عند الإمام السنوسي.

المظهر الثالث الذي يستطيع إبانة وجوه التوفيق بين التصوف والعقيدة عند إمامنا السنوسي هو مظهر تفسير الكلام الصوفي بالتفسيرات العقدية وتفسير الكلام العقدي بالتفسيرات الصوفية. يرى الباحث أن هذا المظهر من أجمل ما صنعه الإمام في محاولته لتطبيق الفكرة التوفيقية في أرض الواقع. وهذا المظهر سيجعل الناس يقفون بسهولة على النموذج المثالي للتوفيق بين العلمين وسيجعلهم لا يفتتنون بدعوى انفصال التصوف عن العقيدة أو دعوى إدخال التصوف في الدين الإسلامي؛ لأن التصوف إذا كان دخيلا فيه فلا يرضى إمام من أئمة أهل السنة مثل الإمام السنوسي أن يجعله يرتبط ويُفسر برأس ماله ورأس مال المؤمنين الذي هو العقيدة.

ثم المظهر الأخير الذي هو تمثيل المسألة الصوفية بالمثال الإيماني فهو من إبداعات الإمام السنوسي التي لم يرها الباحث عند من سبقها حسب اطلاع الباحث القاصر. وهذا الإبداع الذكي للإمام السنوسي يظهر في تمثيله لمجاهدة النفس بجهاد الكافر الحربي. ولما كانت مجاهدة

النفس تعتبر من أهم عناصر التصوف بشهادة كلام الإمام أبي نعيم الأصبهاني مثلًا كان الكلام عنها والتمثيل لها بالمثال العقدي أيضا مهما للغاية. ويظهر ذكاء الإمام السنوسي هنا حيث إنه ربط مسألة مجاهدة النفس بأهم مسائل العقيدة التي هي مسألة الإيمان والكفر ليجلي من خلاله أن هذه المسألة التصوفية لا تقل أهمية عن تلك المسألة العقدية التي تتطلب من المؤمنين استفراغ جميع قواهم لمقاومة تلك الأعداء في العقيدة. ونفسه يقال لهذه الأعداء في الباطن التي هي الأنفس الكائنة فيهم. وبما تقرر في هذا الباب، تجلت مظاهر التكامل والتوفيق بين التصوف والعقيدة في فكر الإمام السنوسي وأصبحت حاجة الناس إلى هذه المظاهر جلية خصوصا عند من يشتغل بتجديد الدرس العقدي الأشعري؛ فإن تغيير كيفية عرض المسائل العقدية بأن تعرض تلك المسائل مرتبطة بالروح الصوفي كما فعله الإمام المتكلم محمد بن يوسف السنوسي سيؤدي إلى انتعاش هذا العلم بعد طول ركوده. والله أعلم.

# الباب السادس

# خاتمة البحث والنتائج والتوصيات

في نهاية هذه الرسالة، والتي كانت بعنوان "مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة في كتابي "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية": محاولة لاستخراج الأسس الصوفية من خلال فكر الإمام السنوسي (ت. ٨٩٥هـ)"، ناقش الباحث مجموعة من القضايا المهمة التي تعينه على حلّ مشكلة البحث القائلة بضرورة الوقوف على مشروع التوفيق بين التصوف والعقدية لرفض افتراض أن التصوف شيء غريب عن الإسلام، وللاستدلال على صحة فكرة التكامل بين العلوم الإسلامية قاطبة، وبين العقيدة والتصوف على وجه الخصوص. وقد أورد الباحث أهم الأسباب المسهمة في تكوين الشخصية العلمية للإمام المجدد محمد بن يوسف السنوسي، ونتائجها المترتبة على مشروعه التوفيقي. وقدم الباحث للباحثين مجموعة من الأسس التي هي بمثابة قوانين تصوف الإمام السنوسي وضوابطه، ثم استخدم الباحث هذه الأسس كأدوات ناجحة في تحليل قضايا التصوف في هذا العصر، وذلك بعد أن رأى عدم إمكانية اتفاق بعض من ينتمي إلى علم الكلام وبعض من بينتمي إلى علم التصوف على قول واحد في بعض القضايا التي تمس الجانبين. كما أن الباحث أيضا درس في آخر هذه الرسالة مجموعة من المظاهر للتوفيق بين التصوف والعقيدة التي استخرجها من كلام الإمام السنوسي في الكتابين "نصرة الفقير" و"المواهب القدوسية" ليستدل بهذه المظاهر على صحة الفكرة التي آمن بها وهي ضرورة الجمع بين علم التوحيد والتصوف لئلا يقع الإنسان في حيرة عندما لم يقف على مثال واقعي للتوفيق بين عقيدته وسلوكه. من خلال التركيز على وظيفة العقل ومسألة أفعال العباد والتمثيل الإيماني مع وقفات تصوفية وروحية عند هذه الأمور، استطاع الباحث أن يؤيد تلك الفكرة ويجعل الإمام السنوسي خير مثال للمشروع التوفيقي والتكامل المعرفي.

**وهذه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:**

١. يعتبر الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي أبرز علماء الكلام في الغرب الإسلامي، وله مشاركة في شتى العلوم، إلا أن همته مرتكزة على علم الكلام وعلم التصوف.

٢. إن للمتكلمين والصوفية التي كانوا شيوخ الإمام السنوسي أيادي بيضاء في تعريفه بالمنهج التوفيقي وتزويده بمكونات الفكرة التوفيقية. وذلك لأنهم أنفسَهم جمعوا بين علم الكلام وعلم التصوف حتى يمكن أن يوصف كثير منهم بكونه مشاركا في كلا المجالين ومشتغلا بهما معًا مثل الشيخ إبراهيم التازي والإمام ابن مرزوق الحفيد، أو كان موصوفا بأوصاف الصوفية مع ما كان عليه من الاشتغال بفن الكلام كشيخه في العقيدة؛ الكنابشي.

٣. إن فكرة التوفيق بين العقيدة والتصوف كانت موجودة في بلدان المغرب قبل زمن الإمام السنوسي حيث أُثِرَ عن الإمام ابن دهاق كلام مزج بين التصوف والعقيدة ونقله الإمام السنوسي في شروحه على كتبه العقدية مثل شرح الكبرى والوسطى، واستمرت هذه الفكرة إلى ما بعد زمن الإمام السنوسي حيث وجد الباحث أن الإمام اليوسي من المتأخرين سار على هذا المنوال.

٤. إن مصادر الإمام السنوسي في العقيدة اتسمت بالتنوع في المنهج ما بين كلامية محضة، وممزوجة بالفلسفة، وممزوجة بالتصوف. وإن أغلب مصادره في التصوف مذكورة في كتابه العقدي الموسوم بالمنهج السديد.

٥. إن استشهاد الإمام السنوسي بقول الإمام ابن دهاق ونقله لكلامه من دون أي تعقيب وتحذير مع شدة الإمام على أهل البدعة وشدة احتياطه من الميل إلى مذهبهم، يدل على أن الإمام يعترف بتصوف الإمام ابن دهاق وطريقته وإن كانت المدرسة الصوفية التي ينتمي إليها ابن دهاق هي نفس المدرسة التي ينتمي إليها الإمام ابن عربي الحاتمي.

٦. اتضح من الكتابين "المواهب" و"نصرة الفقير" قدرة الإمام السنوسي على ربط التصوف بالفقه ودمج التصوف بالعقيدة، حتى يستطيع الباحث أن يقول بأن

الإمام السنوسي كان يتمتع بـ"عقل الفقيه" حيث اعتنى بتحرير محل النزاع في مسألة محدثات الأعمال الصوفية من خلال ما كتب في "نصرة الفقير". وهو ما يدل على انبناء تصوفه وطريقته على أساس فقهي متين. وأنه كان يتمتع بـ"قلب الصوفي" حيث استطاع أن يتناول العديد من القضايا الصوفية في كتاب "المواهب القدوسية". فتكلم فيه عن الشريعة والحقيقة، وعن وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وتأويل كلام الصوفية، وكرامة الأولياء وغيرها من القضايا.

٧. ينبني تصوف الإمام السنوسي على خمسة أسس مهمة تعتبر أصولا وقوانين لمعرفة التصوف الحق وتمييز الصوفية الحقيقية من الصوفية الباطلة، وهذه الأصول الخمسة هي: أن التصوف الصحيح مبني على العقيدة النقية، وأنه يجب تقديم السنة واتخاذها ميزانا لمعرفة الصوفية الحقة، ووجوب ملازمة الحقيقة للشريعة، وضرورة تحسين الظن بأهل الله، ووجوب اتخاذ الشيخ المربي في السلوك.

٨. نجحت أسس تصوف الإمام السنوسي في حل إشكالات وقعت في بعض نظريات مهمة في مجال التصوف، وذلك يظهر بإرجاع مسألة جواز وجود المراتب للتوحيد إلى معرفة ودراسة مفهوم التوحيد الصحيح، وبناء جواز وقوع الكرامة والمكاشفة والعلم اللدني على أساس الاتباع الكامل للنبي صلى الله عليه وسلم، وتفريع صحة العلم الذوقي على أصل ملازمة الحقيقة للشريعة، وصحة كتمان بعض العلوم على مبدأ حسن الظن بأهل الله.

٩. اعتمد الإمام السنوسي على السنة النبوية وآثار السلف اعتمادا كبيرا يستطيع ذلك أن يجلي مدى متابعته للنبي والصحابة والسلف الصالح، وقد أدى اعتماده على هذين المصدرين المهمين إلى أن يقول بمشروعية الاجتماع للذكر واتخاذ السبحة والتبرك بالصالحين ولبس الخرقة وتلقين الذكر ويجيز العمل بهذه الأمور.

١٠. تتجلى مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي من خلال العقل الذي يربط بين التفكر في معاني توحيدية لذكر الله والعمل بمقتضيات تلك المعاني، ويربط بين فهم الدروس العقدية وبين التقوى الناشئة منه، كما أن هذا

العقل أيضا يكون سببا للتخلق بالأخلاق المحمودة بعد استيعابه لما لقّن عليه من العقائد.

١١. تُعدّ التعاليم الصوفية التي خضعت لقوانين العقيدة الصحيحة أحدَ مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي، وذلك لأن التعاليم الصوفية المتمثلة في تأديب الأولاد وإخلاص العبادات وتزكية النفس من الكبر لم تكن صحيحة إذا لم تتأسس على فهم وانقياد لحقيقة أفعال العباد عند أهل السنة والجماعة.

١٢. إن من عبقرية الإمام السنوسي أن يمثل بالمثال الإيماني لمسألة من أهم مسائل علم التصوف التي هي مسألة جهاد النفس، فشبه هذا الجهاد بجهاد الكفار المتمردين على دار الإسلام والإيمان، وهذا التمثيل من مميزات مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند الإمام السنوسي.

١٣. إن من وسائل تجديد علم الكلام الأشعري وإعادة قوته وتفعيله في المجتمع إظهار مظاهر التوفيق بين التصوف والعقيدة عند المتكلمين الأشاعرة خصوصا إمامنا السنوسي، ونفخ روح التصوف الصحيح في الدرس العقدي الجديد ليتكمل في الإنسان البعد النظري المتمثل في عقيدته مع البعد العملي المتمثل في سلوكه وتصوفه.

**التوصيات**

١. يوصي الباحث الباحثين في مجال العقيدة بإنشاء مشروع دراسة أسس التصوف التي التزمها المتكلمون من أهل السنة والجماعة مع محاولة إظهار الملامح الصوفية التي ظهرت لهم لأجل الوقوف على حقيقة التلازم بين العلمين، كما أنه يوصي الباحثين في مجال التصوف بدراسة أصول العقيدة وقواعد التوحيد التي بنى الصوفية الحقة تصوفهم عليها لأجل الوقوف على حقيقة وحدة العقيدة التي تمسك بها الصوفية والمتكلمون.

٢. يحث الباحث المؤسسات الدينية الحكومية وغير الحكومية على تبني مشروع الإمام السنوسي في التوفيق بين التصوف والعقيدة نظرا لاتفاق الجميع على إمامته في

عقيدة أهل السنة والجماعة وثقةً بقدرة نظرياته وأسسه وقواعده في التصوف على إنجاح عملية الغربلة والتمييز بين التصوف الحق والباطل.

٣. يوصي الباحث الباحثين المتخصصين في دراسة كتب الإمام السنوسي وعقيدته بأن يصب اهتمامهم ويفرغ جهدهم في بحث ودراسة الكتب التي لم تلقَ الاهتمام اللائق بها مثل كتاب "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية" وكتاب "المنهج السديد شرح كفاية المريد" وكتاب "شرح واسطة السلوك". فإن هذه الكتب تحوي كثيرا من الحقائق والمعارف الجديدة تتعلق بشخصية الإمام السنوسي وعقيدته وتصوفه.

# قائمة المصادر والمراجع


**أولا: الكتب المخطوطة**

السنوسي، محمد بن يوسف. (١٢٧٤). "**نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير**". مخطوط. جامعة الملك سعود.

محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الملك. (د.ت). "**رسالة في العقائد**". مخطوط. الخزانة الحسنية.

الملالي، محمد بن إبراهيم. (د.ت). "**المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**". مخطوط. الخزانة الحسنية.

الملالي، محمد بن إبراهيم. (د.ت). "**المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**". مخطوط. خزانة الزاوية الحمزية العياشية بالراشدية.

الملالي، محمد بن إبراهيم. (د.ت). "**المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**". مخطوط. دار الكتب الوطنية بتونس.

**ثانيا: الكتب العربية**

ابن أبي جمرة الأندلسي، عبد الله بن سعد. (د.ت). **بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها**. بيروت: دار الجيل.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. (١٤٠٩). **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**. تحقيق كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (١٩٨١). **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**. تحقيق إرشاد الحق الأثري. باكستان: إدارة العلوم الأثرية.

ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد. (د.ت). **المدخل**. دار التراث.

ابن الزيات، يوسف بن يحيى التادلي. (١٩٨٤). **التشوف إلى رجال التصوف**. تحقيق أحمد التوفيق. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

ابن العماد العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد. (١٩٨٦). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق محمود الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. دمشق: دار ابن كثير.

ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد. (١٩٧١). **درة الحجال في أسماء الرجال**. تحقيق محمد الأحمدي. تونس: المكتبة العتيقة.

ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله. (د.ت.). **الزهد والرقائق**. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف. (٢٠٠٣). **شرح صحيح البخارى لابن بطال**. تحقيق ياسر بن إبراهيم أبو تميم. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

ابن حزم، علي بن أحمد. (٢٠٠٣). **المحلى بالآثار**. تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حنبل، أحمد بن محمد. (١٩٩٥). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار الحديث.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، وعبد الله محمد الدرويش. (٢٠٠٤). **مقدمة ابن خلدون**. دمشق: دار البلخي.

ابن رشد الجد، أبو الوليد محمد بن أحمد. (١٩٨٨). **المقدمات الممهدات**. تحقيق محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي. (١٩٩٠). **الطبقات الكبرى**. تحقيق محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن صعد، محمد بن أبي الفضل. (٢٠٠٩). **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**. تحقيق يحيى بوعزيز. الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز. (١٩٩١). **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز. (١٩٩٥). **رسائل في التوحيد**. تحقيق إياد خالد الطباع. بيروت: دار الفكر المعاصر.

ابن عجيبة. (٢٠١٠). **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**. تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عجيبة، أحمد بن محمد. (٢٠٢٠). **أزهار البستان في طبقات الأعيان**. تحقيق عبد السلام العمراني. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي. (د.ت). **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث.

ابن ماجه، محمد بن يزيد. (د.ت). **سنن ابن ماجه**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مصر: دار إحياء الكتب العربية.

ابن مريم، محمد بن محمد. (١٩٠٨). **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**. الجزائر: المطبعة الثعالبية.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (١٤١٤). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

الآشي، محمد زين بن الفقيه جلال الدين. (د.ت). **بداية الهداية شرح متن أم البراهين**. تيلاند: مطبعة بن حلبي.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. (١٩٧٤). **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. محافظة مضر: دار السعادة.

الباجوري، إبراهيم بن محمد، ومحمد علي جمعة. (٢٠٠٢). **تحفة المريد على جوهرة التوحيد**. القاهرة: دار السلام.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٣١٢). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو. (٢٠٠٩). **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي. المدينة: مكتبة العلوم والحكم.

البغوي، الحسين بن مسعود. (١٩٩٥). **الأنوار في شمائل النبي المختار**. تحقيق إبراهيم اليعقوبي. دمشق: دار المكتبي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د.ت). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البلوي، أبو جعفر أحمد بن علي. (١٩٨٣). **ثبت أبي جعفر البلوي**. تحقيق عبد الله العمراني. تونس: دار الغرب الإسلامي.

البوصيري، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر. (١٩٩٩). **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**. تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: دار الوطن للنشر.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (٢٠٠٣). **شعب الإيمان**. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين. (١٩٩٢). **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. جيزة: هجر للطباعة والنشر.

الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٩٨). **الجامع الكبير**. تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الترمسي، محمد محفوظ بن عبد الله. (د.ت). **كفاية المستفيد لما على من الأسانيد**. تحقيق محمد ياسين الفاداني. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

التنبكتي، أحمد بابا. (٢٠٠٠). كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. تحقيق محمد مطيع. المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

التنبكتي، أحمد بابا. (٢٠٠٠). نيل الابتهاج بتطريز الديباج. تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة. طرابلس: دار الكاتب.

التوجيني، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله. (٢٠٠٥). **عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس**. الجزائر: دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع.

الثعالبي، عبد الرحمن. (د.ت). **حقائق التوحيد**. تحقيق نزار حمادي. تونس: دار الإمام ابن عرفة.

الثعالبي، عبد الرحمن. (٢٠٠٥). **رحلة عبد الرحمن الثعالبي**. تحقيق محمد شايب شريف. بيروت: دار ابن حزم.

الجنيد البغدادي، أبو القاسم. (٢٠٠٣). **رسائل الجنيد**. تحقيق علي حسن عبد القادر. القاهرة: برعي وجداي.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله. (٢٠١٦). **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**. تحقيق محمد يوسف إدريس وبهاء أحمد الخلايلة. الأردن: دار النور المبين.

الحاتمي، محمد بن علي محي الدين بن عربي. (د.ت). **الفتوحات المكية**. تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب. تريم: وزارة الثقافة.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (١٩٩٠). **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحكيم الترمذي، محمد بن علي. (د.ت). **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم**. بيروت: دار الجيل.

حمادي، نزار. (د.ت). "**مقدمة تحقيق شرح الواسطة**". في شرح واسطة السلوك للإمام السنوسي. تونس: دار الإمام ابن عرفة.

الحنفي، رمضان بن محمد، مصلح الدين بن محمد القسطلاني، وشمس الدين أحمد بن موسى الخيالي. (٢٠١٢). **المجموعة السنية على شرح العقائد النسفية**. تحقيق مرعي حسن الرشيد. لبنان: دار نور الصباح.

الحوت الشافعي، محمد بن محمد. (١٩٩٧). **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخلوتي، إسماعيل حقي. (د.ت). **روح البيان**. بيروت: دار الفكر.

دخان، عبد العزيز الصغير. (٢٠١٠). **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف**. الجزائر: دار كردادة.

الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار. (١٩٨٦). **الفردوس بمأثور الخطاب**. تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (١٩٨٥). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الرازي، محمد بن عمر فخر الدين. (١٤٢٠). **مفاتيح الغيب**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرندي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عباد. (٢٠٢١). **التنبيه شرح الحكم العطائية**. دمشق: دار التقوى.

الرندي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عباد. (٢٠١٣). **الرسائل الكبرى المسماة نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل**. تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي. بيروت: كتاب ناشرون.

الزركلي، خير الدين. (٢٠٠٢). **الأعلام**. بيروت: دار العلم للملايين.

زروق، أبو العباس أحمد. (٢٠١٥). **تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في أمور أعمها التصوف وما فيه من وجوه التعرف المسمى اختصارا قواعد التصوف وشواهد التعرف**. تحقيق نزار حمادي. تونس: دار الإمام ابن عرفة.

زروق، أبو العباس أحمد. (٢٠١١). **عدة المريد الصادق**. تحقيق إدريس عزوزي. المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

زروق، أبو العباس أحمد. (د.ت). **مقدمة التصوف وحقيقته ونتيجته**. تحقيق نزار حمادي. تونس: دار الإمام ابن عرفة.

زهري، خالد. (٢٠١١). **الفقه المالكي والكلام الأشعري محاولة لإبراز بعض ملامح الإبداع الكلامي والصوفي عند فقهاء المغرب**. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.

زهري، خالد. (٢٠١٧). **المصادر المغربية للعقيدة الاشعرية: ببلوغرافيا ودراسة ببلومترية**. دراسات ببلوغرافية ١. الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء.

زهري، خالد. (٢٠١٢). **ثلاث عقائد أشعرية**. سلسلة ذخائر من التراث الأشعري المغربي ٢. تطوان: مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث.

زهري، خالد. (٢٠١٧). **من علم الكلام إلى فقه الكلام**. الكويت: دار الضياء.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث. (د.ت). **سنن أبي داود**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن. (د.ت.). **القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ**. عرمون: دار الريان للتراث.

السراج، أبو نصر. (١٩٦٠). **اللمع**. تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. مصر: دار الكتب الحديثة.

السكندري، ابن عطاء الله. (١٩٨٨). **الحكم العطائية**. تحقيق محمد عبد المقصود هيكل. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.

السكندري، ابن عطاء الله. (٢٠٠٦). **لطائف المنن**. تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار المعارف.

السكندري، ابن عطاء الله. (١٤٢١). **مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح**. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

السلاوي، إسماعيل بن محمد الرشيد. (١٩٥٧). **جلاء الظلام الدامس في موجز تاريخ المغرب إلى عصر محمد الخامس**. المحمدية: مطبعة فضالة.

السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. (١٩٩٨). **طبقات الصوفية**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

السنوسي، محمد بن يوسف. (د.ت). **المنهج السديد في شرح كفاية المريد**. تحقيق مصطفى مرزوقي. الجزائر: دار الهدى.

السنوسي، محمد بن يوسف. (٢٠١١). **المواهب القدوسية في المناقب السنوسي**. تحقيق علال بوربيق. الجزائر: دار كردادة.

السنوسي، محمد بن يوسف. (٢٠١٥). **شرح أبيات لبعض السادات**. تحقيق نزار حمادي. تونس: دار الإمام ابن عرفة.

السنوسي، محمد بن يوسف. (٢٠٠٨). **شرح الأسماء الحسنى**. تحقيق نزار حمادي. بيروت: مؤسسة المعارف.

السنوسي، محمد بن يوسف. (١٤٤١). **شرح العقيدة الصغرى**. تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي. دمشق: دار التقوى.

السنوسي، محمد بن يوسف. (١٤٤١). **شرح العقيدة الكبرى**. تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي. دمشق: دار التقوى.

السنوسي، محمد بن يوسف. (١٤٤١). **شرح العقيدة الوسطى**. تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي. دمشق: دار التقوى.

السنوسي، محمد بن يوسف. (٢٠١٩). **شرح المقدمات**. تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي. دمشق: دار التقوى.

السنوسي، محمد بن يوسف. (١٤٤١). **شرح صغرى الصغرى**. تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي. دمشق: دار التقوى.

السنوسي، محمد بن يوسف. (د.ت). **شرح واسطة السلوك**. تحقيق نزار حمادي. تونس: دار الإمام ابن عرفة.

السنوسي، محمد بن يوسف. (٢٠٠٢). **نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير**. تحقيق حسن حافظي علوي. كتاب دعوة الحق العدد التاسع. المملكة المغربية: مطبعة فضالة.

السهروردي، شهاب الدين أبو حفص عمر. (٢٠٠٦). **عوارف المعارف**. تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠٠٤). **الحاوي للفتاوي**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٤٠٣). **طبقات الحفاظ**. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. (١٩٩٢). **الاعتصام**. تحقيق سليم بن عيد الهلالي. السعودية: دار ابن عفان.

الشجري، يحيى بن الحسين. (٢٠٠١). **ترتيب الأمالي الخميسية**. تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشرفاوي، أنس محمد عدنان. (٢٠١٩). **"ترجمة الإمام السنوسي"**. في شرح العقيدة الكبرى للإمام السنوسي. دمشق: دار التقوى.

الشفشواني، محمد بن عسكر. (١٣٩٧). **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**. تحقيق محمد حجي. ط٢. الرباط، المغرب: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.

صدقي، أحمد. (١٨٨٨). **ميزان الانتظام**. استنبول: دار الطباعة العامرة.

الصديقي، محمد علي بن محمد علان. (٢٠٠٤). **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**. تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبراني، سليمان بن أحمد. (١٩٩٤). **المعجم الكبير**. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطيبي، عبد المحمود بن نور الدائم. (٢٠١٩). **روض المعاني ومجالس الأنس والتهاني شرح الحكم الطيبية**. تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي. بيروت: كتاب ناشرون.

العسقلاني، أحمد بن حجر. (١٩٧٢). **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. تحقيق محمد عبد المعيد ضان. صيدر اباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

عيسى، عبد القادر. (٢٠١٧). **حقائق عن التصوف**. دمشق: دار التقوى.

الغبريني، أحمد بن أحمد أبو العباس. (١٩٧٩). **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**. تحقيق عادل نويهض. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.

الغزالي، محمد بن محمد. (٢٠١٥). **إحياء علوم الدين**. جدة: دار المنهاج.

الغزالي، محمد بن محمد. (٢٠١٢). **الاقتصاد في الاعتقاد**. جدة: دار المنهاج.

الغزالي، محمد بن محمد. (٢٠١٦). **معيار العلم**. تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج. جدة: دار المنهاج.

الفاسي الفهري، محمد العربي بن يوسف. (٢٠٠٨). **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**. تحقيق محمد بن حمزة الكتاني. بيروت: دار ابن حزم.

الفطاني، زين العابدين بن محمد. (د.ت). **عقيدة الناجين في علم أصول الدين**. تيلاند: مطبعة بن حلبي.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن. (د.ت). **الرسالة القشيرية**. تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار المعارف.

كنون، عبد الله. (د.ت). **النبوغ المغربي في الأدب العربي**. بيروت: دار الكتب العلمية.

كور، أوغست. (٢٠١٠). **دولة بني وطاس (١٤٢٠-١٥٥٤)**. **ترجمة** محمد فتحة. الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

الكيلاني، ميعاد شرف الدين. (٢٠١١). **تاريخ النقباء في سيرة الإمام عبد القادر الكيلاني وذريته ونقباء أشراف بغداد**. بيروت: دار الكتب العلمية.

لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد. (١٤٢٤). **الإحاطة في أخبار غرناطة**. بيروت: دار الكتب العلمية.

اللقاني، عبد السلام بن إبراهيم. (٢٠١٩). **إتحاف المريد بجوهرة التوحيد**. تحقيق علاء سمير الطوخي. دمشق: دار الدقاق.

مخلوف، محمد بن محمد. (٢٠٠٣). **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. تحقيق عبد المجيد خيالي. بيروت: دار الكتب العلمية.

المدني، مالك بن أنس. (١٩٨٥). **موطأ الإمام مالك**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المغيلي، محمد بن عبد الكريم. (٢٠٠١). **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**. تحقيق عبد المجيد الخيالي. ١بيروت: دار الكتب العلمية.

الملالي، محمد بن إبراهيم. (٢٠١٧). **شرح أم البراهين**. تحقيق خالد زهري. بيروت: دار الكتب العلمية.

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. (١٣٥٦). **فيض القدير شرح الجامع الصغير**. تحقيق ماجد الحموي. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. (١٤١٧). **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**. بيروت: دار الكتب العلمية.

الموصلي، أحمد بن علي أبو يعلى. (١٩٨٤). **مسند أبي يعلى**. تحقيق حسين سليم أسد. دمشق: دار المأمون للتراث.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (٢٠٠١). **السنن الكبرى**. تحقيق حسن عبد المنعم شلبي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (١٩٨٦). **المجتبى من السنن**. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النمري، أبو عمر ابن عبد البر. (١٩٩٤). **جامع بيان العلم وفضله**. تحقيق أبو الأشبال الزهيري. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. (٢٠٠١). **المقاصد**. تحقيق برهان محمد بدر الدين الشاعر. دمشق: مكتبة الغزالي.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. (١٣٩٢). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

نويهض، عادل. (١٩٨٠). **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**. بيروت: دار إحياء التراث.

الهبطي الصغير، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (٢٠٠٢). **ثلاث رسائل في التوحيد والهيللة**. تحقيق خالد زهري. بيروت: دار الكتب العلمية.

الهواري، محمد بن عمر. (د.ت). **عقيدة الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري الوهراني**. تحقيق نزار حمادي. تونس: دار الإمام ابن عرفة.

الونشريسي، أحمد بن يحيى. (١٩٨١). **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**. تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي. المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

اليافعي، عبد الفتاح بن صالح قديش. (٢٠١٦). **التوسل بالصالحين بين المجيزين والمانعين (دراسة مقارنة)**. صنعاء: مركز الخيرات للدراسات والنشر.

اليحصبي، القاضي عياض بن موسى. (١٩٩٨). **إكمال المعلم بفوائد مسلم**. تحقيق يحيى إسماعيل. مصر: دار الوفاء. إكمال المعلم.

اليوسي، الحسن بن مسعود. (١٩٨٢). **المحاضرات في الأدب واللغة**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

اليوسي، الحسن بن مسعود. (٢٠٠٩). **مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص**. تحقيق حميد حماني اليوسي. المملكة المغربية: دار الرشاد الحديثة.

**ثالثا: البحوث العلمية**

المهدي، حميدة، ونريمان جنيدي. (٢٠٢٠). "**محمد بن يوسف السنوسي وآثاره العلمية**". بحث الماجستر غير المطبوع، جامعة حمة لخضر.

**رابعا: الدوريات**

الحيدري، م.م زهير يوسف عليوي. "جهود المستشرقين في دراسة تاريخ التصوف الإسلامي: دراسة في أهم آراء ومؤلفات المستشرقين في التصوف الإسلامي". **مجلة اوروك للأبحاث الإنسانية** ٣، عدد ٣ (٢٠١٠): ٥٠—٦٣.

الصغير، أبو الحسن. "رسالة في ذم البدعة وأهلها". **مجلة البحوث الإسلامية** ٦٧، عدد الإصدار ٣ (د.ت): ٤٨٢٥٨.

الكشان، المليح بن عبد الله بن عبد العزيز. "تمييز المشكل وبيان المعضل في مدح التصوف وزهاد الصوفية – عرض ودراسة". **مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا** ٣٤، عدد ٢ (أبريل، ٢٠١٩). رابط المجلة: https://mksq.journals.ekb.eg/issue_٦٨٢٢_٦٨٢٤.html.

بلحاج، جلول. "محمد بن يوسف السنوسي (٨٣٢-٨٩٥ هـ-١٤٢٨-١٤٩٠ م) : وموقفه من التصوف وصوفية زمانه". **الشهاب** ٥، عدد ٢ (٣٠ يونيو، ٢٠١٩): ٤١٥–٤٦.

بونابي، الطاهر. "التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م)". **مجلة عصور الجديدة**، ١٠ يوليو، ٢٠١١.

خالد، محمد يوسف، وعبد الله أوريكيويو حنفي. (٢٠١٦). "أهمية استقامة أصحاب الطرق الصوفية ووحدة المسلمين في نيجيريا". **مجلة الثقافة الإنسانية لجامعة العلوم الإسلامية الماليزية.(USIM)**

سيدي، بوها محمد عبد الله. "الهوية الثقافية والدينية لبلاد شنقيط – موريتانيا". **مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية**، عدد ١٩ (٢٠١٩): ١٤٣–٧٦.

طرواية، عمر. "مسألة العقل والقلب في فلسفة التصوف عند الإمام ابن يوسف السنوسي التلمساني". **مجلة منيرفا** ٤، عدد ١ (١٧ مارس، ٢٠١٨): ١٣٣–٥٢.

عبد الوهاب، محمد حلمي. "الشُّوذيَّة حلقة مفقودة في التصوُّف الأندلسيِّ: ابن المرأة الأندلسيُّ.. حياته وتصوُّفه". **مجلة العرفان للدراسات الصوفية**، ١٤ يونيو، ٢٠١٨.

لعجال، طارق، و أحمد ذكي إبراهيم. "التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي". **دورية التمدن** ٧، عدد ١ (٣٠ يونيو، ٢٠١٢): ١٦٣–٨٤.

Akiti, Muhammad Ayman al-, & Zainul Abidin Bin Abdul Halim. (٢٠١٩). "*Ahli Sunnah Wal Jamaah Dalam Konteks Alam Melayu*". bangi, Selangor.

Olson, Caitlyn. “Beyond the Avicennian Turn: The Creeds of Muḥammad b. Yūsuf al-Sanūsī (d. ٨٩٥/١٤٩٠).” Studia Islamica ١١٥, no. ١ (٢٠٢٠): ١٠١–٤٠. https://www.jstor.org/stable/٢٦٩٥٢٨٣٤.

## خامسا: المواقع الإلكترونية

البوسكلاوي، سعيد. "بعض سمات الكلام السنوسي وحدوده". *مؤمنون بلا حدود* (blog) ، ١٨يناير، ٢٠١٦ .
https://www.mominoun.com/articles/%D٨٪A٨٪D٨٪B٩٪D٨٪B٦-%D٨٪B٣٪D٩٪٨٥٪D٨٪A٧٪D٨٪AA-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٨٪D٨٪B٣٪D٩٪٨A-%D٩٪٨٨٪D٨٪AD%D٨٪AF%D٩٪٨٨٪D٨٪AF%D٩٪٨٧-٤٠٤٠.

*دروس في العقيدة*. ١٨ م. تاريخ الوصول ١٨ أكتوبر، ٢٠١٩ .
https://ketabonline.com/ar/books/٤٣٣٦.

Diskusi *Ibn Arabi: Sidang Kalam - ARG*. UNIRAZAK Jalan Ampang, ٢٠١٨. https://www.youtube.com/watch?v=MbnV٨١٤UJJw.

Jabatan Kemajuan Islam Malaysia (JAKIM). "Ciri-Ciri Ajaran Sesat Yang Menyalahi Pegangan Ahli Sunnah Wal Jamaah". *e-Sumber Maklumat Fatwa* (blog), ١٩ مارس, ٢٠٢٤. http://e-smaf.islam.gov.my/e-smaf/index.php/main/mainv١/fatwa/pr/١١٤٣٩.

Ismail, Sanusi. "Al-Attas’ Philosophy of Islamic Education", ١:٣٤١–٥٠. Aceh, Indonesia: Universitas Islam Negeri Ar-Raniry, ٢٠١٦. https://www.researchgate.net/publication/٣٤٤٣٤٦٧٥٨_AL-ATTAS'_PHILOSOPHY_OF_ISLAMIC_EDUCATION.

## سادسا: المراجع الأجنبية

Chittick, William C. *The Sufi Path of Love: The Spiritual Teachings of Rumi*. Albany: State University of New York Press, ١٩٨٣.

Jusoh, Che Razi. *The Malay Exposition of Al-Sanusi’s Umm al-Barahin*. First edition. Batu Caves, Selangor, Malaysia: Islamic and Strategic Studies Institute Berhad, ٢٠١٦.

Schimmel, Annemarie. *Mystical Dimensions of Islam*. Chapel Hill: The University of North Carolina Press, ١٩٧٥.

Sells, Michael A. *Early Islamic Mysticism: Sufi, Qur'an, Miraj, Poetic and Theological Writings*. New York: Paulist Press, ١٩٩٦.